النصف الاول من
تفسير البيضاوي

[redacted]

اللهم صل على اشرف مخلوقاتك سيدنا ونبينا محمد النبي الامي العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كـ
واجر يا مولاي خفي لطفك في اموري وامور المسلمين وارزقني ذرية صالحة وحسن خلقي وافتح علي فتوح الـ
في مسالك الصالحين ولا تدع لي ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة الا
برحمتك يا ارحم الراحمين اللهم اجعل حبك احب الاشياء الي واقض عني تبعاتي واسترني بفضلك وكرمك يا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدي باقصر سورة من سوره
مصاقع الخطبا من العرب العربا فلم يجد به قديرا وافحم من تصدي لمعارضته من فصحاء عدنان
وبلغاء قحطان حتي حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من
مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات
هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطايف
الدقايق ليتجلي لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم
قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن
كان له قلب او القي السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفي
نبراسه يعيش ذميما وسيصلي سعيرا فيا واجب الوجود ويا فايض الجود ويا غاية كل مقصود صل
عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلي من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم
واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم مقدارا
وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبني قواعد
الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها
اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث
نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي علي صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي علي نكت بارعة ولطايف رايعة استنبطتها انا
ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراات المعزية الي الايمة
الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني
عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتي سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي علي
الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل
واسرار التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول والله الموفق لكل خير ومعطي كل سول
سورة الفاتحة مكية وقيل مدنية وايها سبع ايات وتسمي ام القران لانها مفتتحه ومبداه
فكانها اصله ومنشاوه ولذلك تسمي اساسا ولانها تشتمل علي ما فيه من الثناء علي الله تعالي

والتعبد

والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العمليه التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعدا ومنازل الاشقيا وسورة
الكنز والواقية والكافيه لذلك وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة
الصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفا لقوله عليه الصلوة والسلام هي شفاء
لكل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية اية دون انعمت عليهم
ومنهم من عكس وتثني في الصلاة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة
حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة وعليه قراءة مكة والكوفة وفقهاوهما وابن المبارك
والشافعي رحمهما الله تعالى وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاوها ومالك والاوزاعي
ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله فيه بشي فظن انها ليست من السورة عنده وسيل محمد بن الحسن عنها
فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روي ابو هريرة رضي الله عنه انه
عليه الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام
سلمة رضي الله عنها قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين اية ومن اجلهما اختلف في انها اية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين ان ح
كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين
والباء متعلقة بمحذوف تقديره باسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل
ما يجعل التسمية مبداء له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدي
لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول هنا اوقع في النفس كما في قوله تعالى بسم الله مجريها وقوله
اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى
مقدم على القراءة كيف وقد جعل الة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر
باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء الى آخر السورة
للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرا وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا
كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت الباء ومن حق الحروف المفردة
ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر
للفصل بينهما وبين لام الابتدا والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة
الاستعمال فبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتداء بها همزة الوصل لان من دابهم
ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميته
ومجي سمي كهدي لغة فيه قال ٭ والله اسماك سمي مباركا ٭ آثرك الله به ايثاركا ٭
والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند
الكوفيين واصله وسم حذفت منه الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان
الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال
٭ بسم الذي في كل سورة سمه ٭ والاسم اذا اريد به اللفظ فغير المسمى لانه
يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد
اخرى والمسمى لا يكون كذلك واذا اريد به ذات الشي فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى
وقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص
يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر
٭ الى الحول ثم اسم السلام عليكما ٭ وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن

الاشعري تنقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا
غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين
والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله
اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص
بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من أله الاهة
وألوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من أله اذا تحير اذ العقول تتحير
في معرفته او من ألهت الى فلان اذا سكنت اليه اذ القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن
الى معرفته او من أله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العابد يفزع اليه وهو
يجيره حقيقة او بزعمه او من أله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه
في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال
الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون
اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه محجوب عن ادراك
الابصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر

كحلفة من ابي رباح ... يسمعها لاهه الكبار

وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق على سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل
لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل
في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع
الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي
او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة
لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون
احد اللفظين مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم
لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة
ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

الا لا بارك الله في سهيل ... اذا ما الله بارك في الرجال

والرحمن والرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة
في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها
واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات
والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك
انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المومن
والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المومن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا
لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي
الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان
معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض[2]
بلطفه وانعامه[2] جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيل رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة
في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع

بها

اذا اطلق على غير الله
تعالى كالطاغوت فهم الاله
على الصنم ح

[2] من العوض

[2] يريد به

بها والقوى التي يحصل بها الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما
دل على جلايل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما يخرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة
على رؤس الاي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مونث على فعلى او فعلانة
الحاقا له بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان
به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها
فيتوجه ح
بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره
الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل الاختياري
مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر
في مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال ... افادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها
الشكر ح
لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة
والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء
وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون
تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف
فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة
كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار
بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال
اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب
في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل
وقيل هو نعت من قوله ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه
ويربيه ولا يطلق على غيره الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض لانها لامكانها وافتقارها
ها
الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء
منهم فجمعه بالياء والنون كساير اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملايكة والثقلين
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس هاهنا فان كل واحد منهم عالم من حيث
انه يشتمل على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه
في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم
افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد
وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال
بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي
ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك
وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو
من الملك ح
المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين
وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع
منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضاف بالرفع والنصب ويوم الدين يوم
الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ... ولم يبق سوى العدوان ... دناهم كما دانوا ...
اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة

اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين علي طريقة ونادي اصحاب الجنة او له الملك في هذا
اليوم علي وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين
الشريعة وقيل الطاعة والمعني يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه
او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف علي الله تعالي من كونه ربا للعالمين
موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب
والعقاب للدلالة علي انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه علي الحقيقة سواه
فان ترتب الوصف علي الحكم يشعر بالعلية له وللاشعار من طريق المفهوم علي ان من لم يتصف
بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا علي ما بعده فالوصف الاول
لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة علي انه متفضل بذلك
مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات ووجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتي يستحق به الحمد
والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد فيه للحامدين والوعيد
للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات تميزه بها عن
سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة
والاستعانة ليكون ادل علي الاختصاص والترقي من البرهان الي العيان والانتقال من
الغيبة الي الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بني اول
الكلام علي ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الائه
والاستدلال بصنايعه علي عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفي بما هو منتهي امره وهو ان
يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا
من الواصلين الي العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام
والعدول من اسلوب الي اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فتعدل من الخطاب الي الغيبة ومن
الغيبة الي التكلم وبالعكس كقوله تعالي حتي اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالي الله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امري القيس

تطاول ليلك بالاثمد ۞ ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ۞ كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من خبر جاءني ۞ وخبرته عن ابي الاسود

واياضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت عليه لبيان التكلم
والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا
مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ
لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة
فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك وهياك بقلبها هاء والعبادة
اقصي غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية
الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في غاية الخضوع لله تعالي والاستعانة طلب المعونة وهي اما
ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتي الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
الة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يوصف
يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر
للقادر علي المشي او يقرب الفاعل الي الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة
التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين

بوجه ما

للقاري

للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته
في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي يكون
نظره الى المعبود وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها صدرت عنه بل من حيث انها نسبة
شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة
له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حيث قال لا تحزن ان الله معنا على
ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به
لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الاي ويعلم منه ان تقدم الوسيلة على
طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة لنفسه اوهم ذلك تبجحا
واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة لا تتم
ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين
بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم
ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم
فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله
تعالى واهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة اختار في قوله واختار
موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد ولكنها تنحصر في اجناس مترتبة
الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس
الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقوله تعالى فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم
ايمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يفيض على قلوبهم
السراير ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله
الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه
او حصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير
فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك
والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة
والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم
والصراط من قلب السين صادا لتطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون
اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير رواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام
والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه صرط ككتب وهو كالطريق
في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث
انه المقصود بالنسبة وفايدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود

ملاحظة اليه

حظة

حمعه

ايضا مما

في الصحاح استتب الامر تهيأ واستقام

سبيل

كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

واما ثمود

يكشف

عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكان من البين الذي لاخفاء فيه ان الصراط المستقيم ما يكون طريق المومنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذ من النعم وهي اللين ونعم الله وان كانت لاتحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزين البدن بالهيات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئ في اعلا عليين مع الملايكة المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا ذلك مشترك فيه المومن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي الايمان وبين نعمة السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحدى تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وامتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطاء وله عرض عريض والتفاوت بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق بين الجمع بين معرفة الحق تعالى لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين **امين** اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال

ويرحم الله عبدا قال امينا ٭ وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا ٭

وليس من القران وفاقا ولكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمني جبريل امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبيده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية

السنية م

ان الذين المنعم عليهم هم الذين م

بيان الحق م

لماروي

لما روي عن وايل بن حجر رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قراء ولا الضالين قال
امين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال لا يقول والمشهور عنه انه يخفيه
كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يومن معه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام
ولا الضالين فقولوا امين فان الملايكة يقولون امين فمن وافق تامينه تامين الملايكة غفر له
ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بن
كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقران مثلها قال بلى يا رسول الله قال
فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك قال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما
نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة
ابن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا
صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة ٢ فيرفع ح

سورة البقرة مدنية وايها مايتان وثمانون وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وساير الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد
الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح
الخليل وابو علي وما روي ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من قراء حرفا من
كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم
حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيص الحرف به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله
سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها
بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها
العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ
لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين
وهولاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التي يتركب منها افتتحت السورة
بطايفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون
منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن
الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء
الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد ومستغرب
خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعي في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق
في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم تعد فيه
الالف حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعدد ها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف
انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها
الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعها لن يقطع امر ومن الشديدة
الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس ومن القلقلة ح
على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن حروف
تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا
ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء

والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد
عشر علي ما ذكر سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشايعة المشهورة
التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخري وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط
وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والياء في باسمك حتي صارت ثمانية عشر
وتذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب
وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والفاء والميم والياء والخاء والغين والضاد
والظاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر
الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والميم كما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة
التي لا تدغم فيما قاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والشين والفاء نصفها ولما
كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء
والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد
لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوايد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها علي
ذلك ولو استقريت الحروف الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة
ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدي به مركب من كلماتهم
التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الي الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور
لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف
كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسعة سور لوقوعها في كل واحد
من الاقسام الثلاثة علي ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي
الحرف ان ومن ومذ علي لغة من جر بها وثلاثة ثلاثيات في ثلاث عشرة سورة تنبيها علي ان اصول
الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين
تنبيها علي ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت علي السور
ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه
والمبالغة فيه والمعني ان هذا المتحدي به مولف من جنس هذه الحروف والمولف منها كذا وقيل
هي اسماء السور وعلي اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من
الله تعالي لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها
كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدي ولما امكن التحدي
التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها علي انها القابها او غير ذلك
والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره
وهو باطل لان القران نزل علي لغتهم لقوله تعالي بلسان عربي مبين فلا يحمل علي ما ليس في لغتهم
لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة علي انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب
واشارة الي كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله
قد قلت لها قفي ❊ فقالت لي قاف ❊ تمامه لا تحسبي انا نسينا الايجاف

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر
وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من
الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان جبريل علي محمد عليهما الصلاة والسلام
او الي عدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه الصلاة والسلام
لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدي وسبعون سنة

عشر (margin)

لمجيئها في الاقسام الثلاثة صح (margin)

الف لام ميم صح (margin)

فتبسم

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل غير هذا فقال المص والر والمر فقالوا اختلطت علينا فلا ندري
بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا التركيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه
الدلالة وان لم عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة يكون
والسجيل والقسطاس او تكون دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط
اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة
العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويودي الى اتحاد الاسم والمسمى
ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ ظ
لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح
السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة
في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس رضي الله عنهما فتنبيه على ان هذه الحروف منبع
الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير
وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها ولا مخصص لفظا ولا معنى ولا لحساب الجمل فتلحق
بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا من جهلهم
وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة
اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك واما اذا نثرت نثر اسماء عدد
فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف
المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار
كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية
وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل
عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص ويا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف
من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي
اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى
وقيل انها سر استاثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم
ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورموز
لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران او السور
كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة
الله لافعلن بالنصب وغيره كما ذكروا والجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية
فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود
اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من
هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها تكون كل كلمة
منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان منزلة
جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة
والمفردات المعددة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها
وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه
وطسم ويس وحم اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه وطس
ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران

به

فانه لما تكلم وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار الى البعيد
وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب
فتكون صفته والمراد به الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب
المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر عن المنظوم
عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه
وسطوع برهانه لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب
فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم
الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا
عجزوا عنها تحققوا ان ليس فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين — فيه
وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني
الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه
ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابلا للضلالة قال الله تعالى لعلى
هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين
لانهم هم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر
وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل الا من صقل العقل واستعمله في تدبر — فيه
الايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب
نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لا ينفك عن
بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف
الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد
بالتبرؤ عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل
او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو
التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على الاوجه
الثلاثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم القران او السورة ٢ — او مقدر
هو بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم
لانه المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب
صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب
في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها
ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم
في قوله لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته
وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في قوله تعالى لا ضير اي ضير ثابت ولذلك ٢ — وقف
على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدا
والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة
خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف

بينها

بينها فالجملة دلت علي ان المتحدي به هو المولف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة
ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد علي كماله بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
ثم سجل علي كماله بنفي الريب فيه اذ لا كمال اعلي مما للحق واليقين وهدي للمتقين بما يقدر له
مبتدا رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدي للمتقين او تستتبع السابقة منها
اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا علي اعجاز المتحدي به من حيث انه
من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه ان الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم
ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة
هدي للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولي الحذف والرمز الي المقصود مع
التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل
وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدي
بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوي متقيا ايجازا وتفخيما لشانه **الذين
يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين علي انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوي
بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية علي التخلية والتصوير علي التصقيل او موضحة ان
فسرت بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله علي ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية
المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا تري الي قوله تعالي ان الصلاة تنهي
عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة
للمدح وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها علي سائر
ما يدخل تحت اسم التقوي او علي انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول
عنه مرفوع بالابتدا وخبره اولئك علي هدي فيكون الوقف علي المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق
ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه
معني الاعتراف وقد يطلق بمعني الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد
صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه
من دين محمد صلي الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد
الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد
وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج
خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل علي انه التصديق وحده انه
سبحانه اضاف الايمان الي القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن
قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصي وقرنه بالمعاصي
فقال وان طايفتان من المومنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلي
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الي الاصل وهو متعين
الارادة في الاية اذ المعدي بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
القلبي هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني
لانه تعالي ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم
الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالي عالم الغيب والشهادة
والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلي غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به
الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو

به للتمكن منه
غيبا

المعنى بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول
به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين
عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم
او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي
لا اله غيره ما من احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى
يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني
للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من
ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت
واقمتها اذا جعلتها نافقة قال ❁ اقامت غزالة سوق الضراب ❁ لاهل العراقين حولا قميطا ❁
فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده
قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه
التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة
من الخشوع والاقبال بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون
ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي
الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلا لان المصلي يفعله في ركوعه
وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه
وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع الساجد ومما رزقناهم ينفقون
الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص
الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله تعالى ان يمكن من الحرام
لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا يرى انه تعالى اسند الرزق
ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون من الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين
على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص
ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من
حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفذه اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت
كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف
المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه
بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال
من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون
التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لا يقال
به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون

قولهم ح

الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى

فاؤه نون وعينه فاء ح

والذين

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول
اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن الشرك والانكار وهؤلاء مقابلوهم فكانت
الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن
الشرك والذين امنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط
العاطف كما وسط في قوله ۞ الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة في المزدحم ۞
وقوله ۞ يا لهف زيابة للحارث ۞ الصابح فالغانم فالآيب ۞
على انهم الجامعون بين ما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية
وبين الايمان بما لا طريق له غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين وطائفتهم
وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصوصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة
اشادة بذكرهم وترغيبا لغيرهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني
بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك
من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه عليه والمراد
بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب منزلا حينئذ ۞
وبما انزل من قبلك سائر الكتب والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا
من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج
ويشوش المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة
لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم
في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء
يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم غير مطابق ولا صادر
عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك
لا يوصف به علم الباري ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة الدار بدليل
قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئ ويؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره ۞ لحب المؤقدان الي مؤسى ۞ وجعدة اذ اضاءهما الوقود ۞
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين
خبر له وكانه قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب الذين يؤمنون بالغيب
الى آخر الايات والا فاستئناف لا محل لها فكانه نتيجة الصفات والاحكام المتقدمة
او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد
صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته
المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه
فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم ۞
۞ امتطى الجهل وغوى ۞ واقتعد غارب الهوى ۞
وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس

تباين السبيلين صح
نسخه: تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم

التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة صح

في امر الآخرة صح

في العمل ونكّر هدًى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحي ۞ علي خالد لقد وقعت علي لحم ۞
واكّد تعظيمه بان الله تعالي مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراي بغنة وبغير غنة
واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها علي ان اتصافهم بتلك الصفات
تقتضي كل واحد من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف
لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالي اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شي واحد فكانت الجملة
الثانية مقررة للاولي فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويوكد
النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر
اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب
وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل علي الشق والفتح وتعريف المفلحين
للدلالة علي ان المتقين هم الناس الذي بلغك انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة الي
ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه
علي اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتي بناء الكلام علي اسم الاشارة
للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب
في اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب
ورُدّ بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس علي صفتهم لا عدم
الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي
اهلتهم للهدي والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدي
ولا تغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم علي قصة المومنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولي سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه
والثانية مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد
الحروف والبناء علي الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها علي اسمين
ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل
فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية
للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه
عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقي بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسالونك عن
ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسي يا فرعون اني رسول
من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب
سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد
به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا لمن
صمم علي الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه وهو سواء عليهم والكفر لغة ستر
النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور
وبالشرع انكار ما عرف بالضرورة مجي الرسول به صلي الله عليه وسلم وانما عد لبس الغيار وشد
الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل علي التكذيب فان من صدق الرسول صلي الله عليه وسلم لا يجتري
عليها ظاهرا لا لانها كفر بانفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي علي حدوثه

المعتزلة

المراد م

ن النار

ما علم

لاستدعائه

لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ سواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر
قال الله تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه
قيل ان الذين كفروا سواء عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه
سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد
به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه
كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه
وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام
عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت
الندا عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف
من عقاب الله تعالى وا قتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تأثيرا في النفس
من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى
وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة
لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها وابقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون
جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر
ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق
فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل
ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان
جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء
والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد
باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ
ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتمو
ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم
فهي من المعجزات خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ تعليل
للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب
الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد ان يحدث في نفوسهم تمرنهم على الكفر والمعاصي واستقباح الايمان
والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم
بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم
وابصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين
فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل
قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية
وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله
وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته

اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله
ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع الله على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم
ووخامة عاقبتهم واضطرت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول
عليه الثاني المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهايم التي خلقها الله خالية عن الفطن
او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا
طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره
عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت
في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم
ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم
في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة
يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة
فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى
من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه
وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من
خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة
جعل المانع عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة
الختم في الموضعين واستقلال كل واحد منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس
واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى
حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة
الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة
في الختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال
الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على
تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى
وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان
فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير
المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى
تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش
ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا
اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي
هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر

[Margin notes: الى — نسخه: تعريض — لها — ازالة تمريض الغير]

مايجانسه

ما يجانسه فقصر جميعه عنه وخص بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب
وساق لبيانه ذكر المومنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطت فيه قلوبهم السنتهم وثنى
باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب
بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تومن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة
وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان
خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال
وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة
المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقه
وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا
شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون
بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم
واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد
والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة والمراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث
انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها
فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر
تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه
واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون
به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يومنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقا
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المومنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم
لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف
وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة
والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس
المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي
او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة وما هم بمومنين
انكار لما ادعوه ونفي لما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح
بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من
عداد المومنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق
الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيده بما قيدوا به لانه جوابه
والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مومنا لان من تفوه
بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مومنا والخلاف مع الكرامية في الثاني
فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين امنوا الخدع ان توهم غيرك خلاف
ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب

نوع

اصله الوقر وهو النبع من الطعام

دهر

خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفا ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيفين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول عليه الصلاة والسلام معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء احكام الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك يعضده قراءة من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم بذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويُخَدِّعُونَ من خَدَّعَ ويَخْدَعُونَ بمعنى يَخْتَدِعُونَ ويُخْدَعُونَ ويُخَادَعُونَ على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض النفس الذات وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللراي في قولهم فلان يوامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم وما يشعرون وما يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على ماوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه الصلاة والسلام واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء شانه واشادة ذكره ونفوسهم كانت ماءوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسناده الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل في قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله عليه الصلاة والسلام نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي

اى الصياد

الشيء

العلامه

نسخة امره

الضعف

مولم

مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب
كذبهم او ببدله له جزاءهم وهو قولهم امنا وقراء الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا
يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب
الذي هو للمبالغة او للتكثير مثل بين الشيء وموتت البهايم او من كذب الوحشي اذا جرى
شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على
خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به العذاب وما روي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض لكن لما شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل
لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه
الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من
حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن
بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض
من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقايل هو الله تعالى او الرسول او بعض
المؤمنين وقرأ الكسائي وهشام قيل باشمام الضم قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا
ورد للناصح على طريق المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح
وان حالنا متمحضة عن شوايب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
او انما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من
المرض كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها
فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك
بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم واختها اما التي
هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن
مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم امنوا من تمام
النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المراد بقوله لا تفسدوا
والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا كما امن الناس في حيز النصب على المصدر
وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية
العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني
المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا
الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان
او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام
واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما
امن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين
كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس

ويعقوب

استحقاق العذاب حيث رتب عليهم

معاونة

القتل الاضطراب

قبيلة

بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل في تجهيله
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما
يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر
طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر
وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد
من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار
وما صدرت به القصة فمساقة لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي
واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد
ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصديق ح
في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال
مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد ولانه اذا صادفه واستقبله ح
بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولقيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان
واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من
خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا
الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار
المنافقين والقايلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد
فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زايدة على انه من شاط اذا بطل
ومن اسمايه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية
والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا
به المومنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المومنين من المهاجرين والانصار بخلاف
ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزءون تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به
مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين
قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المومنين وتدعون الايمان فاجابوا
بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت
واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ
به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزايهم سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ اللفظ او لكونه مماثلا له في القدر
او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي
هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء
احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة بالنعمة على التمادي في الطغيان
واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه
سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف
به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المومنين ان يعارضوهم وان

استهزاءهم

استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعله الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم
ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم
كما قال تعالى او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم
يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا
استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه
قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم
الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق
على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن
الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف
الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند بمعنى يملي لهم
المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي وقيل اصله يمد لهم ويمد
في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما ازدادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل
بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير ويمدهم استصلاحا وهم مع ذلك
يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان
والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء
لا منار بها قال: اعمى الهدى بالجاهلين العمه
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به بدل الثمن
لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه
ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر
واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا
به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه

أخذت بالجمة راسا ازعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا ... كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعله الله
لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم
اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن داية ... وعشش في وكريه جاش له صدري

والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسنادها
الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها
سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة
راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة
والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقد
للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل
زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا

والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله تعالى الامثال في كتبه وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل
في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول
السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير
ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي
وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا
والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم
وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل
بالجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء
منه فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل
ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة
التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه
ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين
او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار
وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما
اضاءت ما حوله اي النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة
الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة
نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور
ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم
ولم يقل بنارهم لانه المراد بايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت
حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير
على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله فلما ذهبوا به للايجاز وامن اللبس
واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر
سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الا
الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه
فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه
لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض
ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة
خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن
معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر
فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا
اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة
يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة
الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة
ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه
الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا
تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم

اضاعوا

اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واستظهاره حين خلوا الى شياطينهم
ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة وارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له
احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل
لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة
المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره
باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياه واذهاب نورها صم بكم عمي
لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات
بابصارهم جعلوا كانهم ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ۞ وان ذكرت بسوء عندهم سمعوا

وقوله

اصم عن الشيء الذي لا اريده ۞ واسمع خلق الله حين اريد

واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار
له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف ۞ له لبد اظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول ۞ بان له حاجة في السما

وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره

اسد علي وفي الحروب نعامة ۞ فتخاء تنفر من صفير الصافر

هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقد بن
فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة
ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من
مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام
القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف
فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر
وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه
او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث
ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم
واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب لقوله
يجعلون اصابعهم في آذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي
من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد
التساوي في المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب من السماء ومعناه ان قصة
المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير بالتمثيل
بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال
الشماخ ۞ وأسحم دان صادق الرعد صيب ۞ وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به
نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان
كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ۞ ومن بعد ارض بيننا وسماء ۞
امده بما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب
فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه

بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعل مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره
متلبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف
وفاقا لانه معتمد علي موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب
اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق
الشيء بريقا فكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير
لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول
عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر الضمير لان المعنى ما بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول
قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل مبالغة من
الصواعق متعلقة بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد هايل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق
علي كل هايل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت
وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف فيقال صقع
الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد
والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب علي العلة
كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تمامه وأصفح عن سيئ اللئيم تكرما
تعالي خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل
لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك
الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك
جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها علي انه
المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة علي الحال وقد تدخل عليه حملا لها
علي عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ
بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف علي انه يختطف فنقلت فتحة التاء الي الخاء
ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها كلما اضاء
لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون بتارتي
في تاري خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى
كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم
فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم علي البناء للمفعول وقول الدهر والعقل
ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب دنيا وأخرى
فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص علي المشي فكلما صادفوا فرصة
منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا
اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب
بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد

يذكر

يذكر الاني الشيء المستغرب كقوله « فلو شئت ان ابكي دما لبكيته »
ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء
الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب بسمعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام
ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى
وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله ان الله على كل شيء قدير
كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء
تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشي اخرى
اي مشي وجوده وما شاءه الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل
شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان
يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم
التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل
قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر
هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك
قل ما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل
على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه
والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله لانه شيء وكل شيء مقدور
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية من مجموع
تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال
الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حالة المنافقين من الحيرة والشدة
بما يكابده من انطفت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد
وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقوله امرئ القيس

« كان قلوب الطير رطبا ويابسا » لدى وكرها العناب والحشف البالي «

بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار
وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقاؤهم في الخسار
الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب
الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان
كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات
المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق
حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم
لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها
فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم خطوا خطا يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا
متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي

صفة تقتضي التمكن صح
وقيل صح

منتزعة صح

هي سبب الحيوة الابدية بالصيّب الذي به حيوة الارض وما ارتكبت بها من شبه المبطلة واعترضت
دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من
الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه
فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم
بما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق
كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم
اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم
السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة
وسدوها عن الفوائد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير
يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم
اقبل عليهم بالخطاب على طريق الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة
وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به العبادة خ
القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من
حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له فزيادة الحث عليه وهو مع المنادى
جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه
متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود
بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا
وتعويضا عما يستحقه من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله
باوجه من التاكيد وكلما نادى الله به عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا
لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ
والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها
والتاكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها
شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنا لما تواتر من دينه
عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه
الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا
فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو
المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع
فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع وان من لوازم وجوب وجوب خ / الشيء
ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب
رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل ان خ
التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة
التي سموها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله يقال خلق النعل اذا قدرها التقدير خ
وقدرها على بالمقياس والذين من قبلكم يتناول كل ما يتناوله الانسان بالذات والزمان
منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم
به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول

وصلته

وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله ❊ يا تيم تيم عدي لا ابا لكم ❊ تيما الثاني بين الاول
وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان
تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى ونبه
به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى الى الله وان
العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا
وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه
خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة
الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل
للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف
اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته
واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته
عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجرة
قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع
او مبتدا خبره فلا تجعلوا لله اندادا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه
بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله

❊ فقد جعلت قلوص بني سهيل ❊ من الاكوار مرتعها قريب ❊

وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير
فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول (ان جعل صح)
اخرى او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه (واللين ع)
من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا (المبسوط ع)
وينامو عليها كالفراش وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع
جرمها لا يابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع
على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني
بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار
بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة
للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما وابدع (الثمار ع)
في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع وهو قادر على ان (بها)
يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها
مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته
ما ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك
سماء او الفلك فان المطر يبتدي من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر
ومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهوى فينعقد سحابا
ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين
له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض ماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون
بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات
ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من

الدراهم القا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي
في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد او لان الجموع
يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء
ولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق
ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق
باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب
تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها
بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا او بالذي
جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية
ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات
العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير
اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد
من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل اذا خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما
خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا
انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها
وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرده الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان يجعلوا
اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير
وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اي وحالكم انكم من اهل العلم
والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات
منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر
على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود
منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم
سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن
الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على
صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق
اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان
الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور امورا
لا يقدر عليها ويشاهده على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد
من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق
الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض
والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة
بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات
المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل
المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على

غير صح

عبدنا

عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو
الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز لفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق
والحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطبا من العرب العربا مع كثرتهم وافراطهم
في المضادة والمضادة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن
انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع على ما يرى عليه
اهل الشعر والخطابة مما يريبهم به كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران
جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد
الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته
والسورة الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلاث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية
منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية
على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال
ولرهط حراب وقد سورة ۞ في المجد ليس غرابها بمطار
لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في القصر والطول
والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي
البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال لـ
وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة
نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد
انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك من ع
عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد مِنْ مِثْلِهِ صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير
لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة غة
وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا
اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد للمنزل اوجه
لانه المطابق لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله ولسائر ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في
المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير
بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابنائهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت
بنحو ما اتى به هذا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم
امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره
الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله
شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا الشيء اي خذه من ادنى
مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون المجد ص
ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى اخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال
امية ۞ يا نفس ما لك دون الله من واق ۞ اذا تجاوزت وقاية الله ۞

اي فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعني ادعوا من حضركم او رجوتم معونته من الى المعارضة ح
انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر علي ان ياتي بمثله الا الله او ادعوا من دون الله
شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او الهة
وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله علي زعمكم من قول الاعشي
تريك القذي من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد نسخه القذى
في معارضة القران غاية التبكيت والتهكم به وقيل من دون الله اي من دون اوليائه
يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان الكامل لا يرضي
لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من
كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد
المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالي كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله
لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الي قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما
علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به من امر الرسول عليه الصلاة والسلام وما جاء به
وميز لهم الحق من الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم ماهو ح
جميعا عن الاتيان بما يساويه ويدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به
واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف المكني بالفعل الذي يعم
الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته علي سبيل الكناية تقريرا للمكني عنه
وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك
والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يك شاكا في عجزهم ولذلك نفي
اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا لهم معهم علي حسب ظنهم فان
العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة
بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط
كالداخل علي المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي
المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدي الروايتين عنه
وفي الرواية الاخري اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح
ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح وقال سيبويه سمعنا من يقول
وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه
وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلي حذف المضاف
اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد
بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع
بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالي انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم عذبوا بما هو منشا جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوا او بنقيض ما كانوا يتوقعون
زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلي هذا لم
يكن لتخصيص اعداد هذا النوع بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل من العذاب ح
وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا تتقد به كل نار غيرها والكبريت
وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما فلعله عني به ان الاحجار كلها لتلك يتقد به صح

النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى
في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها صلة ح
تجب ان تكون قصة معلومة أعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير
الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من
وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع
والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم
مع كثرتهم واشتهارهم في الفصاحة وتهالكهم على المضادة ولم يتصدوا لمعارضته
والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انه يتضمن الاخبار عن الغيب على ما هو به
فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه
في كل عصر والثالث انه عليه الصلاة والسلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة
بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار
مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة
السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية
عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب
ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله لانهم
من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا اذ لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه
واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وبذلك يستدعي
ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة
بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان
يبشروا ويهنوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا قا
والبشارة الخبر السار بان يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو
الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق طريقة ح
اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء
كالحسنة قال الحطيئة : كيف الهجاء وما تنفك صالحة : من آل لام بظهر الغيب تأتيني
وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس
وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة
مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق
اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه
دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه باضمار
ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه ومجرور مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن
وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه
للمبالغة لانه يستر ما تحته سترة واحدة قال

كأن عيني في غربي مقتلة : من النواضح تسقي جنة سحقا :

اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان
وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من انواع النعيم كما قال تعالى فلا تعلم نفس

ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء وجمعها وتنكيرها لان الجنان علي ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما
سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة علي حسب تفاوت الاعمال
والعمال واللام تدل علي استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح
لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي الثواب والجزاء فيما يستقبل
بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا علي الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن
لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيدها ههنا
استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار
النابتة علي شواطيها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام للجنس كما في قولك
لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المعهودة المذكورة في قوله تعالى
انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها علي الاضمار او المجاز او للمجاري انفسها
واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه لما
قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل اثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك
وكلما نصب علي الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع
الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من
ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة وصاحب
الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة
بيانا لما تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الي نوع ما رزقوا كقولك مشيرا
الي نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم
المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة الي عينه فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا ولكن
لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من
قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى
فان الطباع مايلة الي المالوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو
كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة
كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى
فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف ولما روي انه عليه الصلاة والسلام
قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة
الي فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها علي الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول
اظهر لمحافظته علي عموم كلما فانه يدل علي ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم
الي ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه
البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير علي الاول راجع
الي ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله
تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلي الثاني الي الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال

ابن

ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل
في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا
وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا
ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون ذلك في الوعد
نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة** مما يستقذر
من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير
يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال
النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال

وإذا العذارى بالدخان تقنعت ۞ واستعجلت نصب القدور فملت

فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطّهّرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة
ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز
وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان
قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوحة التوالد وحفظ
النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وساير احوالها انما تشارك (بعض)
نظايرها الدنيوية في الصفات والاعتبارات وتسمى باسمايها على سبيل الاستعارة والتمثيل
ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فايدتها **وهم فيها**
خالدون دايمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي (في والاحجار خوالد)
والحجر والجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام
كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد
توجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن
المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن **فان قيل** الابدان
مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال
فكيف يعقل خلودها في الجنان **قلت** انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة
بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على (متعانقة)
احالة الاخر متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان
قياس ذلك العالم واحواله على ما نشاهده ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة
واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل
عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف
الزوال كانت غير صافية من شوايب الالم بشر المومنين بها ومثل لهم ما اعد لهم في الاخرة (منغصة)
بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة متضمنة
لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق
الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل
فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد
المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما

انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت
الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغا واشارات الحكما فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل
العظيم بالعظيم وان كان المثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدور بالنخالة والقلوب
القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد
واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين
بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت
وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر
الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم على ان المتحدي به وحي منزل ورتب عليه وعيد
من كفر به ووعد من امن بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله
لا يستحيي ان يضرب اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها
لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي
هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا
واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي
الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء
في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي
اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم
للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما
ونظيره قول من يصف ابلا

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه ... كرعن بسبت في اناء من الورد

وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الاية خاصة ان تكون مجيئة
على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع الشيء
على اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل بعد
حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد
كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة
ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه
وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير
قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه
لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا
يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على
الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية
هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها
حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب
دينارا ودينارين والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على
هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد
عليها بالجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي
ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر
والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي

الي ما يدل ع

المحل ع

ان رجلا

ان رجلا في مني خر علي طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلي الله عليه
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل
ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة
والسلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتي نخبة النملة فاما الذين امنوا
فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصل ما اجمل ويوكد ما به صدر وتتضمن معني تفصيل ح
الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد
ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء علي الجملة لانها
الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا
وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المومنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين علي قولهم
والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصايبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه
ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا
فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه ولكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا علي كمال
جهلهم عدل اليه علي سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا
يحتمل وجهين ان تكون ما استفهامية وذا بمعني الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما
وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعني اي شيء منصوب المحل علي المفعولية مثل ما اراد الله
والاحسن في جوابه الرفع علي الاول والنصب علي الثاني ليطابق الجواب السوال والارادة
نزوع النفس وميلها الي الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع
والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالي به ولذلك انه ح
اختلف في معني ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها
فعلي هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر علي النظام الاكمل والوجه
الاصلح فانه يدعو القادر الي تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه علي الاخر
وتخصيصه بوجه دون وجه او معني يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع
تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب علي التمييز او الحال كقوله تعالي هذه ناقة
الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير
وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما
وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدي وبيان فان الجهل ايراده والانكار لحسن مورده ضلال بوجه ح
وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الي انفسهم لا بالقياس الي مقابليهم فان
المهديين قليلون بالاضافة الي اهل الضلال كما قال الله تعالي وقليل من عبادي الشكور
ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل
والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال
ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالي ان المنافقين هم الفاسقون
من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال روبة
فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله تعالي بارتكاب
الكبيرة وله درجات ثلاث الاولي التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية
الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالث الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا

ايها فاذا شارف هذا المقام وخطي خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما
دام هو في درجة التقابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذي
هو يسمي الايمان ولقوله تعالي وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان
عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه
قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام
وتخصيص الاضلال بهم مرتبا علي صفة الفسق يدل علي انه الذي اعدهم للاضلال
وادي بهم الي الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت
وجوه افكارهم عن حكمة المثل الي حقارة الممثل به حتي رسخت به جهالتهم وازدادت به ضلالتهم
فانكروه واستهزوا به وقري يضل علي البناء والفاسقون بالرفع الذين للمفعول ع
ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله
في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من
ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع
العهد كان رمزا الي ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين
كقولك شجاع يفترس من اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها علي انه اسد
في شجاعته بحر بالنظر الي افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعي ويتعهد
كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعي بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ
وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة علي عباده الدالة علي توحيده ووجوب
وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالي واشهدهم علي انفسهم او الماخوذ بالرسل علي الامم
بانه اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا
حكمه واشار بقوله تعالي واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود
الله ثلثة عهد اخذه الله علي جميع عباده بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه علي النبيين
بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه علي العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه
من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد
ما وثق الله به عهده من الايات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل
ان يكون بمعني المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما
امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالي كقطع الرحم والاعراض عن المومنين ع
موالاة والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات
المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد
المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو
وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه وهو ع
مما يومر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده
وان يوصل يحتمل النصب والخفض علي انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعني
ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام
العالم وصلاحه اوليك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر
في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب
بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع

عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق
لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال
خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف
ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر
واغذية واخلاطا ونطفا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما
عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي
اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم نفخ الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد
الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه
يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزلة منزلة علمهم في ازاحة العذر
سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم
ثانيا فان بداء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين
دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم
الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم
المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال
الله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة
هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحد من الجمل
فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المومنين خاصة
لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا فاحيا
بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون
فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة
او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا ومجاز في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها
وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت
بازايها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة كما قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة
لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب بفتح
التاء في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على
الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد مرة وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم
به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم في مصالح ابدانكم بوسط
او غير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلايمها من لذات الاخرة والامها
لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل
ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض
لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني

ومضغا ؟
النعم
اى جهالاتٍ
كم
ترجعون ؟
بها ؟

ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا
مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال
لما فيه تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى مع ح
وملك قال: قد استوى بشر على العراق ۞ من غير سيف ودم مهراق
والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء
هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء
على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء
وتسويتها الا ان تستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه انتم اشد خلقا مثل
تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة
من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره
ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس اصحاب الارصاد ان ح
اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزايد مع انه ان
ضم اليه العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما
بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان
عليما فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها
وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازالة لما يختلج في صدو ح وازاحة ربع
من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل
بدن مرة ثانية لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره بحيث ح
قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها
في هاتين الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها
بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها
يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه
عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتها بانه تعالى قادر على
ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق
ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك
دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع برواية قالون وابو عمرو
والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله
على سكان ملكوته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة
ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب
اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة
ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى ابتدا ح
واذكر اخا عاد اذ ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف
مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران
كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة
على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل

والتاء

والتاء لتانيث الفعل وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله
وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انهم
ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجساد لطيفة قادرة على التشكل
باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طايفة من النصارى هي
النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس
الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن
الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون
والملايكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به
القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية
ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملايكة لعموم اللفظ وعدم كلهم خ
المخصص وقيل ملايكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم
الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملايكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير وفرقهم خ
والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل جاعل فيهما لانه بمعنى
الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره
وينوب منابه والهاء للمبالغة والمراد به ادم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله في ارضه فيه خ
وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره
فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره
بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى
ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار منهم خ
ارسل اليهم الملايكة ومن كان منهم على رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام
في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن
قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف
المناسب لهما لياخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته
لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره
عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلفا
يخلفكم وفايدة قوله هذا للملايكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده
سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد
بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان
اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد
والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم من معلمه عما يختلج في صدره
وليس باعتراض على الله ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك
لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار
من الله تعالى او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم
او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من
الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى

والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يُسفك على البناء للمفعول
فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم **ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك** حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا
الصديق المحتاج والمعنى انستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه
الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب
والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية
تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها
مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده
فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن
معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة
مطاوعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا
ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه
اشار تعالى اجمالا بقوله **قال اني اعلم ما لا تعلمون** والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك
التقديس من سبح في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء
مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك الهمتنا معرفتك ووفقتنا
لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
من الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك
الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام
مزيدة **وعلم آدم الاسماء كلها** اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا
يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك
يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة بالفتح بمعنى
الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة
من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اصنافا او من الادم او الادمة
بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات
والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا
او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة
الثلاثة والمراد في الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من
حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى
متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية لانها
الاتها **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير
اسماء المسميات فحذف المضاف اليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا
لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد بها
الالفاظ والمراد ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من
العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها **فقال انبئوني**

سبح العوني

ان

باسماء

باسماء هولاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري كل
واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم وان خلقهم
واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم
والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما لم يعرض
ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم
لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن
اعتراضا وانهم قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار
لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما استقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه ولا
وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد
اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني كنت
من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي
لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان
لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز
يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا ادم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ
بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الياء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون
لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض
وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على
ترك الاولى وهي ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم بانهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق
خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة
للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل
على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها
وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن
يحترف وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي
ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل ادم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم
العلم والا لتكرر قوله تعالى انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل
الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له
مقام معلوم وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لادم لما انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود
له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم فيه قبل ان يسوي خلقه

لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر
عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة
عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر

ترى الاكم فيه سجدا للحوافر   وقال   وقلن له اسجد لليلى فاسجدا

يعني البعير اذا طأطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به
اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه
او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات
باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر
لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود
تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام
فيه كاللام في قول حسان

اليس اول من صلى لقبلتكم   واعرف الناس بالقران والسنن

او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم
ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة او طايفة منهم ما سبق فسجدوا
الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه
او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار
والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من
الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى بالسجود اعتقادا بانه
افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا
خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك
الواجب وحده والاية تدل على ان ادم افضل من المامورين بالسجود له ولو من وجه وان
ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله الامر ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك
قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا
ولان ابن عباس رضي الله عنه روى ان ضربا من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم
الجن ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة
وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه والجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه
استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد
والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين
كانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم
وان كان الغالب منهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل
ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي
الله عنهما فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله الا ابليس
كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من
نار لما روت عايشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام قال خلقت الملائكة من

نور

وخلق
نور والجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك
غيران ذلك ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من الحرارة والاحراق فرط ح
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة جذعة ولا تزال
تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين
النصوص والعلم عند الله ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه
الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله
من حاله انه يتوفى على الكفر هو كافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال
مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري رحمه الله تعالى **وقلنا يا ادم**
اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به
المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف تبع
له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال
انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لادم وحمل الاهباط
على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى **وكلا منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول
من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من** للحصر ح
الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في
تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ
بمجامع القلب ويلهيه عما يقتضيه العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي
ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم
فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة
او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لا تعين
في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء
فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه
في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما
وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه
اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل
انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة
ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم
يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند
الله **فاخرجهما مما كانا فيه** من الكرامة والنعيم **وقلنا اهبطوا** خطاب لادم عليه السلام وحواء
لقوله سبحانه قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما
وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء
بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على
بعض بتضليله **ولكم في الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار **ومتاع** اي تمتع **الى حين**

يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها
حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا
انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني
جنتك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي
انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر
كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات
لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى
بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنن
انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة والذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع
فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد بها الرجوع
من العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد التائب
بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول
دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا
الى دار بلية يتعادون فيها وللتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك
والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان
تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد
منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض
وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاوا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
وما مزيدة اكدت ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى
ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف الشك واتيان الهدى
كاين لا انه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظة الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني الاول
وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه من اعيانه مما يشهد به العقل
فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عليهم محبوب فيحزنوا عليه والخوف على
المتوقع والحزن على الواقع نفي عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرى هدى
على لغة هذيل ولا خوف عليهم بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا
بالله وكذبوا باياتنا او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين
الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل
على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا او من اوى اليه واصلها اية او اوية كثمرة فابدلت
عينها على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او اييه كقايله فحذفت الهمزة تخفيفا
والمراد باياتنا الاية المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على
عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان ادم كان نبيا وارتكب المنهي عنه

والمرتكب

والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة
الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى ادم ربه فغوى
والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر
من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول
انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي
ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى واما اسناد الغي والعصيان
اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه
وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث
انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب
النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة
والسلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى
عليه على طريق السببية المقدرة دون المواخذة كتناول السم على الجهل بشانه لا يقال انه باطل
بقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الايتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناول حين ما قاله
ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله الى ان
نسي ذلك وزال عنه المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد
اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها
من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا
وذهبا وقال ان هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا
لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان
التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد
وان غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد
والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث
محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على
ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل
على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على
انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم بان يذكروا
نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من امن بمحمد صلى الله عليه
وسلم وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن يعقوب من البناء
لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب
يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل
بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع
فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم
عليه به حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه الصلاة والسلام وقرئ اذكروا
والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها

واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد
والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان
والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض
فالاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدماء والمال واخرها منا
الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء
الدايم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الاصر
والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقا مه
على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف
الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين في سورة المايدة في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل الى قوله ولادخلنكم
جنات تجري وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة وإياي فارهبون فيما تاتون وتذرون
وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم
من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم
راهبين شيا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على
وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وامنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود
وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها
او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين
الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت
الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح
من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في زمن المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه
ولذلك عرض ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان تكونوا اول من امن به لانهم كانوا اهل
النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع
خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب
قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا
تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا
تخفيفا غير قياسي او أوّل من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا
قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة
بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم
ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه
وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه وإياي فاتقون بالايمان واتباع
الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية الاولى السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما
في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم
والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم

امرهم

امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط
وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه
وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه
في خلاله او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان
وترك الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على
ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي
الله عنه اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان معنى اللبس لما يصحبه من كتمان
الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلوة
ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بها والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس
فضيلة الكرم او من الزكوة بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل
واركعوا مع الراكعين اي في جماعاتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين
درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود
وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي

لا تذل الضعيف علك ان … تركع يوما والدهر قد رفعه

اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضا
الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر
في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى
الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون
الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد
وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم
يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني
لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك
والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل
الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد
بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق
عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا
بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة
والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار الفرج والتوكل على
الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوات وتصفية النفس والتوسل
بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر
العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح
واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين
وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روي انه عليه الصلاة والسلام
انه اذا كان حزبه اي غلبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بها

او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا
بها او نهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على
الخاشعين اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين
والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده ويتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى
فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق
عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر
فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف
وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها
ما تستحقر لاجله شاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه الصلوة والسلام وجعلت
قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير
التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل
بحقوقها واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم
الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل
وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملائكة وهو ضعيف
واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من
الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزا عنه اذا اغنى
وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي
والجملة صفة ليوما والعائد منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف
العائد المجرور قال تسع فيه فاجري فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما
حذف من قوله او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس
الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد الاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول
ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه
والشفاعة من الشفع كان له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية
وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها تسوي بالمفدي ولا هم ينصرون
يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي
من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها
بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب
بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية
نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من ال فرعون تفصيل
لما اجمله في قوله واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة
وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء
والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق
منه تفرعن الرجل اذا عتى وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا
اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه وانه قبيح بالاضافة

الى

الي سايئه والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه علي المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجينا
او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقري يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم
ذلك لان فرعون راي في المنام او قال له الكهنة سيولد من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الي صنيعهم ونعمة ان اشير به الي الانجاء
واصله الاختبار ولما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان
يشار بذلكم الي الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث
موسي وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه علي ان ما يصيب العبد
من خير او شر اختبار من الله تعالي فعليه ان يشكر علي مساره ويصبر علي مضاره ليكون
من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتي حصلت فيه
مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
وقري فرقناه علي بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر علي ذكرهم للعلم فانه كان اولي به وقيل
شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل علي ال محمد اي شخصه واستغني بذكره عن ذكر
اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة
مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الي الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالي امر موسي عليه
السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم علي شاطي البحر
فاوحي الله تعالي اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب به فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا
فسلكوها فقالوا يا موسي نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوا فتراءوا وتسامعوا
حتي عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم
واغرقهم اجمعين وعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله علي بني اسرائيل ومن الايات
الملجئة الي العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسي عليه الصلوة والسلام ثم انهم اتخذوا
العجل وقالوا لن نؤمن لك حتي نري الله جهرة ونحو ذلك فهم في معزل من الفطنة والذكاء وسلامة
النفس وحسن الاتباع من امة محمد صلي الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل
القران والتحدي به والفضايل المجتمعة فيه الشاهدة علي نبوة محمد صلي الله عليه وسلم دقيقة يدركها
الاذكياء واخباره عليه الصلوة والسلام بها عليها من جملة معجزاته علي ما مر واذ وعدنا
موسي اربعين ليلة لما عادوا الي مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسي ان يؤتيه التورية
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا
ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالي وعده الوحي ووعده
موسي المجي للميقات الي الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسي او مضيه
الي الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفي
اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوه واذ اتينا موسي
الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق الحق والباطل وقيل اراد
بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوي او بين الكفر والايمان وقيل الشرع
الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه لقوله تعالي يوم الفرقان يريد
به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات واذ قال موسي
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الي باريكم فاعزموا علي التوبة

والرجوع الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا بعضها من بعض وهيئات مختلفة واصل التركيب خلوص
الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء
كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات
كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل
امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر
الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا
موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للسببية
والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة
الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه الصلاة
والسلام تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا
من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ
وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى
عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه
ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة
او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن
نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت
للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة
بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم
موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك
او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه
تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحيان المقابلة للرائي
وهي محال الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الاخرة ولافراد
من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل
جنود سمعوا بحسيسها فخروا صاعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم
بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث بالموت لانه
قد يكون عن اغماء او نوم لقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه
لما رأيتم بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا
في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني وينزل بالليل عمودنا
قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل
بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات
ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ
قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها
حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب
القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه
الصلاة والسلام سجدا منطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه
وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل

بمعنى

بمعني حط عنا ذنوبنا حطة او علي انه مفعول قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان
نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقري نافع بالياء
وابن عامر بالتاء علي البناء للمفعول وخطايا اصله خطايي كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت
الياء الزائدة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الياء
الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة علي الياء ثم فعل بما ذكر
وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسي وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه
عن صورة الجواب الي الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه
يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة
والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا علي الذين ظلموا كرره مبالغة
في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او علي انفسهم
بان تركوا ما يوجب نجاتها الي ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقري
بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا
واذ استسقي موسي لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه
للعهد علي ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه كان ينبع من كل وجه ثلثة اعين تسيل
كل عين في جدول الي سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه
ادم من الجنة ووقع الي شعيب فاعطاه مع العصي او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه
ليغتسل وبراه الله تعالي مما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر
في الحجة قيل لم يامر ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الي ارض لا حجارة
فيها حمل حجرا في مخلاته وكان يضرب به بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به اذا ارتحل فييبس
فقالوا ان فقد موسي عصاه متنا عطشا فاوحي الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصاة عشرة اذرع
علي طول موسي من اس الجنة وله شعبتان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق
بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما في قوله فتاب عليكم وقري
عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي
يشربون منها كلوا واشربوا علي تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن
والسلوي وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويوكل مما ينبت به ولا تعثوا
في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد وقد
يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المتعدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا كقتل
الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر هذه
المعجزات فلغاية جهله وقلة تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق
الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض
او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسي لن نصبر
علي طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوي وتوحيده لانه لا يختلف ولا
يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجتووا او ضرب
واحد لانهما معا طعام واهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الي عكرهم واشتهوا ما الفوه
فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع لنا

الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت
وكذا في قوله فتاب عليكم وهي عاطفة على محذوف
فصيحة لانها تفصح عن المحذوف
وجزاء شرط الفاء الفصيحة هي
التي تعطف على الفعل
المفسر بالشرط

فان دعوته بسبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضرة والمراد به اطائبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوّموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنا من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد الحاجز بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وقيل اصله مصرائيم فعرّب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكليف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به وصاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا ان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عدّ عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالقران والانجيل واية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او ما تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق ۞ كانه في الجلد توليع البهق

والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعهما وتانيثهما ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد المتدينين بدين محمد عليه الصلاة والسلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين فقط لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا اي تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية اسمها نصران او ناصرة فسموا بها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا

مال

مال لانهم مالوا من سائر الاديان الي دينهم او من الحق الي الباطل من امن بالله واليوم الاخر
وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضي
شرعه وقيل من امن من هولاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الايمان دخولا صادقا فلهم اجرهم
عند ربهم الذي وعدلهم علي ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف
الكفار من العقاب ويحزن المقصرون علي تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم
اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معني
الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله
تعالي ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم
باتباع موسي والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتي اعطيتم الميثاق روي ان موسي عليه
السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها
فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتي قبلوا خذوا علي ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر في القلب
او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند
المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم
من بعد ذلك ثم اعرضتم عن الوفا بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم
للتوبة او بمحمد صلي الله عليه وسلم يدعوكم الي الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين
بالانهماك بالمعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشي لامتناع ع
غيره فاذا دخل علي لا افاد اثباتا وهو امتناع الشي لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه
مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل
محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطية للقسم والسبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدي فيه
ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية يقال
لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضي
تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها
يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار
والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالي
كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد سرعة التكوين وانهم
صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين
يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهر
قصتهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القري وما تباعد عنها
او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة
للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسي لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة اول هذه القصة قوله تعالي واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت
عليه لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء بالسوال وترك
المسارعة الي الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه
وطرحوه علي باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه

ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا أي مكان هزء أو أهله أو مهزوا بنا أو الهزء نفسه
لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة وإسمعيل عن نافع بالسكون وحفص
عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لأن الهزء في مثل
ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة
استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أي ما حالها وصفتها وكان حقه أن يقولوا
أي بقرة هي أو كيف هي لأن ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما أمروا به على حال لم يوجد
بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال إنه يقول إنها بقرة
لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها
فرضت سنها وتركيب البكر والباكورة عوان نصف قال نواعم بين أبكار وعون
بين ذلك أي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف إليه بين فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد
جمع وعود هذه الكنايات وإجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه
تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن أنكر ذلك زعم أن المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فإن التخصيص إبطال للتخيير الثابت
بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلاة والسلام
لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي
وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به
من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع
الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وفي إسناده إلى اللون وهو
صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن
سوداء شديد السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الأعشى

تلك خيلي منه وتلك ركابي ، هن صفر أولادها كالزبيب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لأنها من مقدماته أو لأن سواد الإبل تعلوه صفرة وفيه نظر لأن
الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين أي تعجبهم والسرور أصله لذة في القلب
عند حصول نفع أو توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الأول
واستكشاف زائد وقوله إن البقر تشابه علينا اعتذار عنه أي إن البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والأباقر والبواقر
ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وإدغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبه بمعنى يتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابهة ومشتبه ومتشابه
ومتشبه وإنا إن شاء الله لمهتدون إلى المراد ذبحها أو إلى القاتل وفي الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد واحتج به أصحابنا على أن الحوادث بإرادة الله تعالى وأن
الأمر قد ينفك عن الإرادة وإلا لم يكن للشرط بعد الأمر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث
الإرادة وأجيب بأن التعليق باعتبار التعلق قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير
الأرض ولا تسقي الحرث أي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة للبقرة بمعنى غير
ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان أي حيث
هو وتسقي من أسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب أو أهلها من العمل أو أخلص لونها من سلم

لم

له اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل وشاه وشيا وشية
اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحقيقتها الان وقرئ
آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار
التقدير فحصلوا البقرة المفعولة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم
اولخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى
بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات
فساوموها من اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة
دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليها النفي قيل معناه
الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت
سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجئ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع
لوجود القتل فيهم فادّارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا
او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال
واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه
حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف
على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل
ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمين وقيل بالاذن
وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من
حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم اياته دلائله على قدرته لعلكم تعقلون لكي
يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او يعملون على
قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم
قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة
بثلثماية دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا تاثير لها وان من
اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه
التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة
رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث
يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما ينكشف به ويرتفع ما بين العقل والوهم
من التدارء والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر
وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء
القتيل او جميع ما عدد من الايات فانها مما توجب لين القلوب فهي كالحجارة في قسوتها
او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او مثلها او مثل
ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة
الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد
القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة

المسك الجلد لانه يمسك ما فيه من اللحم والعظم ه

تتناثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردي من
اعلا الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هولاء لا تتناثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح
بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام
الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك
وقرا ابن كثير بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمومنين
ان يومنوا لكم ان يحدثوا لكم التصديق او يومنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق
منهم طايفة من اسلافهم يسمعون كلام الله كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم او تاويله
فيفسرونه بما يشتهون يعني التورية ثم يحرفونه وقيل هولاء من السبعين المختارين سمعوا
كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في اخره ان
استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شيتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه
بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية ان احبارهولاء
ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم فانهم ان كفروا وحرفوا فلهم
سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا يعني منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق ورسولكم
هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين
على من نافق قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
او الذين نافقوا لاعقابهم اظهار التصلب على اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم
فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به
عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب وحكمه محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا ويراد به في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند
ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللايمين تقديره
اولا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمومنين متصل بقوله افتطمعون
والمعنى فلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هولاء المنافقين
او اللايمين وكليهما او اياهم المحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها
اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه
ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية
ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل
ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما
يقرا والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة
سمعوها منهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا ما يقرون قراة عارية من معرفة المعنى وتدبره من قوله

تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل

وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم
وقد يطلق العلم بازاء الظن على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به كاعتقاد
المقلد والزايغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلاك ومن قال انه واد او جبل
في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوء فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو
في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون
الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزايغة بايديهم تاكيد

كقوله

كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا
من اغراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الي ما استوجبوه من العقاب الدايم فويل لهم مما
كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشي وقالوا لن تمسنا النار
المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث يتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه
فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قال نعذب بعدد ايام عبادة
العجل اربعين يوما وبعضهم قال مدة الدنيا اربعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما ١٤ الف
قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون
بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله
عهده وفيه دليل علي ان الخلف في خبره محال ام تقولون علي الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة
الاستفهام بمعني اي الامرين كاين علي سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعني بل
اتقولون علي التقرير والتقريع بلي اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا
ودهرا طويلا وعلي وجه اعم ليكون كالبرهان علي بطلان قولهم ويختص بجواب النفي بلي من
كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة
تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة علي
طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة
احواله حتي صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان
غيره ان لم يكن له سوي تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها
السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم ينقطع عنه استجره الي معاودة مثله
والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتي تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه
فيصير بطبعه مايلا الي المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه
عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالي ثم كان عاقبة الذين اساوا السوأي ان كذبوا بايات
الله وقرا نافع خطيئاته وقري خطيته وخطيته علي القلب والادغام فيهما فاوليك اصحاب
النار ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دايمون
او لابثون لبثا طويلا والاية كما تري لا حجة فيها علي خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها
والذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه
ان يشفع وعده بوعيده لترجي رحمته ويخشي عذابه وعطف العمل علي الايمان يدل علي خروجه من
مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل لا تعبدون الا الله اخبار في معني النهي كقوله
تعالي لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الي الانتهاء
فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون علي ارادة القول وقيل تقديره
ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغي
ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب
قسم دل عليه المعني كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا والباقون بالياء وبالوالدين احسانا متعلق بمحذوف وتقديره
وتحسنون او احسنوا وذي القربي واليتامي والمساكين عطف علي الوالدين ويتامي جمع يتيم
كندامي ونديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا
اي قولا حسنا وسماه للمبالغة وقرا حمزة والكسايي ويعقوب حسنا بفتحتين وقري حسنا
بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسني علي المصدر كبشري والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا

الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريق الالتفات ولعل الخطاب
مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ او من اسلم منهم وانتم
معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى
جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما
جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل
معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دماءكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم
عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم
فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك
اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون
اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به
والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم هؤلاء الناقضون كقولك انت
ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند
اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلة والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارها
وتظهّرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا خلفاء
الاوس والنضير خلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق خلفاءه في القتل وتخريب
الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان
ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم
انفسكم كقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير
كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير فكانه شبه بالكسلان
وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق
بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم تفسيره اخراجهم
او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيدا او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب
يعني الفدا وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي
في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي
ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل واحد منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه بالمرصاد
لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير
ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب عما يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب
بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد
اتينا موسى الكتاب يعني التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله

تعالى

تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا تبعه وقفاه به اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من
الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة ٭ قلت لزير لم تصله مريمه ٭
ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح
المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به
لطهارته من مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه اصلاب
ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير
القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه
يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين
الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون استئنافا
والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى
والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على
حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة لن:
على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم
له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا
تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها
اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل
لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ٭
ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيها بل لان
الله خذلهم بكفرهم كما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم
دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة
للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب
من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصصه وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان
المنعوت في التوراة او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه
والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا ٭
من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى
بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا
فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا
طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل
اي حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني الوحي على
من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد
على من هو محمد افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين

عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه وإذا قيل لهم آمنوا
بما أنزل الله يعم الكتب المنزلة بأسرها قالوا نؤمن بما أنزل علينا اي التورية ويكفرون بما
وراءه حال عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد
ما يراد به وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق والضمير لما وراءه وهو القران مصدقا
لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم
تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء
الايمان بالتوراة والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به
عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبياء الله مهموزا في كل القران ولقد جاءكم موسى
بالبينات يعني التسعة المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم
العجل اي الها من بعده من بعد موسى بالبينات او ذهابه الى الطور وأنتم ظالمون
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم
قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان
طريقتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقة اسلافهم مع موسى عليه الصلاة والسلام
لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية واسمعوا سماع طاعة
قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وأشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم
صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم
بيان لمكان الاشراب كقوله سبحانه انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم
وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم
السامري قل بئسما يأمركم به إيمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا
الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاما عليهم إن كنتم
مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم
بهذه القبائح ولا يرخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما امركم به ايمانكم
بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم
بمؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين
واللام للعهد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها
واحب التخلص من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت
او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة
حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له
لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران
وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه
ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب
وكان كما اخبر فانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان
يقول ليت كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص
كل انسان بريقه فمات مكانه ولم يبق يهودي على وجه الارض والله عليم بالظالمين تهديد
لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم أحرص الناس

على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد بها
فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى
فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد
اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون
بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتداء محذوف صفته يود احدهم
على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو
على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية بود دنهم
ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما
احد بمزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل عنه او مبهم وان يعمر موضحة
واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا
اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان
عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال
جبريل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل قال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا
يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدراس اليهود يوما فسالهم عن
جبريل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
صاحب الخصب والسلم فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير
ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة
والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع فالمشهورات جبرئيل ٢ وَجَبْرَئِيلُ كَجَحْمَرِشْ
كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وقراءة
عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرال وجبرائيل وجبرئيل ٤ ح
وجبرئل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل
والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعيينه وفرط شهرته
لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه
على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او تيسيره
حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله فانه نزله ٢ ح
والظاهر ان جواب الشرط والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما
معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي فانه نزله كتابا مصدقا للكتب المتقدمة
فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف
مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة
المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما للشان كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وافراد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل
سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب

لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان الحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر قرا نافع ميكائل كميكاعل وابو
عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكاييل
ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة
والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك اوكلما
عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا
وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا
نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم
لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وان من لم ينبذ منهم
جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى
ومحمد عليه الصلوة والسلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية
لان كفرهم بالرسل المصدق بها كفر فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالايات وراء ظهورهم وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله
يعني ان علمهم به رصين يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالايتين على ان جل اليهود اربع
فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم
بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم
المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون
وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا
ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي تقرؤها
او تتبعها الشياطين من الجن والانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلوا حكاية ماضية
قيل كانوا يسترقون السمع ويضموا الى ما سمعوا الاكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها
ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمن حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمن تم
بهذا العلم وانه يسخر به الجن والانس والريح له وما كفر سليمن تكذيب لمن زعم ذلك وعبر
عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا
باستعماله وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف وبرفع الشياطين يعلمون
الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله
بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة
وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي
واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريكه صاحب خفة اليد فغير
مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على
الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او لانه نوع اقوى منه وعلى ما تتلوا
وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين
وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت
السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان
سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف
على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل

٢ وحه
ع

والمشهور

والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة
والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول وما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا
له انما نحن ابتلاء من الله تعالى فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان
فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما
المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انما مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون
منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثر بالذات بل بامر الله
تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا اذ مجرد
العلم غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه
اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له
في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا
يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتعلمونه يتبعه من العذاب
والمثبت لهم اولا على التأكيد القسمي العقل الغريزي والعلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم
آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة
من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل
وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا
للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل تكون لو للتمني
ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب
اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لتركوا التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون
للرسول صلى الله عليه وسلم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمعه اليهود فافترصوه
وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي
راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى
انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقيل انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج ولما شابه
قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة
واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه
وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع اليهود يظهرون مودة للمؤمنين ويزعمون
انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه وكذلك يستعمل في كل منهما ومن للبيان كما في قوله
تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود
ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى يحسدونكم به وما
يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص

علموا خ

برحمته من يشاء يستنبيه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل
العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته
وما عرف فيه من الحكمة ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون واليهود الا ترون
الي محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها
في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت
الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ اي
نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نؤخرها من النسا
وقري ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار
المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب وقرا ابو عمرو بقلب
الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير
منه والاية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك
لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج
بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة
ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى الله به وليس المراد بالخير والمثل ما كان كذلك باللفظ والمعتزلة على حدوث القران فان ٢ يكون
والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات
الم تعلم الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله
له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل
شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما
هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف
عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سيل
موسى من قبل ام معادلة ل[2] في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى ٢ للهمزة ع
كما يريد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة
به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل
في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد
ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق
المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال
الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقري يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني
احبارهم لو يردونكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين
وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا
ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا
من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا
واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم
وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف
وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة

واتوا

واتوا الزكوة عطف علي فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والتجاء الي الله تعالي بالعبادة والبر
وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقري تقدموا من اقدم تجدوه عند الله
اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقري بالياء فيكون وعيدا وقالوا
عطف علي ودّ والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصاري لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصاري ري
لفّ بين قول الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصاري ثقة بفهم السامع وهود جمع هايد
كهايد وعود وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعني تلك امانيهم اشارة الي الاماني
المذكورة وهي ان لا ينزل علي المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل النار كفارا
وان لا يدخل الجنة غيرهم او الي ما في الاية علي حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة
اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم علي اختصاصكم
بدخولكم الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلي اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو
وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له علي عمله عند ربه ثابتا لا يضيع ولا ينقص
والجملة جواب من ان كان شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معني الشرط
فيكون الرد بقوله بلي وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل
بلي يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصاري ري
علي شي وقالت النصاري ليست اليهود علي شي اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد
نجران علي رسول الله صلي الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون
الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك
مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم علي المكابرة
والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشي قلت
لم يقصد واذلك وانما قصد به كل فريق ابطال الدين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان
ما لم ينسخ منها حق واجب القبول والعمل فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعي في تعطيل
مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين
لما منعوا رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه
ثاني مفعولي منع وسعي في خرابها بالهدم والتعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان
يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا ان يجترؤا
علي تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان
يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص
المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلفت
الايمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي رضي الله عنه بين المسجد الحرام وغيره
لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم
وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان
دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصي فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما
تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان
التولية لا يختص بمسجد ومكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع

باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن
وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم
القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له
الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هو التوطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز
وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله
ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطف على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم
وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة
الفناء الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ
ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا وطبعا بل له ما في السموات والارض
رد لما قالوا واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من
جملته الملائكة والعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه
وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس
والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين مَن
كل عوض من المضاف اليه اي ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه له ولدا له مطيعون مقرون
بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج
بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي
تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله
امن ريحانة الداعي السميع   يؤرقني واصحابي هجوع
او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد
المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي
هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في له او منصوبا على المدح واذا قضى امرا اراد شيئا والقضاء
اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك وفعلا كقوله فقضيهن والطلق على تعلق الارادة الالهية
بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث
وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة
المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وان اتخاذ الولد يكون
بالطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب
في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب
الاول في هذه حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر فالله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم
ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة
الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا
الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول
استكبار والثاني جحود ان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم
من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من
السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا
الايات لقوم يوقنون يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة

الي انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لزيادة طلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسال على انه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم
عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها
او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم
اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله
عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام
هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة والملة ما شرعه
الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راي يتبع الشهوة
بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي والدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير
يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التدبير في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة
والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب اولئك يؤمنون به
بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن
اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح
وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم
الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه
لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك
فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين
الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى ادم من
ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار
والهجرة على على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الايات التي بعدها وقرئ
ابراهيم ربه على انه دعى ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا ليرى
هل يجيبه وقرا هشام عن ابن عامر ابراهام بالالف جميع ما في هذه السورة وفي النساء
ثلاثة احرف وهي الاخيرة وفي الانعام الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف
وفي النحل حرفان وفي مريم ثلاثة احرف وفي العنكبوت الحرف الاخير وفي حمعسق حرف وفي
الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الحديد حرف وفي الممتحنة الحرف الاول فذلك ثلاثة وثلاثون
حرفا وقرا ابن ذكوان خاصة في البقرة بالوجهين فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام
لقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني
جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ فكانه قيل فماذا قال له ربه حين
اتمهن فاجيب بذلك لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع
قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي

له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة موبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من
ذريته مامورا باتباعه **قال ومن ذريتي** عطف على الكاف وبعض ذريتي كما تقول وزيدا
في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت الراء الثالثة ياء كما في تقضيت
من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وذريتي
بالكسر وهي لغة **قال لا ينال عهدي الظالمين** اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون
من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها
وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان
الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته **واذ جعلنا
البيت** اي الكعبة غلبت عليها كالنجم على الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب اليه اعيان
الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد
وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن
حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج
وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** على ارادة القول او عطف
على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا وعلى ان الخطاب
لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي
كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه
عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه
مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رضي الله عنه في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله
وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع وابن عامر
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل** امرناهما **ان طهرا بيتي** بان طهراه
ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق
به او اخلصاه **للطائفين** حوله **والعاكفين** المقيمين عنده او المعتكفين فيه **والركع السجود**
اي المصلين جمع راكع وساجد **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا** يريد البلد او المكان **بلدا امنا**
ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم **وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم بالله واليوم الاخر** ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص **قال ومن كفر**
عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان
الرزق رحمة دنيوية تعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدا تضمن
معنى الشرط **فامتعه قليلا** خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله
بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه **ثم اضطره
الى عذاب النار** اي الزه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب
على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرا
ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر
حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها
دون العكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب **واذ يرفع ابراهيم القواعد**

من

من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود
وهو بمعنى الثبات ولعله مجاز من القائل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه
ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف
قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس
الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم شأنها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما
كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل
منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا
استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين
على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك
اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم
الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي
الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقاء
لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله
وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يجاوز
مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع
في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب
ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها
في فخذ وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما
سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا
وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عليه الصلاة والسلام
فهو المجاب به دعوتهما كما قال النبي عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابراهيم وبشرى ورؤيا امي
يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم
الكتاب القرآن والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك
والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد ويزكيهم الحكيم
المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة
الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها
قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر
ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه
والم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام
او سفه نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب
لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان
لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار
اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال

قوله اجحاف اي نقص هـ

ما نال بالمبادرة الي الاذعان واخلاص السرّ حين دعاه واخطر بباله دلايله المؤدية الي المعرفة
الداعية الي الاسلام روي انها نزلت لما دعي عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الي
الاسلام فاسلم سلمة ومهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية بمعني التقدم الي الغير
بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وقصّاه اذا فصله كان
الموصّي يصل فعله بفعل الموصّي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت علي تاويل الكلمة او الجملة وقرأ
نافع وابن عامر اوصي والاول ابلغ ويعقوب عطف علي ابراهيم اي وصّا هو ايضا بها بنيه وقرئ
بالنصب علي انه ممن وصاه ابراهيم يا بنيّ علي اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصي عند
الكوفيين لانه نوع منه ونظيره

رجلان من ضبة اخبرانا ، انا راينا رجلا عريانا

بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومداين وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو
يعقوب اثني عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخر وزبولون ودون ونفتولي
ولوذ واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفي لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة
الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت علي خلاف حال الاسلام
والمقصود هو النهي عن ان يكونوا علي تلك الحالة اذا ماتوا والامر بالثبات علي الاسلام كقوله
لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة علي ان موتهم لا علي الاسلام موت لا خير فيه وان
من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله
صلي الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصي بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعني الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ
حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره
اكنتم غايبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمومنين والمعني ما شهدتم ذلك وانما علمتموه
من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء
تعبدون اراد به تقريرهم علي التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم علي الثبات عليهما وما يسئل به
عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سيل عن تعيينه وان سيل عن وصفه قيل
ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق
علي وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابايه تغليبا للاب والجد ولانه كالاب
لقوله عليه الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك
علي انه جمع بالواو والنون كما قال ، ولما تبين اصواتنا ، بكين وفديننا بالابينا ،
او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
وفايدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف علي المجرور والتاكيد
او نصب علي الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم او يعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود
وسمي بها الجماعة لان الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعني ان انتسابكم
اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة
والسلام لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا يواخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصاري الضمير الغايب لاهل
الكتاب واو للتنويع والمعني مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت
النصاري كونوا نصاري تهتدوا جواب للامر قل بل ملة ابراهيم اي بل تكون ملة ابراهيم

اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت بالرفع اي بل ملته ملتنا او بالعكس او نحن
ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه
كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل
الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين
لقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم وما انزل الينا يعني القران قدم ذكره لانه اول
بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها
داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط
وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق
وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افرادهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة
الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم
وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن
ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن
له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب
التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين
كدين الاسلام وقيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي
الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق او مزيد للتاكيد كقوله تعالى
جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله
تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرا بما امنتم
به او بالذي امنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون
لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير
شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من
ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو
معاقبهم صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها
فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر
قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ
وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم
ونصبها على انه مصدر موكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم
ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم
اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول
قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا
ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا ملة ابراهيم حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب
قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله اي في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب
قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم
دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا

كانه الزمهم على مذهب ينتحونه الخاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء
والكل فيه سواء واما افاضة حق على المتعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص كما
ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطايها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه
بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعى اليهودية
او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء
عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم
بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه
الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
بالنبوة في كتبهم او غيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله ورسوله وما الله بغافل
عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار
بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الاية لنا تحذير عن الاقتداء بهم
وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء
من الناس الذين خف احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين
لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس
واعداد الجواب ما ولىهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة
في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة
قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره
مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى
وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم
وجعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم
والعمل وهو في الاصل اسم المكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال
المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور
والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء
التي يوصف بها واستدل بها على الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به
عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة الجعل اي لتعلموا
لما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبيل
وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض
عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يجحدون
تبليغ الانبياء يوم القيمة فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على
المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه الصلوة والسلام فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه

الصلاة

الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلي وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم
بكون الرسول عليهم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها
وهي الكعبة فانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة
تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان
يجعل الكعبة بينه وبينه فالخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل
امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة ممن يرتد عن دينك
الفا لقبلة ابائه ولنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى
الاول يزول بزواله معناه وما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن
ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل
عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا
به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليميز الثابت
عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد
له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام
او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت
لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام
بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة
او التولية او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى
الله الى حكمة احكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم
على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه الصلوة والسلام
لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة
على الفواصل وقرا الحرميان وابن عامر وحفص لرؤوف بالمد والباقون بالقصر قد نرى ربما
نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم
يسئل فلنولينك قبلة ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة
الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل
لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه
وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر
المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة
فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين
وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل
الرجال والنساء في صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم
الحكم وتاكيد الامر القبلة وتخصيصها للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون

انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيل المتضمن
كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل والتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان
وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم
وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة
وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان
تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها
متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل
الصخرة والنصارى مطلع الشمس ولا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب
بما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير
اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين
واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا
عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب
يعني علماءهم يعرفونه الضمير راجع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة
الكلام عليه وقيل للعلم او للقران او للتحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول
اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله عنه انه
سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم
قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق
اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول عليه الصلاة والسلام او الحق
الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي
عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب
على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في
كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة
للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من
من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه
او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها
واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد
وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من
الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق
ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض
وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم
كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث
خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون قرأ ابو عمرو بالياء ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم

لتعدد

لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي
كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن
بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلايله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها
شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فالتحري ان يوكد امرها ويعاد ذكرها مرة
بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة
الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا
في قبلتنا والمشركين بان يدعي ملة ابراهيم ويخالف الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس
اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا
الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه
حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء
للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ۞ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب ۞
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم
فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة
مثل اخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة
وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله
اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم وبما بعده اي كما
ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء
قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام باعتبار الفعل ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي
وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت
به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن
المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب
العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا
من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء
احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة
عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد
الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص
الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة
من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي
بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عنهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم
او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه
نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رضي الله
عنه الخوف خوف الله والجوع جوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن
الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد

قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول ولمن يتأتى منه
البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يؤذي
الانسان فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق
لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فهون
على نفسه ويستسلم له والمبشر محذوف دل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد
بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي عليه الصلاة والسلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضيه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه
جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والزيارة فغلبا شرعا على
قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف
على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت
الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج
والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح
فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب
فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه الصلاة
والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا
او زاد ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه
صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى
او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله
شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات
كالايات الشاهدة على امر محمد عليه الصلاة والسلام والهدى ما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان
به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر
ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم
توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك
اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل
الاول لعنتهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم
الله تعالى لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر اي ويلعنهم
الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا
واكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون ولا ينتظرون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له
يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود

الها

الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة فانه لما كان مولي النعم كلها اصولها
وفروعها وما سواها اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله
الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف
بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها
طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار
تعاقبهما كقوله تعالي جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي
بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الي الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر
لانه سبب الخوض فيه والاطلاع علي عجايبه ولذلك قدمه علي ذكر المطر والسحاب لان
منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعني السفينة وقرئ بضمتين علي الاصل والجمع
وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولي للابتداء
والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها
بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف علي انزل كانه استدل بنزول المطر وتكوين النبات
به وبث الحيوانات في الارض احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث
النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي علي الافراد
والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتي ياتي
امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضه
لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه الصلاة
والسلام ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات علي وجود
الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل
بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات
او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج
وحضيض اصلا او علي هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزايها فلا بد لها من موجد قادر
حكيم يوجدها علي ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو
كان معه اله يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع موثرين
علي اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان
اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار بقوله تعالي لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية
تنبيه علي شرف علم الكلام واهله وحث علي البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالي اذ تبرا الذين اتبعوا
ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه
والميل الي طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير
لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي
والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة
موهومة تزول بادني سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الي الله عند الشدايد ويعبدون
الصنم زمانا ثم يرفضونه الي غيره ولو يري الذين ظلموا ولو يعلم هولاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد
اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجري المستقبل مجري الماضي لتحققه كقوله ونادي اصحاب
الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يري وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله

جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق بالجواب والمفعولان محذوفان
والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره
وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي اي ولو ترى ذلك لرايت امرا فظيعا
وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وان الله شديد العذاب على الاستئناف
او على اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون
المتبعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي
رائين له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف
على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا
لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك
الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان
من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه
العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما
في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول
كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض
طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات
الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو
وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي
وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة
من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه
ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته
ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم
وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز
الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما
اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه
في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم
للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء قال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا
بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القران وسائر
ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الاسلام قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى
هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام ولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال او للعطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اي لو كان
اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهذا دليل على المنع
من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء

والمجتهدين

والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع ما انزل الله ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين
كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كالبهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم
في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم
التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو
تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم
ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني
عن الاضمار ولكن لا يساعد عليه قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل
المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم
عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا
لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل
العباد هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى اني والانس والجن في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم
عليكم الميتة وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد
اخرجهما العرف عنها او استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة
التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما
خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه التابع وما اهل به لغير الله
اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته
لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا روي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر وقرا عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر
النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح
للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما
فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت
المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم
عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار لانهم اكلوا ما يتلبس
بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله

، اكلت دما ان لم ارعك بضرة ، بعيدة مهوى القرط طيبة النشر ،

يعني الدية او في المال اي لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال
اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله ، كلوا في بعض بطنكم تعفوا ،
ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في
الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع
والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة
وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما
بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق

اي مقصوده

ارتفع لكلمة لتخصيصه بالعبادة فيقفون ان تسويغ النعم

ون

قوله تعفوا من العفة

بيان
فرفضوه

اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا
في الكتاب اللام فيه للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما
الي التورية واختلفوا بمعني تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه
او حرفوا ما فيها واما الي القران واختلافهم قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين
لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعي
كل طايفة ان البر هو التوجه الي قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن
البر ما بينته واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس
البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب
ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر والملايكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي
ينبغي ان يهتم به بر من امن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس
او القران وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر واتي المال علي حبه اي علي حب المال كما
قال عليه الصلاة والسلام لما سيل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل الغني وتخشي
الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربي واليتامي يريد
المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالباس وقدم ذوي القربي لان ايتاءهم كما قال عليه الصلاة
والسلام اثنتان صدقة وصلة صدقتك علي المسلمين صدقة وعلي ذوي رحمك صدقة
وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دايم السكون كالمسكير
لدايم السكر وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل
الضيف لان السبيل يرعف به والسايلين الذين الجاهم الحاجة الي السوال وقال عليه الصلاة
والسلام للسايل حق ولو جاء علي فرس وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين
او فك الاساري او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتي الزكوة يحتمل ان
يكون المقصود منه ومن قوله واتي المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها
وبالثاني اداها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا
كانت في المال سوي الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا عطف علي من امن والصابرين في الباساء والضراء نصبه علي المدح ولم يعطف لفضل
الصبر علي ساير الاعمال وعن الازهري الباساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض
وحين الباس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب
البر واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذايل والاية كما تري جامعة للكمالات الانسانية
باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة
الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الي الاول بقوله من امن الي والنبيين
والي الثاني بقوله واتي المال الي وفي الرقاب والي الثالث بقوله واقام الصلاة الي اخرها
ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الي ايمانه واعتقاده وبالتقوي اعتبارا بمعاشرته
للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل
الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلي الحر بالحر والعبد بالعبد والانثي
بالانثي كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول علي الاخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثي فلما جاء الاسلام تحاكموا الي الرسول عليه الصلاة والسلام
فنزلت وامرهم ان يتباووا ولا تدل علي ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثي كما لا تدل علي

عكسه

عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوي التخصيص وقد بينا ما كان الغرض وانما
منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي علي رضي الله عنه ان
رجلا قتل عبده فجلده الرسول عليه الصلاة والسلام ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر
رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس علي الاطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوي نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ
ما في القران واحتجت الحنفية به علي ان مقتضي العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب علي
التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ
كتب علي البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه
شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في
اسقاط القصاص وقيل عفي بمعني ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفي الشيء
بمعني تركه بل اعفاه وعفي يعدي بعن الي الجاني والي الذنب قال الله تعالي عفي الله عنها فاذا
عدي به الي الذنب عدي الي الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من
جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق
له ويعطف فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع
والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها
باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل علي ان الدية احد مقتضي العمد والا لما
رتب الامر بادايها علي مطلق العفو وللشافعي في المسيلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو
والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب علي اليهود القصاص
وحده وعلي النصاري العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم
وتقديرا للحكم علي حسب مراتبهم فمن اعتدي بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية
فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة ولكم في القصاص حيوة كلام
في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل
علي ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون
سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم
فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلي الاول فيه اضمار وعلي
الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا
لم يواخذ به في الاخرة ولكم في القصاص حيوة يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احد
خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من
حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم
للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة
علي القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي
الله عنه ان مولي له اراد ان يوصي وله سبعماية درهم فمنعه وقال قال الله تعالي ان ترك خيرا
والخير المال الكثير وعن عايشة رضي الله عنها وعن ابيها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم
مالك فقال ثلثة الاف درهم فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا
وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها

للوصل او على تاويل ان يوصي ولا يصا وكذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا
مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب للشرط باضمار
الفاء كقوله ، من يفعل الحسنات الله يشكرها ، والشر بالشر عند الله مثلان ،
ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث
وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر
لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث
من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى
الله به من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى
به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصيا والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق
عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء او التبديل الا على مبدله لانه الذي حاف
وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع
وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص جنفا
ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للجنف فاصلح بينهم بين الموصى لهم على نهج الشرع فلا اثم
عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح
وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه تاكيد للحكم وترغيب
على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك
عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه النفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة
التي هي مبداها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال
بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من
المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل
معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر
شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين يوما كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان[٢] اصابهم
فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه
ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه عدة صوم عدد ايام المرض
او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب
اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهبت الظاهرية وبه قال
ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه فدية وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر
لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان
باضافة فدية الى الطعام وجمع المساكين وقرا هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام[٣]
وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه
او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه
من فيعل وتفعيل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه

[٢] الموتان مفرد وهو ضد الحيوة ه

[٣] والباقون بغير اضافة وتوحيد المسكين صح

الصوم ويجهدهم وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتاً وقد اول به القراءة
المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيراً فزاد في الفدية فهو فالتطوع
او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون
في الافطار ليدخل تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما او من
التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير
لكم من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب
على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات ورمضان
مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون
كما منع داية من ابن داية علما للغراب للتعريف والتانيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام
رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع
والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر
او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم
الصيام وعن النبي عليه الصلاة والسلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت
التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته
خبر للمبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار
بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق
بينه وبين الباطل لما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر
ولم يكن مسافرا فليصم فيه على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير للتابع على الاتساع وقيل من شهد
منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن
كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شاهد
الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر في السفر والمرض ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع
جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدد
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم علة الترخيص والتيسير او لافعال
كل لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز
ان يعطف على اليسر اي يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله
بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل عند الاهلال وما يحتمل
المصدرية والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد واذا
سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه تعالى بافعال العباد
واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان

تقرير للقرب ووعد الداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم
اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين
اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم
الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على
انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين
احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا
امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه
باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا
بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع
لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء
وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم
وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن
لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل
كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي

اذا ما الضجيع ثنى عطفها ، تثنت فكانت عليه لباسا ،

او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة
كالاكتساب ابلغ من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحى عنكم اثره
فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة
الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته
في اللوح المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من
خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى وابتغوا
المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه
وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض
الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون
يأكلون ويشربون حتى تبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير
البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهادهم في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم
وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا
ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لآخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة
والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة رضي الله عنه كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون
آخر وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله
اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهي عن ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل
لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه

فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود
الله محارمه ومناهيه كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر
والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم
يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او
نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا
طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم
وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي
ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه الصلاة والسلام ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل
على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه
فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار يسالونك عن الاهلة
ساله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى
يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سالوا عن
الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك
ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة تعرف بها اوقاتها
وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت
والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها
الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان
تاتوا البيوت قرا ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بكسر الباء من ظهورها
ولكن البر من اتقى قرا نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا لم
يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون
ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم
سالوا عن الامرين او لانه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره
للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم
ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسالوا امثال ذلك
ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بحال من ترك باب البيت ودخل
من وراءه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله
واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول برا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله
في تغيير احكامه والاعتراض عليه في افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر
وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك
قبل ان يؤمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين منكم
يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة
والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة
ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك

فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة وقتل
من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان
او عملا فهو يتضمن الغلبة ولذلك استعمل فيهما قال

فاما تثقفوني فاقتلوني ... فمن اثقف فليس الى خلود

واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد
من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد
الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة
والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو
اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال
والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون
الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان
الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة
موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم
ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية
للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق
خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه
بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ
عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم
عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا
ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل
الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن
الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا
نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد
ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء الى الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى
لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد
فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة
بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم وتفضلوا على
المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مجتمعي المناسك
لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة وما روي
جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة قال لا ولكن ان تعتمر خير لك يعارضه ما روي ان
رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة
نبيك محمد ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب

الاهلال

الاهلال بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس
وقيل تمامها ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما
بغرض دنيوي او ان النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا
حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو وكل منع من عدو او مرض
او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من كسر او عرج فعليه الحج من
قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاهلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت
الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر
او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم واذا اراد ان يتحلل تحلل بذبح ٢ احصر ح
هدي تيسر من بدنة او بقرة او شاة حيث حصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح
عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث يوم امار
فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي
لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه
وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على ٢ عدم ح
الهدي دليل على القضاء وقال ابو حنيفة رحمه الله يجب والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان
والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان
منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة وقمل ففدية ان حلق من
صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه الصلاة والسلام
قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق
بفرق على ثلاثة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم
في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله قبل الانتفاع
بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى
ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا
احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام
ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين
الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق
عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو
قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة
الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد
جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد وان الكثرة فانه
يطلق لها كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانها اول
عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة
الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن
فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على
مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند
طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر معلومات
معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة

وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا
يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة صحح
الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اقامة للبعض مقام الكل
او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا
او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه
الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب
وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد
النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا يكون وما كانت مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح
كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض
العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر
الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على
الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد قيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن
متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على
الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله تعالى وتقواه حثهم على التقوى
ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سوى الله تعالى وهو مقتضى العقل
المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء بهم
الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا
صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع
سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين
التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف
وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما
هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان
المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف
عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر
فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات
للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها
لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به
وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى
قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه الصلاة
والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم
يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند
المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه

كما هداكم كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم وامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى اذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا منكم لآبائكم لله فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة المراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه ومن تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتأخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة

وفصاحته ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام
ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد
الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب
وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن
المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم
واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زرعهم واهلك مواشيهم
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع لشومه القطر فيهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته
بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم
محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطى للجنب ومن الناس من يشري نفسه
يبيعها ببذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله
طلبا لرضاه قيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال
اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا
مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء
وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم
كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه
ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق
حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال

السلم تاخذ منها ما رضيت به ، والحرب يكفيك من انفاسها جرع

والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت
وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل
الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول
في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز
لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك
جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او باسه لقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا
او ياتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة
كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب
فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون
على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ
منه وضع الماضي موضع المستقبل وتيقن لوقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى
الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من المرجع وقرا الباقون على البناء

للفاعل

للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل
بني اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم
اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي
الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء
على حذف العائد من الخبر الى المبتدا واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي اية الله
بعد معرفتها فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة ازدياد الرجل
وبالتحريف والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه
تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها وكذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله
شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جرم زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا وحسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها
والمزين في الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا هو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل
وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية
مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب
اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء
كانهم جعلوا مبدا السخرية منتداه منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم
في اعلا عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون
عليهم فيسخرون منه كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين
امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير
حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة
متفقين على الحق فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة
والكفر في فترة ادريس ونوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث
الله وانما حذفت لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة
واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القران باسم العلم
ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا
يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال
من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس الله او النبي المبعوث او كتابه فيما
اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب
الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا
للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما
لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلفوا فيه من
الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين
بعده بعد ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع
ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء
والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا فازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى
يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر

وقرأ نافع يقولُ بالرفع على انها حكايةُ حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه **متى نصر الله** استطالة لتاخره **الا ان نصر الله قريبٌ** استئنافٌ على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات **يسألونك ماذا ينفقون** عن ابن عباس رضي الله عنه ان عمرو ابن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت **قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل** سأل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله وما انفقتم **وما تفعلوا من خير** في معنى الشرط **فان الله به عليم** جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لتنسخ به **كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم** شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم** وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم **وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم** وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها **والله يعلم** ما هو خير لكم **وانتم لا تعلمون** ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها **يسألونك عن الشهر الحرام** روي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد عليه الصلاة والسلام الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي اول غنيمة والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية **قتال فيه** بدل اشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل **قل قتال فيه كبيرٌ** اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم **وصد** صرف ومنع **عن سبيل الله** اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات **وكفر به** اي بالله **والمسجد الحرام** على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي داود

اكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً … ونارٍ توقد بالليل نارا

ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في قوله به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار **واخراج اهله منه** اهل المسجد وهم النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون **اكبر عند الله** مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث **والفتنة اكبر من القتل** اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي **ولا يزالون يقاتلونكم**

عم

حتي يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتي يردوهم عن
دينهم وحتي للتعليل كقولك اعبد الله حتي ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد
لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته علي قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت
عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقري بالفتح وهو
لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوايد الدنيوية والاخرة بسقوط
الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كساير الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا
في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك
يرجون رحمت الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة
سيما والعبرة في الخواتيم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والاجر
يسلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول
الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعي عبد
الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا
الصلاة وانتم سكاري فقل من يشربها ثم دعي عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر
فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري
بلحي بعير فشجه فشكا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا بيانا شافيا
في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الي قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل
مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا
لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة
نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتي ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر
ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعني يسالونك
عن تعاطيهما القوله قل فيهما اثم كبير حيث انه يودي الي الانتكاب عن الامور وارتكاب المحظور وقرا
حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان ٥
وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد
التي تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا
ترجحت علي المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسالونك ماذا
ينفقون قيل سايله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية
الانفاق قل العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله
ولا يبلغ منه الجهد قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ، ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
وروي ان رجلا اتي النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال
خذها مني صدقة فاعرض عنه حتي كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا
لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غني وقرا ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح
من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا

مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تاويل الجمع القبيل والجمع لعلكم تتفكرون
في الدلايل والاحكام في الدنيا والآخرة من امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع وتجتنبون
عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم
خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المحافظة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق
الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح ووعيد
ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء
الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان
الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي لا تزوجوهن من المسلمين والمشركات
تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون بقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها
اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام
حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة
فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها او شمائلها او المال او الحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا
تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا اي ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي
الى النار فلا تليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما
فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير
ومخالفة الهوى ويسالونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحائض ولم
يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك
فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسالونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا
لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد
ولذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى والمحيض مصدر اي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه
نفره منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه الصلاة والسلام انما
امرتم ان تعتزلوا النساء في مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن
تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي
وعاصم في رواية ابن عياش تطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن
فاتوهن فانه يقتضي جواز الاتيان عقيب الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز

قربانها

قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتي الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحايض
والاتيان في غير المأتي نساؤكم حرث لكم مواضع حرث شبههن بها تشبيها لما يلقي في ارحامهن من
النطف بالبذور فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من
حيث امركم الله اني شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته
من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية علي الوطي واتقوا الله بالاجتناب
عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المومنين الكاملين في الايمان ن
بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلي الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل
امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت
في الصديق رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق علي مسطح لافترائه علي عايشة رضي الله عنها او
في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته
والعرضة فعلة بمعني المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشي وللمعرض للامر ومعني
الاية علي الاول ان لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان
المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لابن سمرة اذا حلفت علي يمين فرايت غيرها خيرا منها
فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها
من معني الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا
الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلي الثاني ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلونه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله تعالي ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي
اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجتري علي الله والمجتري
علي الله لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم
لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو
اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلي والله لمجرد
التاكيد لقوله ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والمعني لا يواخذكم الله بعقوبة ولا كفارة
بما لا قصد معه ولكن يواخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم
السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء علي ظنه الكاذب والمعني لا يعاقبكم
بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يواخذ
باللغو حليم حيث لم يعجل بالمواخذة علي يمين الجد تربصا للتوبة للذين يولون من نسائهم
اي يحلفون علي ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلي ولكن لما ضمن هذا القسم معني
البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف علي خلاف سبق
والتربص الانتظار والتوقف اضيف الي الظرف علي الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة
فلا يطالب بفي ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء في اكثر من اربعة اشهر ويويده فان
فاوا رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخي بالايلاء
من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان
الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه
ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر او بالوعد ان عجز صح الفي ولزم الواطي ان يكفر والا بانت
بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابي عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات

يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقرا لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر
يتربصن خبر في معني الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الي
امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناء
علي المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن علي التربص فان نفوس النساء طوامح
الي الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها علي التربص ثلاثة قروء نصب علي الظرف او المفعول
به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة
ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى
مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا
واصله الانتقال من الطهر الي الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال علي براءة الرحم لا الحيض كما
قالت الحنفية لقوله تعالي فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
في الحيض واما قوله عليه الصلاة والسلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم
ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتي تطهر ثم ان شاء امسك بعد
وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالي ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد
من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معني الكثرة فحسن
بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة
وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل علي ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم
الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه علي انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجتري
عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الي النكاح
والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها والضمير اخص من المرجوع
اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث
الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به واقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعني الفاعل في ذلك في زمان التربص ان
ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة
بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق
علي الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال
عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها
او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر علي الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم شرعها
لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلاة والسلام
سئل اين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي
تطليقة بعد تطليقة علي التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة
فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعني الاول او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتي تبين وعلي المعني الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق
عقيب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصدقات
روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فاتت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه

في دبر

في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء جماعة
فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت
منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون
بها عند الترافع وقيل انه خطاب الازواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم
على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف
الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ
حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال
وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به على الرجل فيما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه اخذ
تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها اي فلا تتعدوها بالمخالفة
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد
واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع
ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام قال
لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده
وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق
هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد
ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق
لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق
مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق
يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من
بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا حتى تتزوج غيره والنكاح يستند الى كل منهما
كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد
من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني
فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفا دا
من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة
ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رضي
الله عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها
الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى
الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب
تظن ولا تعلم ولا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم
وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون
بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة
ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال

كل حي مستكمل مدة العمر ، ومؤد اذا انتهى اجله

والبلوغ هو الوصول الى الشيء يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح
ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء
الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير
تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا
تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجع
لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال
بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا
آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر
انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج
ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها
الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم
به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي دل سياق
الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب
بها الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى
زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه
لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناده النكاح اليهن لانه بسبب توقفه
على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن
يتزوجن عدوانا وقهرا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل
الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون
به كانوا كالفاعلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت
بيضتها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا
تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال عن الضمير المرفوع
او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن
التزوج من غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل
القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على
ان حقيقة المشار اليه لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن
بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم
انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون
لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز
الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام

فيهن

فيهن حولين كاملين اكدهما بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة
بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب
يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع
حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد
له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى
المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن
واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة
نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف دليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب
اي لا يكلف منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو
عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر
بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى
تضر والباء من صلته اي لا الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره
واضافة الولد اليها تارة والى الاب اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على حقيق بان يتفقا
على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به وبتضارا بسببه وعلى الوارث
مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض
والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب
وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي
رضي الله عنه اذ لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى
وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وقيل عصابته وبه قال
ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا
عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين
والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته
فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم
احدهما على ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا
المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله
حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم
فيه واطلاقه يدل على ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف
صلة سلمتم اي الوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
وليس اشتراط التسليم بجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا
الله مبالغة بالمحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا

يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح اليآء اي يستوفون
اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لايستعملون
التذكير في مثله قط ذهابا الي الايام حتي انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالي
ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة
اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثي فاعتبر اقصي الاجلين وزيد عليه العشر
استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي
المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها
لكن القياس اقتضي تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالي واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصي
الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وساير ما حرم عليها بالعدة
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم
ان يكفوهن فان تقصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا
جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السايل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة
علي الشي بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف
والخطبة بالضم والكسر اسم للحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة
بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها انك جميلة او نافقة
ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون علي السكوت
عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا
عبر بالسر عن الوطي لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن
في السر المواعدة تستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
والمستثني منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة
بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادايه الي قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود فيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها
ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق الباين والاظهر جوازه ولا تعزموا
عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي لا تعزموا عقدة عقدة
النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقد النكاح فان اصل العزم القطع حتي يبلغ
الكتاب اجله حتي ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
من العزم مما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل
خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل
من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلي الله عليه وسلم يكثر النهي
عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن
وقرا حمزة والكسايي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن او تفرضوا
لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتي تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب علي المفعول

بهٖ فعلية بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر
والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهر واما اذا كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة
ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهو مها
يقتضي الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي
الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة
والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام طلق
امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة
وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم
الاية يقتضي مفهوم تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها
الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ
حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا اي تمتيعا بالمعروف بالوجه
الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك
حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة
اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح
المنفي ثمه تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي
المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو
في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير الفعل مبني
ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكا ح
اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو
مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر للزوج بنفسه واليه ذهب بعض
اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة
وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج
على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما
على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق
استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفى عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل
بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع
تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل
الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها
والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا صلاة العصر لقوله عليه
الصلوة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا
وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها
في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام

افضل العبادات احمزها اي اشقها قيل الفجر لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة
في المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار
وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عايشة انه عليه الصلاة
والسلام كان يقراء والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت
بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله
في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال
ابن المسيب المراد به القنوت في الوتر الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا
فصلوا راجلين وراكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقايم وقيام وفيه دليل
على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي
والمسايفة ما لم يمكن فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلاة الامن
او اذكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلاة حالتي
الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول
علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قراها بالنصب
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد
ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع
على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية
او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب
بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع على قراءة من قراءه لانه بمعنى التمتيع
غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم
اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا
لازواجهم بان يمتعن من بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت
المدة باربعة اشهر وعشر وهو ان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي
حنيفة رحمه الله فلا جناح عليكم فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم
ايها الايمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع
وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة
بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم
حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت
المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها للواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره
بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المتاع نفقة المعتدة ويجوز ان يكون
اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القضية كذلك اشارة الى ما سبق من احكام
والعدد يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون
اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم
تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به
من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل

داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرايل دعاهم ملكهم الى الجهاد
ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل
عشرة وقيل ثمانون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود
والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا
كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته
وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل
على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى
الله اليه ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض على الشهادة
وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث
احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس
لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والا ستبصار
وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة
واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا
ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره
والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا
طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف
جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا ابن
كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله
وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعو ل
الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه
للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت
حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرا نافع والكسائي والبزي
وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في الخلق بصطة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قد منتم
الم تر الى الملا من بني اسرايل الملا جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي
لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم
لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على
الجواب وقرى بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء
مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال
ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا له
وتثبيتا وقرا نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد

اخرجنا من ديارنا وابنائنا لبي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه
ويجب من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من
العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا علي بني اسرائيل
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من اولاد الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر
والله عليم بالظالمين وعيد لهم علي ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف
يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم صلي الله عليه وسلم لما دعي الله ان يملكهم اتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا اني يكون له الملك علينا من
اين يكون له ذلك علينا ويستكمل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من
المال والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما
قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم
يكن فيهم النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم
من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم
بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية
وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوي علي مقاومة العدو ومكابدة
الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه
وثالثا بانه تعالي مالك الملك علي الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع
الفضل يوسع الفقير ويغنيه عليهم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال
لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة علي انه سبحانه اصطفي طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه
ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج
منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله بدلها كما ابدل
من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان
من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة
من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع
فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسي عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه
فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد وياقوت
لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل فيه صور الانبياء من
ادم الي محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم
والاخلاص واتيانه تصيير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك
ال موسي وال هرون رضاض الالواح وعصي موسي وثيابه وعمامة هارون والهما
ابناؤهما او انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما
تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسي فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل
كان بعد مع انبيائهم يستفتحون به حتي افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت

الي ان

الي ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتي هلكت خمس مداين فتشاموا بالتابوت فوضعوه
علي ثورين فساقتهما الملايكة الي طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين يحتمل
ان تكون من تمام كلام النبي وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالي فلما فصل طالوت
بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن كثر حذف
مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري
الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه
فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني
اي من لم يذقه من طعم الشي اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال
وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار
النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة
الثانية للعناية بها كما قدم الصابيون علي الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا
والمعني الرخصة في القليل دون الكثير وقرا ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا
منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه الا ان يكون بوسط وتعميم
الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقري بالرفع حملا علي المعني
فان قوله فشربوا منه في معني فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثماية وثلاثة عشر رجلا
وقيل ثلاثة الاف وقيل الفا روي ان من اقتصر علي الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا
لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه
قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء
الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل
الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف
وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهم كم من فية قليلة غلبت
فية كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة
او مزيدة والفية الفرقة من الناس من فاوت راسه اذا شققته ومن فاء اذا رجع
فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت
وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا علي القوم الكافرين التجاوا الي الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا
اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب
المسبب منه ثم النصر علي العدو المرتب عليه غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم
بنصره او مصاحبين بنصره اياهم اجابة لدعايهم وقتل داود جالوت قيل كان
ابوه ايشا في عسكر طالوت مع ست من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا
يرعي الغنم فاوحي الله الي نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وكان قد
كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه
بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتيه الله الملك اي ملك بني اسرايل ولم يجتمعوا
قبل داود علي ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير

لانه ينفخ الفؤاد برده
النفاخ الماء العذب والبرد النوم

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار
ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ
نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك ايات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك
طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين
لما اخبرت بها من غير تعرف وسماع تلك الرسل فضلنا اشارة الى الجماعة المذكورة
قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا
بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل
له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي
الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ
كلم الله موسى وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله اي
بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره بوجوه متعددة وبمراتب
متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والايات المتزايدة المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضايل العلمية والعملية
الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني
عن التعيين وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله
تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل واتينا عيسى بن مريم
البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة ومعجزات
عظيمة لم يستجمعها في تعظيمه غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات
الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من امن
بتوفيقه التزم دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله
ما اقتتلوا كرره لتاكيد المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل
بعضهم بعضا ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض
لكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة
لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا وكفرا يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم
مما اوجبنا عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ
لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم
عليه اخلاكم او يسامحونكم به ولا شفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى
تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها
في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم
او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا

وتهديدا

وتهديدا كقوله تعالى ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار
كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة **الله لا اله الا هو** مبتدا وخبر والمعنى
انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح
ان يوجد **الحي** الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناع
القوة والامكان **القيوم** الدايم القايم بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر
اذا حفظه **لا تاخذه سنة ولا نوم** السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان اقصده النعاس فرنقت ، في عينه سنة وليس بنايم

والنوم يعرض للحيوان من استرخاء عصب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة
عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس
او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل
التي بعده **له ما في السموات وما في الارض** تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في
الحيوة الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا
فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه**
بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه ويستقل بان يدفع ما يريده شفاعة
واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا او مناصبة **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم**
ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا
وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه او ما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة
والانبياء **ولا يحيطون بشيء من علمه** من معلوماته **الا بما شاء** ان يعلموا وعطفه على
ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته **وسع**
كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي
في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك
وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله عليه
الصلاة والسلام ما في السموات السبع والارضين السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك
البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي
وهو الملبد **ولا يؤده** ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج **حفظهما** اي
حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول **وهو العلي** المتعالي
عن الانداد والاشباه **العظيم** المستحقر بالاضافة كلما سواه وهذه الاية مشتملة على
امهات المسايل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه المقيم لغيره منزه
عن التحيز والحلول مبرا عن التغيير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري
الارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي
لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشيا كلها جليها وخفيها كليتها وجزئيها
واسع العلم والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله

شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من
سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلاة والسلام من قرأ اية الكرسي في دبر كل
صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن
قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه
ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل
على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة
ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو
اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله
او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب لامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل ٢ عينه و ع
الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من
الحبل الوثيق وهي مستعارة للمتمسك المحقق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام
لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع عليم بالاقوال عليم
بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين امنوا محبهم ومتولي امرهم والمراد
بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات
ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور
الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من
الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم
من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات
وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار
التسبب لا يأبى تعلق قدرته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد
وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان اتاه الله الملك اي ابطره ايتاء
الملك واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له
على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك
وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل
من ان اتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحياة والموت في الاجساد
وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل وقرأ نافع انا
بالالف قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
اعرض ابراهيم عن الاعتراض من معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على

نحو

نحو هذا التمويه دفعا للشناعة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من
مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى فلعل نمرود زعم انه
يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر
الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه ثم اخرجه ليحرقه
فقال له من ربك الذي تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ
فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق
الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او رايت مثل الذي فحذف لدلالة
الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر
من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي
حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر الى كالذي حاج
او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذكره جوابا
لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحيا يكون كاحياء الذي مر وهو عزير
شرحيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس
حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها قها
من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء
واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مومنا واستبعادا ان كان كافرا وانى
في موضع نصب على بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام
فالبثه الله مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم
لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف
الايمان وقيل ملكا او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقوله الظان وقيل انه
مات ضحى وبعثه بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت
فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء
اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكتت ان قدرت واوا وقيل اصله من الحماء المسنون ن
فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام
والشراب كالجنس الواحد وقيل طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل
على حاله وقرا حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك كيف
تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما
حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك
اية للناس اي فعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير
فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن
الله وقيل رجع الى منزله وكان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث
مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الى الاموات الذين تعجبت من احيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب ننشرها

من نشر بمعنى انشرهم ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبة او هو نفسه يخاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحي الموتى انما سال ذلك ليصير عيانا وقيل لما قال نمرود انا احي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس بالايمان ليجيب بما اجاب ليعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاووس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال

ولكن اطراف الرماح تصورها وقال

وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح

وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر جزؤا بضم الزاي حيث وقع ثم ادعهن اي قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على سائر الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه الحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم عليه الصلاة والسلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله

يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلي حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه مقادير الثواب
ومن اجله تتفاوت الاعمال في الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم
لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذي نزلت في عثمان رضي الله عنه فانه جهز
جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فاتي النبي عليه
الصلاة والسلام باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه علي من احسن
اليه والاذي ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق
وترك المن والاذي لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معني الشرط ايهاما بانهم اهل
لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز
عن السايل ونيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السايل بان يعذره ويغتفر
رده خير من صدقة يتبعها اذي خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها صح
بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويوذي
بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي لا تحبطوا اجرها
بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يومن بالله واليوم الاخر
كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به وجه الله ولا ثواب الاخرة او
مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب علي المصدر او الحال ورئاء نصب
علي المفعول له او الحال بمعني مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله اي مثل المرائي
في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر
فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون علي شيء مما كسبوا لا ينتفعون
بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعني لان المراد
به الجنس او الجمع كما في قوله ◦ وان الذي حانت بفلج دماؤهم ◦
والله لا يهدي القوم الكافرين الي الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء
والمن والاذي علي الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمومن ان يتجنب عنها ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم
علي الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتديا من اصل انفسهم
وفيه تنبيه علي ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة
بربوة اي ومثل نفقة هولاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان الشجر فيه يكون فيها
احسن منظرا وازكي ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها
لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف
المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه
علي الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل
او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر
والمعني ان نفقات هولاء زاكية عند الله تعالي لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة علي الربوة

ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزايدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الريا وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له
جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها
من كل الثمرات ليدل على احتوايها على ساير انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات
المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فانه الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو
للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصف تنعكس عن الارض الى السماء
مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كريا وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة
بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره الى عالم الملكوت وترقي بفكره الى جانب
الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء
منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا
لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف
لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما اخرجنا
وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرى ولا تؤمموا بضم التاء تنفقون
حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة
حالا منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان
تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرى تغمضوا
اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم
به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد
في الاصل شايع في الخير والشر وقرى الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين
ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي
والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل
مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه
يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول
الثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن
يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير خيرا خير الدارين وما يذكر وما يتعظ
بما قص من الايات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم
بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن شوايب الوهم والركون الى متابعة
الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم
من نذر بشرط او غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما
للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا
يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات

فنعما

فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على
الاصل وقرا ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر
النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها
مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان
ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع
تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة
وعشرين ويكفر عنكم سيئاتكم قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص اي والله
يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون
مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر
وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا
ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار به ليس عليك
هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن
والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح
بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير
من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا
الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس
نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي
وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية
السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اللهم
اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان اناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع
في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا
في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون
ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم ضربا في الارض ذهابا للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من
اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم
والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحسبهم الجاهل بحالهم وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف
من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب
للرسول او لكل احد لا يسالون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى
يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم
لا يسالون وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره   ونصبه على المصدر فانه نوع من السؤال
او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا
على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات
والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة

عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله
عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم
علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف
والخبر محذوف اي منهم الذين ينفقون ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين
ياكلون الربوا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا
شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى
اجل او في العوض بان يباع احدهما بالاخر باكثر من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة
للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا
من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو
وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق
كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختبط
عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي
بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع
في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع
ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من
اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل
مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا
انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن
بلغه وعظ من الله فرحمه كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف
تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة
وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره
الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه
وانتم لا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال
الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه
عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه
عليه الصلاة والسلام صلى الله عليه وسلم ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب
لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في
ارتكابه ان الذين امنوا بالله وبرسله وبما جاءهم منهم وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان
كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على
بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا

بحرب

بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشي اذا علم به وقرا عاصم وحمزة في
رواية ابن عياش فاذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من
طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المرابي بعد الاستتابة حتى
يفي الي امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا
بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الربوا
ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد
على ما قلناه فان المصر على التحليل مرتد وله في وان كان ذو عسرة وان وقع غريم
ذو عسرة وقري ذا عسرة فان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة
او فليكن نظرة وهي الانظار وقري فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظرة بمعنى منتظرة
او صاحب نظرته على النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الي ميسرة يسار وقرا نافع
وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقري بهما مضافين بحذف التاء
عند الاضافة كقوله ، واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ،
وان تصدقوا بالابراء وقراءة عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار
او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه
الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله يوم القيمة او يوم
الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفي
كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف ١٢ الصلاة و صح
عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنه انها اخر اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها
في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى
وعشرين يوما وقيل احدى وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها
الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته
نسيئة معطيا او اخذا وفايدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه
الي المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الي اجل مسمى معلوم
بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور
على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف
وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية ولا يزيد ولا ينقص وهو في
الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجي مكتوبه موثوقا به معدلا
بالشرع ولا يأب كاتب ولم يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه
من كتب الوثايق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى
واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الامتناع
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملل من عليه الحق
لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص منه شيا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق
سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان
يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل
اي الذي يلي ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم

ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم
او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم
من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال
ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين لم فان لم يكن
الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فليستشهد رجل وامرأتان وهذا
مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون
من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار
العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة
في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار
بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة فان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن
كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة
وسموا شهداء تنزيلا لمن يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا
من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل
لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يقول المؤمن كسلت
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة وسموا شهداء تنزيلا لمن يشارف منزلة
الواقع وما مزيدة صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب
او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند
الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام
على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب
لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود
ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين
وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوه
لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا
ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله

بني اسد هل تعلمون بلاءنا . اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا

ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة
وقيل انها للوجوب وقد اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل
البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة
والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم
ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان
وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا
الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم
كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد
بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على

سفر

سفر مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم
رهان او فالمأخوذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه
مجاهد والضحاك لانه عليه الصلاة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودي
بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق
بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك
وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما رهن بمعنى رهون وقرئ باسكان الهاء
على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين واستغنى
بامانته عن الارتهان فليؤد الذي ايتمن امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه عليه
بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي اتمن بادغام الياء في التاء
وهو خطاء لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة
وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديونون
والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه ياثم
واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان تقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او
للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في قلبه
نفسه فاخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله
بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتيب المغفرة والعذاب
عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب
التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون
عطفا على الشرط ومن جزمهما بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال
كقوله ، متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ، تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ،
وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر
على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على
صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير
الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير
للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم
اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان لا عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي
وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع
في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون
لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه
لقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله تعالى فما منكم
من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب
وقالوا سمعنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر لنا غفرانك او نطلب غفرانك واليك
المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسعه
قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها او يتيسر عليها

كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها
ماكسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها
غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر
تشتهيه النفس وتنجذب اليه وكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطاء من تفريط وقلة
مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها
يؤدي الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان
لم يكن عزيمة فالله تعالى وعد التجاوز رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو به الانسان
استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام
رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبأ ثقيلا يأصر صاحبه
اي يحبسه في المكانة يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم صفة
لاصرا والمراد به ما كلف بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال الى الزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها
الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل عنه والتشديد
ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر
عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا
فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به
عامة الكفرة وروي انه عليه الصلاة والسلام لما دعى بهذه الدعوات قيل له فعلت
وعنه عليه الصلاة والسلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل
ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزاتاه عن قيام الليل
وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرده
قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقيل ينبغي ان يقال السورة التي يذكر
فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن
يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة
الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان
الميم في حكم الوقف كقوله واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب
الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه الصلاة
والسلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي
ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم انزل عليك
الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل وبالصدق في اخباره او بالحجج المحققة
انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية

والانجيل

والانجيل جملة علي عيسي موسي واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة
وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وليس هو من
ابنية العربية وقرا ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع
القران ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرا بالفتح كقراءة الباقين
من قبل من قبل تنزيل القران هدي للناس علي العموم ان قلنا انا متعبدون
بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية
فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الالهية الثلاثة ليعم ما عداها
كانه قال وانزل سائر ما يفرق بين الحق والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره
بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا
ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات
الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب
لا يمنع عن التعذيب ذو انتقام لا يقدر علي مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل
منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الي ما هو
العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفي عليه
شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم جزئيا كان او كليا ايمانا وكفرا
فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادني
الي الاعلي ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل علي كونه حيا هو
الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل علي كونه
علي القيومية والاستدلال علي انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ
تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه
ولا يقدر علي مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الي كمال قدرته وتناهي حكمته وقيل
وهذا حجاج علي من زعم ان عيسي كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلي الله
عليه وسلم نزلت السورة من اولها الي نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب
عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها
بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد
علي تاويل كل واحدة وعلي ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح ده
مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم علي ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها
فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات
معالي الدرجات واما قوله تعالي الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد
المعني وركاكة اللفظ وقوله تعالي كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا
في صحة المعني وجزالة اللفظ واخر جمع اخري وانما لم ينصرف لانه وصف معدول
عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان يعرف ان القياس ان يعرف ولم يعرف
لانه في معني المعرف او عن آخر فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب
ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه
وابتغاء تاويله وطلب ان ياولوه علي ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الي الاتباع

مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلايم
الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي
ثبتوا وتمكنوا ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا
ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره
غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون امنا به استيناف موضح لحال الراسخين
او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المحكم والمتشابه
من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن
النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي
الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما
قبلها في تصوير الجسد وتسويته وانها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين
ان يكون جوابا بانه مصور الاجنة كيف يشاء من نطفة اب ومن غيره وبانه
صوره في الارحام والمصور لا يكون المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين
وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل
لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا
بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع
الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك
ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب
الى كل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على
عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه
في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق
بالاخرة فانها المقصد ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار
به وتعظيم الموعود به لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق
مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين
كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية
او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها
كداب ال فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد
بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هؤلاء كدابهم في الكفر
والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين
من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله
شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه
عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم
ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت

انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح
خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء
فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد
كان لكم اية الخطاب لقريش قيل ولليهود وللمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر
فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين
مثلي عدد المشركين وكان قريب الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة
عشر وذلك بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا
في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي
المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به
في قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب
بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر
على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص والحال من فاعل التقتا راي العين
رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي
التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة اية
ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة
لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها
شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت
حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء
او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه
من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق
الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير
وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة
ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة
او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع
الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على
استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم
بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان
يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير
وازواج مطهرة مما يستقذر ورضوان من الله قراءة عاصم في جميع القران بضم الراء
ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير
بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم
جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله كقوله تعالى
ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة المتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب

السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب
فان معاملته مع الله اما توصل واما طلبة والتوصل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل
وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما
فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما
الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة
على استقلال كل واحدة منها او كمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار
لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفا والروع اجمع
سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله
انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة
بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان
والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على
الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها
حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود
به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر
المحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بادلة التوحيد وليبني عليه
قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما
على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه قال عليه الصلاة
والسلام يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق
من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان
الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله تعالى
سوى الاسلام وهو التوحيد والتمسك والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه
وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه لا اله الا هو بالفتح على وقوع الفعل الثاني
واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال اخرون انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في
التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا
بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي ما علموا
حقيقة الامر وتمكنوا بالايات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة
وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم
فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت
نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القيم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه
الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ااسلمتم كما اسلمت لما

وضحت

ووضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة
او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال
وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله
بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم
هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم راضوا به وقصدوا
قتل النبي والمومنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرا حمزة ويقاتلو ن
الذين ومنع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى
المبتدا بخلافهما الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية جنس الكتب
من الكتاب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلوات الله عليه وسلامه وكتاب
الله القران او التورية لما روي انه عليه الصلاة والسلام دخل مدارسهم فقال له نعيم
ابن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان
يهوديا فقال هلموا بنا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في
الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على
الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان
الرجوع واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما
صاغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة للتولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم على هذا الاعتقاد الزائغ
والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما
قلائل او ان اباءهم يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان
لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما
يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم
القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار
ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المومن
لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص
منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض
من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف
وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء
ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء تعطي منها ما تشاء ممن تشاء وتسترد فالملك عام والاخران بعضان منه وقيل المراد
بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا
او في الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء
قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي
ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه الصلاة

والسلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل النهار ادخال احدهما بالاخرة بالتعقيب والزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها وانشاء الحيوانات من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوها حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم احقاء بالموالاة وان في موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوها حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال

تود عدوي ثم تزعم انني * صديقك ليس النوك عنك بعازب

الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل متعدي بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلانيتكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسر على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف عملها من الخير والشر محضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر

وتودّ حال من الضمير في عملت وخبر لما عملت من سوء وتجد مقصور علي ما عملت من خير
ولا تكون ما شرطية لارتفاع تودّ وقرئ ودّت وعلي هذا يصح ان تكون شرطية ولكن
الحمل علي الخبر اوقع معني لانه حكاية كاين واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله
نفسه كرّره للتاكيد والتذكير والله روف بالعباد اشارة الي انه تعالي انما نهاهم
وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجي رحمته
ويخاف عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الي الشيء لكمال
ادركته فيه بحيث يحملها علي ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله
وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والي الله لم يكن حبه الا لله
وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص علي طاعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب الامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوّئكم في جوار قدسه عبر
عن ذلك بالمحبة علي طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه
بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل
نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا علي عهده
عليه الصلاة والسلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعني فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضي عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل ولا يحبهم لقصد
العموم والدلالة علي ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته
مخصوصة بالمومنين ان الله اصطفي ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران علي
العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا علي ما لم يقو
عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها مقدمة لمحبة الله عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل علي فضلهم علي الملايكة وال ابراهيم اسمعيل
واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام وال عمران موسي
وهرون ابناء عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسي وامه مريم
بنت عمران بن ماثان بن ايبغازار بن ابي نور بن رب بابل بن شالتال بن يوحنان
ابن اوسنا بن اموذن بن منشا بن حازقيا بن اخاد بن يوثام بن عزريا بن نوازم
ابن ساقط بن ايشيا بن ارنيا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشي عوند بن
سلمون بن باعر بن نحشون بن عميادا بن رام بن حضروم بن فايض بن يهودا بن يعقوب
وكان بين العمرانين الف وثمانين سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من
الالين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض في الدين
والذرية الولد يقع علي الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها
ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان
مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب
اني نذرت لك ما في بطني محررا فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنه
بنت فاقوذا جدة عيسي وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون
فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج
بنته ايشاع فكان يحيي وعيسي ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل

شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الي الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني
ولدا اتصدق به علي بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا
النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر علي التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا
لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصب علي الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت
السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثي الضمير لما في بطنها
وتأنيثه لان كان انثي وجاز انتصاب انثي حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال واصلها
بالذات واحد او علي تأويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما قالت تحسرا وتحزنا الي ربها
لانها كانت ترجوا ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي
وضعت وهو استيناف من الله تعالي تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر
وابو بكر عن عاصم وضعت علي خطاب الله تعالي لها وليس الذكر كالانثي بيان لقوله والله
اعلم بما وليس الذكر الذي طلبت كالانثي التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون
من قولها بمعني فليس الذكر والانثي سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها
مريم عطف علي ما قبلها من قولها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه
وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتي يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم بلغتهم بمعني
العابدة وفيه دليل علي ان الاسم والمسمي والتسمية متغايرة واني اعيذها بك
اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة
وعن النبي عليه الصلاة والسلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتأثر منه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر
منه الا مريم وابنها فان الله تعالي عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي
بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها
مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة
لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الي المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه
النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت
رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها قالوا الا بقرعة
وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الي نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفي قلم زكريا ورسبت
اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا علي تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان
يكون تقبل بمعني استقبل كتقضي وتعجل اي اخذها في اول امرها حين ولدت بقبول
حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا
شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش
علي ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف
الباقون ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها
او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت
في اشرف موضع في بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان
لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وبالعكس قال يا مريم اني لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتي في غير
اوانه والابواب مغلقة عليك وفيه دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة

خ للخدمة

زكريا

زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة
كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون
من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن
الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها اني لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة بني اسرائيل
ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها
هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان
لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها
لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من
الشيخ الفاني فسال وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب
المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب
يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير
وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال من الضمير
في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول
او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا
فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه
وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة
كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه
ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في
صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا
منهم او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا
من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر
ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة
وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله
يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ
فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد
او كذلك مبتدا وخبره اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان قال رب
اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار
قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس
لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال ايتك
ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو
يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد
بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال
منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله

متى ما تلقني فردين ترجف ، روانف اليتيك وتستطارا

واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين الغرض منه وتقييد الامر بالكثرة
يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر
او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة
جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملايكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك معجزة زكريا
او ارهاص لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها
للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها مما يستقذر من النساء والثاني
هدايتها وارسال الملايكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب
وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلاة في الجماعة بذكر
اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم
او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب اولتقترن اركعي للايذان بان من ليس في صلاتهم
ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل
ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة لقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها
الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا
باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم
بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم
فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف
دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملايكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من
اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته زمن كذا يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب يسوع
واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع
او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت
صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس
مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فانه اسم علامة
للمسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانما
قيل ابن مريم والخطاب لها لينبه على انه يولد من غير اب اذ الاولاد ينسبون الى الاباء ولا
ينسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي
وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكير الضمير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي
الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه
الى السماء وصحبة الملايكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا
كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل
انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى

انه

انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي يكلم قالت
رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه
يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القايل جبريل او الله وجبريل حكي
لها قوله تعالي كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها
دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر
تطييبا وازاحة لما اهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف علي يبشرك
او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرا
نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الي بني اسرايل اني قد جيتكم باية من ربكم
منصوب بمضمر علي ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جيتكم او بالعطف
علي الاحوال المتقدمة مضمنا معني النطق بها وكان قال وناطقا باني قد جيتكم وتخصيص
بني اسرايل لخصوص بعثته اليهم او للرد علي من زعم انه مبعوث الي غيرهم اني اخلق
لكم من الطين كهية الطير نصب بدل اية او رفع علي هي اني اخلق لكم والمعني اقدر
لكم واصور شيا مثل صورة الطير وقرا نافع بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طايرا بامر الله نبه به علي ان احياءه من الله لا منه
وقرا نافع هنا وفي المايدة طايرا بالالف والهمزة وابري الاكمه والابرص الذي ولد اعمي
او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضي من اطاق منهم اتاه ومن
لم يطق منهم اتاه عيسي وما يداوي الا بالدعا واحي الموتي باذن الله كرر باذن
الله دفعا لوهم اللاهوتية فان الاحيا ليس من جنس الافعال البشرية وانبيكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك
لاية لكم ان كنتم مومنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين
للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف رسولا علي الوجهين
او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جيتكم اي وجيتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره
او مردود علي قوله اني قد جيتكم باية او معطوف علي معني مصدقا كقولهم جيتك معتذرا
ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسي كالشحوم والثروب
والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل علي ان شرعه كان ناسخا لشرع موسي
ولا يخل ذلك بكونه كان مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه
بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجيتكم باية
من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم اي جيتكم باية اخري الهمنيها ربكم وهو قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة
الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر او جيتكم باية علي ان الله
ربي وربكم وقوله تعالي فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جيتكم
باية بعد اخري مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الي الحكم ولذلك رتب
عليه بالفا قوله فاتقوا الله اي لما جيتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا
الله واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان
الله ربي وربكم اشارة الي استكمال القوة الالهية النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته
التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الي استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي
الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق

المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل امنت بالله ثم استقم
فلما احس عيسي منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري
الي الله ملتجيا الي الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا
معني الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الي الله في نصرتي وقيل الي ههنا بمعني
مع او في او اللام قال الحواريون حوار الرجل خالصه من الحور وهو البياض الخالص
ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسي عليه الصلوة والسلام
لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسي
من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار
دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم
وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع
الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه الصلاة
والسلام فانهم شهداء علي الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسي والقي شبهه علي من قصد اغتياله
حتي قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الي مضرة لا تسند الي الله
الا علي سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم علي ايصال
الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل
وقع ذلك يا عيسي اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الي اجلك المسمي عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما
او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الي عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات
ثم رفعه الي السماء واليه ذهبت النصاري ورافعك الي الي محل كرامتي ومقر ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الي يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته
من المسلمين والنصاري والي الان لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة
ثم الي مرجعكم الضمير لعيسي ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين علي الغائبين فاحكم
بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فنوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك ذلك اشارة الي ما سبق من نبا عيسي وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك
وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا علي ان العامل معني
الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل علي
الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل يريد به القران وقيل اللوح ان مثل عيسي عند
الله كمثل ادم ان شانه الغريب كشان ادم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة
لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب وامر شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد
الشبه والمعني خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه
خلقا اخر او قدر تكوينه من تراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم للتراخي الخبر لا المخبر
فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا
ومن ربك الخبر اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي علي طريقة

التهييج للثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصاري فيه في عيسي من بعد ما جاءك
من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناء كم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله
والصقهم بقلبه الي المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم علي النفس لان الرجل يخاطر بنفسه
لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح
اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله علي
الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الي المباهلة قالوا حتي ننظر فلما تخالوا قالوا
للعاقب وكان ذا رايهم ما تري فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل
وانصرفوا فاتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصاري اني لاري وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا
فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم وبذلوا الجزية الفي حلة حمراء وثلاثين درعا
من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتي الطير علي الشجر وهو
دليل علي نبوته وفضل من اتي بهم من اهل بيته ان هذا لهو القصص الحق يحتملهما خبر
ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسي ومريم حق دون ما ذكروه وما
بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الي المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل علي
المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن الزائدة للاستغراق تاكيدا للرد علي النصاري
في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة
البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع
المظهر موضع المضمر ليدل علي ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين
والاعتقاد المؤدي الي فساد النفس بل والي فساد العالم ايضا قل يا اهل الكتاب يعم
اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الي كلمة سواء بيننا
وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده
بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة
ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير
ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان
كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا
مسلمون اي لزمتكم الحجة فاشهدوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما
نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الي ما راعي في هذه القصة
من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسي وما تعاور
عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راي عنادهم
ولجاجهم دعاهم الي المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الي ما وافق عليه عيسي

والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر
لاتغني عنهم اعرض وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لما تحاجون في ابراهيم
وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصاري في ابراهيم
وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت والمعني ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل علي موسي وعيسي وكان ابراهيم قبل موسي
بالف سنة وعيسي بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هولاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها علي
حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهولاء خبره وحاججتم جملة اخري مبينة للاولي اي
انتم هولاء الحمقي وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل
عنادا وتدعون ورود فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من ذكر ابراهيم
وقيل هولاء بمعني الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم علي الاستفهام للتعجب
من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرا نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همزة
وورش اقل مدا وقنبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالهمز والالف والبزي
بقصر الالف علي اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضي ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا
مايلا عن العقايد الزايغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان علي ملة الاسلام والا لا
لاشتراك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح
ورد لادعاء المشركين انهم كانوا علي ملة ابراهيم ان اولي الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم
منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم
له في اكثر ما شرع لهم علي الاصالة وقري النبي بالنصب عطفا علي الهاء في اتبعوه وبالجر
عطفا علي ابراهيم والله ولي المومنين ينصرهم ويجازيهم الحسني لايمانهم ودت طايفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة ومعاذا الي اليهودية ولو
بمعني ان وما يضلون الا انفسهم ولا يتخطاهم الاضلال ولا يعود الا عليهم اذ يضاعف به
عذابهم وما يضلون به الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت علي نبوة محمد عليه الصلاة والسلام
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقري تلبسون
بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل لقوله عليه الصلاة والسلام
كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ونعته وانتم تعلمون
عالمين بما تكتمونه وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل علي الذين امنوا وجه
النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به
اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف
ومالك ابن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلاة الي
الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الي الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا
وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثني عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول
النهار ويقولون اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد
في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق

وباله

قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى
واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم
على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم
ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله
قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان
هدى الله بدل عن الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد
الوجه الاول اي لان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الهدى الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار
يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا
استودعه قرشي دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب
فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر وابو
عمرو يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام
والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا
في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه
بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا
من اهل الكتاب ولم يكونوا من ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم
في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط
حقكم حيث تركتم دينكم فزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه الصلاة والسلام انه
قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها
والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى
ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان
الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات
وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم
يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم كقوله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه
والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب
اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم
الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد

اشتراها بما لم يشتريه وقيل في تنازع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض
وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم
بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ
يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ
ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا
اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي
من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر
بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا
ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو
الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين
الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير
والاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ
تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز
ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول
وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم
يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على
معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو من
العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرا ابو عمرو على اصله في الاختلاس
برواية الدوري والضم والكسر ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد
اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه كان على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به
اولى وقيل اضافة النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم
نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا
منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية
اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين
اتيتكم او بمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث

استقلالا

استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جمعا قال ااقررتم واخذتم علي ذلكم اصري
اي عهدي سمي بذلك لانه يوصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كغبر او جمع اصار
وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم علي بعض بالاقرار وقيل الخطاب
فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا علي اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو
تاكيد وتحذير عظيم فمن تولي بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك
هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف علي الجملة المتقدمة
والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون افغير دين الله يبغون
وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية
حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين علي تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الي الاسلام
كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف او مختارين كالملائكة والمومنين او مسخرين كالكفرة
فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه يرجعون وقرأ حفص بالياء علي ان الضمير
لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل علي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسي وعيسي والنبيون من ربهم امر للرسول عليه الصلاة والسلام
بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو نزل عليه نزل عليهم بتوسط تبليغه ٢ علي
اليهم وايضا المنسوب الي واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه طريقة الملوك
اجلالا له والنزول يعدي بالي لانه ينتهي الي الرسل يعدي بعلي لانه فوق وانما قدم المنزل
عليه علي المنزل علي سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم
بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ
غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين الواقعين في الخسران فالمعني ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد
للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به علي ان
الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا
لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن
الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال البعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار وذلك يقتضي ان
لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف علي ما في ايمانهم من معني الفعل ونظيره فاصدق
واكن او حال باضمار قد من فاعل كفروا وهو علي الوجهين دليل علي ان الاقرار باللسان خارج
عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر
ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه علي جواز لعنهم ومفهومه
علي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون علي الكفر ممنوعون عن الهدي مايوسون
عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المومنون او العموم فان الكافر يلعن منكر
الحق والمرتد عنه لكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها اي في اللعنة او العقوبة او النار
وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين
تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول
بمعني ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت

في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسئلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا بمحمد بعدما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار
والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة
ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهار التوبة لن
تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان
توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك
هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل
الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع
على البدل من ملء او الخبر محذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من
احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم
مبالغة في التحذير واقناط لان من لم يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من
ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر
الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة
في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا اسم
بستان فيه بئر حوالي المدينة فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح ورابح
واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل
الله فحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال
عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال
على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون
وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من شيء محبوب
او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه كل الطعام
اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو نعت ولذلك يستوي ٢ مصدر ج
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب
على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النساء فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام
اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي
ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله تعالى فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان
تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم بظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان

قالوا

فالو السنا اول من حرمت وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر
الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول
موافقا ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما
روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه
دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل
نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما الزمهم الحجة فاولئك
هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعدما وضح قل صدق
الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة
ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تخلصوا
من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم
تحريم طيبات احلها لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه تعريض بشرك اليهود
واشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن
الافراط والتفريط ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم
والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت
الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازم ولازب
وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك
اعناق الجبابرة روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه
ابرهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه
ادم عليه السلام فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم
بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما هبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع
نخ الضراح
في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل
المراد انه اول في الشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه
وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم
ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت
على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل
جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم
مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف
بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصما وغوصها فيه الى الكعبين وتخصيصها
بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
الوف سنين ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من داخله
اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر فيهما
بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلاة والسلام حبب الي من
دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدلالة

بقاء الاثر مدى الدهر ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص
وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه
سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد
والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد
اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق
وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او للحج وكل الشي فهو
سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا
على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او
نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وايراده
في الصورة الاسمية وايراده على وجه انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم
اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا
من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغنا فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان
وقوله عن العالمين يدل عن عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغنا عنه
بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب
البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر
الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج
فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم
تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه
من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم
وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بها والله شهيد على ما تعملون
والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل
يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة
في التقريع ونفي العذر واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل
باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا
يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية
من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال
من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها عوجا
عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان يحرشوا
بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله وان الصد
عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم
وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن
الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت
في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه
تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا

وقالوا

وقالوا السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلي الله عليه
وسلم واصحابه وقال اتدعون بجهالة الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام وانما
خاطبهم الله تعالي بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة
قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم
تتلي عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب
الداعية الي الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجي اليه
في مجامع اموره فقد هدي الي صراط مستقيم فقد اهتدي لامحالة يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب
والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان
يطاع فلا يعصي ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسي وقيل هو ان ينزه الطاعة فلا يلتفت
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد النهي عن طاعة اهل الكتاب واصل
تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا
وانتم مسلمون اي ولا تكونن علي حال سوي حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن
المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخري وقد يتوجه نحو المجموع
دونهما وكذلك واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام
القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردي كما ان
التمسك سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا
مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا
تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويذهب
الالفة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الي
التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين علي الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج
اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب مائة وعشرين
سنة حتي اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه الصلاة والسلام وكنتم علي شفا
حفرة من النار مشفين علي الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت علي تلك الحالة
لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه للتانيث
ما اضيف اليه او لانه بمعني الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو
فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل التبيين يبين الله لكم اياته دلائله
لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم علي الهدي وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون
الي الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ المتصدي له شروط لا يشترك فيها
جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب
الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل علي انه واجب علي الكل حتي لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل
بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعني وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الي الخير يعم الي ما فيه صلاح ديني او دنيوي

وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون
المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه الصلاة والسلام سئل من خير الناس فقال آمرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا
على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان
العاصي يجب ان ينهى غيره عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد
والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة
للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع
لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد واصاب فله اجران ومن
اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا او تهديد على التشبيه
بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الشرط الفعل او باضمار اذكر
وبياض الوجه وسواده كنايتان من ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف وقيل يوسم اهل
الحق بياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل
الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول
فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب
كفروا برسول الله عليه الصلاة والسلام بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد
ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم وتمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا
العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او اجزاء لكفركم واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المومن
وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله ولان حق الترتيب
ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المومنين وثوابهم هم
فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها
خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق لا شبهة فيه
وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه
ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في
الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما
مضى ولم يدل على انقطاع طرا كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما
بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتومنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب
الايمان به لانه انما يتحقق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يومن به وانما اخره وحقه
ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا
به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل
معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على
خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المومنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي
بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون

احد ينصرهم عليكم او يدفع باسهم عنكم نفي اضرارهم سوي ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا
الي القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا
عطفا علي يولوا علي ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية
من المغيبات التي وافقها الواقع اذ لو كان كذلك حال قريظة والنظير وبني قينقاع ويهود خيبر
ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية
اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت
عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله وكتابه الذي اتاهم
او ذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤ بغضب من الله رجعوا
به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب علي اهله
واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الي ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوا
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم
بالايات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة علي انه لم يكن
حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب
عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير
لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة
المستقيمة المعادلة من امت بالعود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله
اناء الليل وهم يسجدون يتلون القراءة في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل
مع السجود ليكون ابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها
لانه عليه الصلاة والسلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس
من اهل الاديان احد يذكر الله غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت
في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته
واصفون لليوم الاخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن
الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا
رضاه وثناه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينتقص ثوابه البتة سمي ذلك
كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الي مفعولين لتضمنه معني الحرمان قرا حفص
وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين
بشارة لهم واشعار بان التقوي مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوي ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا
واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد
شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف
به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته
عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كما وضربه
صر فاستاصله ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك
لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم

هذه الثنا

بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدّر
ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ، ولكنّ من يبصر جفونك يعشق ،
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبّه
ببطانة الثوب كما شبّه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار
من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اي بطانة
كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله ان يعدّى
بالحرف وعدّي الى مفعولين كقولك لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او التنقيص
ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء
من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم
اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب
الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بيّن لكم والجمل
الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفة لبطانة
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وخبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت
زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره
ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم
والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون
بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا
وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث
لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف
قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء
والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يخفونه من عض الانامل
غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم
بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي
عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس
مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرّم
الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان
المجدّ في الامر المتدرّب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع
كضمة مدّ وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما
تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما
يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة
عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوّي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام
مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع
كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم
بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابيّ ولم يدعه قبله فقال
هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا

اصاب

الا اصاب منا وغلب علينا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه وغلبنا عليهم فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان
رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رايت في منامي بقرة
مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي
في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم
بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته
فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس
لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل
في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ
غدوت طايفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر
ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم
النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لا
لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر
انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله
ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره
لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء
بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة
ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في
الثبات لعلكم تفلحون لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم
فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل
بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى من المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا
بانهم كانوا كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر
اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد
للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم اي المشركون من فورهم
هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم
اطلق للحال التي لا ريب فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه
الصلاة والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم
بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله
وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم
به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة وهو تنبيه على انه
لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث

ان نظر العامة الي الاسباب اكثر وحث علي ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب
في اقضيته الحكيم الذي يخذل وينصر بوسط وغير وسط علي مقتضي الحكمة والمصلحة ليقطع
طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعني لينقص
منهم بقتل بعض واسر بعض اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من
صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة الغيظ او وهن يقع في القلب واو
للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال ليس لك من الامر شيء
اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف علي قوله او يكبتهم والمعني ان الله مالك امرهم
فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من
امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا علي الامر
او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم ومن التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعني
الا اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتشفي به منهم
روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه
ان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب
التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا
تبادر بالدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل يربي الي اجل ثم
يزيد فيه زيادة اخري حتي يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير
وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح
واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه
علي ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسي في مثل
ذلك دليل عزة التوصل الي ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الي مغفرة من
ربكم الي ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا
بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها
بالسعة علي طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل علي ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن
هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء
والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو من مسرة او مضرة
اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه
الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت راسها وعن النبي
صلي الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر علي انفاذه ملاه الله قلبه امنا وايمانا والعافين
عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته وعن النبي صلي الله عليه وسلم ان هولاء
من امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل
الجنس ويدخل تحته هولاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة
فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة

يستوفي

الكبيرة

الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة مايتعدي وظلم النفس الصغيرة ماليس كذلك
ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة
ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعني النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالي
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث علي الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا علي مافعلوا
ولم يقيموا علي ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصر من استغفر وان
عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا علي قبيح فعلهم عالمين
به اوليك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
خبر للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت علي المتقين او علي الذين
ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتايبين جزاء لهم ان لايدخلها المصرون كما لا يلزم
من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لايدخلها غيرهم وتنكير جنات علي الاول يدل علي ان
ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في تلك الاية المتقدمة وكفاك فارقا
بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالي وذلك لانهم
حافظوا علي حدود الشرع وتخطوا الي التخصيص بمكارمه وفصل اية هولاء بقوله ونعم اجر
العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل ما فوت علي نفسه وكم بين المحسن والمتدارك
والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها
الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال

ما عاين الناس من فضل كفضلكم و لا اري مثله في سائر السنن

فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا
بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين اشارة الي قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا
اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة للمتقين والي ما لخص من امر المتقين والتايبين
وقوله قد خلت اعتراض للبعث علي الايمان والتوبة وقيل الي القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية
لهم عما اصابهم يوم احد والمعني لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا علي من قتل منكم
وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلي منهم شانا فانكم علي الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وهم علي الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم
او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مومنين متعلق
بالاعلون او بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق علي الله ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعني ان اصابوا
منكم يوم احد فقد اصبتم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولي بان لا تضعفوا فانكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهولاء تارة ولهولاء اخري كقوله

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشي بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر وتداولها
يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف علي علة محذوفة
اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المومن
فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون علي الايمان من الذين

على حرف فعلنا ذلك والمقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل اثبات
المعلوم ونفيه على طريقة البرهان ليعلم علما يتعلق به الجزا وهو العلم بالشي موجودا
ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد ويتخذ منكم شهودا
معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين
يضمرون خلاف ما يظهرونه او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى
لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص
الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين
ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشي قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على انه
فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم
على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع
وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون
الموت اي الحرب فانه من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا
وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من
الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من
اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني
الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء
دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله
سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن
عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي عليه الصلاة والسلام
فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه
الصلاة والسلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا
عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس
ابن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه
وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده
بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك الموت عليه
الصلاة والسلام في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه وقضائه لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال
ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا
صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض لمن شغلتهم

الغنائم

الغنايم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راي الرماة
ذلك اقبلوا على النهب وخلوا اماكنهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من وراىهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة
الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد وكاين اصله اي ادخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم
والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرا ابن كثير وكاين ككاعن ووجهه انه قلب
قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيان ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف
ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طاي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير
ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوبة الى الربة وهي
الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون
او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون
بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما
ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن
من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة
او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما
اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام والله يحب الصابرين فينصرهم
ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم
في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم
هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في
مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة
وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمانها وزمان
الحدث فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين فاتاهم
الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا
والجنة والنعيم في الاخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
نزلت في قول المنافقين للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد
نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم
وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم
ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد
ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم
ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على
الاصل في كل القران بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم ما لم ينزل به عليهم سلطانا اي الهة
ليس على اشراكها حجة ولم ينزل به عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر

واصل السلطنة بالقوة ومنه السلطنة لقوة اشتغاله والسلاطة بحدة اللسان وماواهم
النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد
صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف
الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى
انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى
اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم
في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخر
لانخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني
بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب
اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من
يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى
حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد
عفى عنكم تفضلا او لما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم
بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق
بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او جازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد ولا تحزنوا فيما بعد على نفع
فايت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى
ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم بالاغتمام
فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على
ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذتكم النعاس وعن ابي طلحة
غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه
والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة
او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة
بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرئ حمزة والكسائي
بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن
الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب
على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن وظن الجاهلية بدل وهو الظن
المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله بدل من يظنون هل لنا من الامر من
الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل
بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من

الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة
الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون
النصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو
بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد عليه الصلاة
والسلام او زعم ان الامر كله لله تعالى ولاوليائه ولو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح
كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل
لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله
عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج
منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في
صدوركم وليمتحن الله ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو
علة فعل محذوف تقديره وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لنفوذ القضاء
او لمصالح جمة في الابتلاء او على لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه
ويخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد
ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال
المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة لمخالفة النبي فمنعوا
التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت
لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل
قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفى الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله
غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم
في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان
حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف
وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا
مخاطبين ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة
مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول
والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد
وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في
قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر
في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم
والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله
وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم

وتقدم الأجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة خير مما تجمعون
من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق
هلاككم لالى الله تحشرون لا الى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه
لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك
ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر
اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم
وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم
اي فاذا عزمت على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين
فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا
احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده بعد خذلانه
او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض
على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح
لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا
واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن
به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي
انه بعث طلايع فغنم الرسول عليه الصلاة والسلام فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع
فنزلت فيكون تسميته حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل للبناء للمفعول وما صح له ان يوجد
غالا وان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة بالذي غله يحمله على
عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وبال اثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى
جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسب لكنه عمم ليكون
كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم
جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم
افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي وماواه
جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى
ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتهم
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول
من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله
على انه خبر مبتدا محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم

اومن

بعد

او من جنسهم عربيًا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق
والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان
من اشرف قبايل العرب وبطونهم يتلوا عليهم اياته اي القران بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا
الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام
هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو
عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه
المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال
انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا
النصر قل هو من عند انفسكم مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان
الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه
باختياركم الفدا يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب
بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم
احد فباذن الله فهو كاين بقضايه او تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم
المومنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المومنون والمنافقون فيظهر ايمان هولاء وكفر
هولاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل
الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس
والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان
كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح
ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه ولكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى
التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم موذنة بكفرهم
وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية
للمشركين وتخذيلا للمومنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف
ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير
والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم
واجب وانتم تعلمون مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على
الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله
، على جوده لضن بالماء حاتم ، لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من
اقاربهم او من جنسهم وقعدوا مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا
في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرا هشام ما قتلوا بتشديد التاء قل فادرءوا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين ان كنتم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن
انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة
وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرا هشام بالتاء كالباقين وبالياء على

اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب والى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في
الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء عند ربهم يرزقون ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء
فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب
من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم
اي باخوانهم الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة
وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها
خوف وقوع محذور وخوف فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس
بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه الاية وما روى ابن عباس
انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل
من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا
وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا بها في الحال لتحققها ودنوها او احياء بالذكر
او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد
لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره
للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم ويجوز ان يكون بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف
على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم
مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا
منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح
والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه
لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب
اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله
عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه
القروح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم ابن عبد قيس او نعيم
ابن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما
له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان بن حرب واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله فلما كان
في القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع
فمر به ركب ابن عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من الزبيب ان ثبطوا
المؤمنين المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم
له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام

والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا
الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده
والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد
ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص
ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال يزيد حتى
يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة
من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا
حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد
بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا
فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح التجارة
فانهم اتوا بدرا واوفوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو
واتبعوا رضوان الله الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجراتهم وخروجهم والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب
فى الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ على كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان
الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم
نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان
خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى
قوله على تقدير مضاف انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس عليه اللعنة يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه الصلاة والسلام او يخوفكم اولياءه الذين هم
ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس على الاول وللاولياء على الثانى وخافوا فون
من مخالفة امرى فجاهدوا مع رسولى ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ايثار خوف
الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يقعون فيه سريعا حرصا
عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف
ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا اولياء الله
بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع
يحزنك بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله فى الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر
فانه فتح الياء وضم الزاي والباقون كذلك فى الكل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا
فى الاخرة نصيبا من الثواب فى الاخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر
الارادة واشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من
رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ذلك ان يكون لهم حظ فى الاخرة ولهم
عذاب عظيم مع الحرمان من الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله
شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين
او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم خطاب للرسول
او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد
لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام يحسب ان اكثرهم يسمعون
او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء
خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية

فكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم
والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في خبره مفعول وفتح سينه
في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملا الامهال وقيل اطالة العمر وقيل تخليتهم
وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما
استيناف بما هو علة في الحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة
وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا
يحسبن حالهم الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد هم الاثم بل للتوبة والدخول على الايمان
وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم
عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة
المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من
منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي
لا يصبر عليها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر
به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الانفال حتى يميز
بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون
الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان
الله ليوتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكن الله يجتبي
لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا
بالله ورسله بصفة الاخلاص بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحى الله اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يومن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي رضي الله عنه انه عليه
الصلاة والسلام قال عرضت على امتي فاعلمت من يومن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه
يزعم انه يعرف من يومن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعوليه
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير
الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون
عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون
وبال ما بخلوا الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يودي زكاة ماله الا جعل الله
له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض ولله ما فيهما مما يتوارث
فما لهم لا يبخلون عليه بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله لهلاكهم وتبقى
عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وروي انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع
يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص

ابن

ابن عازوراء عليه اللعنة ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه وقال
لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا
وقتلهم الانبياء بغير حق اى ستكتب فى صحايف الكتبة او سنحفظ فى علمنا لا نهمله
لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل
الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترا على قتل الانبياء
لم يستبعد منه امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم منهم بان
نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك المطعوم
على الاتساع ليستعمل الادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره هيهنا لان العذاب
مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل
المطاعم ومعظم بخله الخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة
الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتلهم الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم وعبر
بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت
وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة
المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيى وفنحاص ووهب بن يهودا
ان الله عهد الينا امرنا فى التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التى لانبياء بنى
اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اى
تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل القربان لم يوجب
الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع فى ذلك قل قد جاءكم رسل
من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام
بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه
فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن
الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول
من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت
الشيء اذا حبسته والكتاب فى عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك
جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من
زبرته اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر بالكتاب وهشام وبالكتاب باعادة الجار
للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذايقة الموت وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وقرئ ذايقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ،،
، ولا ذاكر الله الا قليلا ، وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا
كان او شرا جزاء وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر
بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة
فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز
الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة

تمامه
، فذكرته ثم عاتبته ، عتابا رفيقا وقولا جميلا ،
، فالفيته غير مستعتب ، ولا ذاكر الله الا قليلا ،

فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه
وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهى له متاع
بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق
وما يصيبها من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف
والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن فى الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك
قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعنى الصبر والتقوى من عزم
الامور من معزومات الامور التى يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه
والعزم فى الاصل ثبات الراى على الشئ نحو امضائه واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه
ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية
لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب
القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم
الالتفات ونظيره جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به ثمنا واخذوا
بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن
النبى عليه الصلاة والسلام من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن على رضى الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم بمفازة تاكيد والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون بما
فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار
الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر لا يحسبن بالياء وقرأ ابن كثير وابو عمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم
الباء ايضا على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وهو
يحسبنهم الثانى وكانه قيل لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم او المفعول
الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيدا للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم
بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه الصلاة والسلام سال اليهود عن شئ مما فى التورية فاخبروه
بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا
عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين
فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو
رد لقولهم ان الله فقير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى
الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة
الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة
فى هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان

يكون

يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئيه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي عليه الصلاة والسلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دايما على الحالات كلها قايمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيآت الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين رضي الله عنه صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قايلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه والخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفايدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة بان لا يكون من الموعدين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على

حزبه اصابه وغمه

ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من
الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق فى الدين
وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال لما روي ان ام سلمة
رضى الله عنها قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح
والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم
واوذوا فى سبيلى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا فى الجهاد وقرا
حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثانى افضل او لان المراد لما قتل منهم
قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم
سياتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى يثيبهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب
على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد الخطاب للنبى والمراد امته
او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب
وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة
عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم
ومزارعهم روى ان بعض المومنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر
مبتداء محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ما اعد الله للمومنين
قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا فى جنب الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم
فلينظر بما يرجع ثم ماويهم جهنم وبيس المهاد اى ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا
ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل
ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبى

وكنا اذ الجبار بالجيش ضافنا ۔ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير
انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت فى ابن سلام واصحابه
وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى
فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى
البقيع فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى الى علج نصرانى لم يره قط وانما
دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل
عليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون
بايات الله ثمنا قليلا كما فعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الاجر ووعده فى قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط
والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء
يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا
وغالبوا اعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب واعداء عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى

وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين الغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتوصل بحقوق اهل المنزل وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ حمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى واما على انه جمع يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية اما للبلغ بالاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ

والحكم مقيد فكانه قيل واتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان
معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا
الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا
الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي
هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل
وليس بتبديل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوها
معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذلك حرام وذلك فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى
فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر
حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب
من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع
عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم الا تعدلوا في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه
لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها لما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى
تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا
يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر
اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا
بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم الجور مثنى وثلاث ورباع معدولة من اعداد
مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاث ثلاث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل
والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها
معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن
لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء بالعدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز هذه
الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم الا تعدلوا
بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على
انه فاعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم
سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم
بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا اقرب من ان
لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد
السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم
فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل
اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة
قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع واتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة
صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب

نفس

نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ
ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اى اتوهن صدقاتهن
ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات
وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا
له شرعه من الله بشرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليا
تم
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقوله
كانه في الجلد توليع البهق اى كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان
الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق من طيب لنفس لكن جعل العمدة
طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن
على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهني والمري
صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما
المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهني ما يلذه الانسان والمري ما يحمد عاقبته روى
ان اناسا كانوا يتاثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما
اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملايم للايات المتقدمة
والمتاخرة وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امراته واولاده ثم
ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم
وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها
التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمى ما به القيام قياما للمبالغة وقرا نافع وابن عامر قيما
بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها
مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا
لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن
والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم
في صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد
وعند ابي حنيفة رحمه الله بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا
حد النكاح بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام
اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر
عند ابي حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح النكاح عنده فان
انستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى
الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم
الرشد وقال ابو حنيفة رحمه الله اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة
في تغيير الاحوال اذ الطفل يتميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم وان
يونس الرشد ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم
ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر
حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال

الصبي وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان حجري يتيما افاكل من ماله قال
بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل
على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره
ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وعند مالك رحمه الله خلافا لابي
حنيفة رحمه الله وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا
مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم
مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على
ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف
زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة
ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما
يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا
من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يتبين فنزلت يوصيكم
الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل جواز
تاخير البيان عن الخطاب وإذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو
امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك
او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم
ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر
للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل
بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا
على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف
المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم
او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين
على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا
عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم
وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة
للمبدإ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون
لاولادهم بالشفقة وحسن الادب وللمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع
الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا
او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون في بطونهم نارا ملء بطونهم نارا

سابع

اموال اليتامى ظلما انما يأكلو
ح

ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال يبعث الله
قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش
عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول صلي النار قاسى حرها وصليته شويته
واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها
يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر
مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه
وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان
التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف
للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير
باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف
وان كانت المولودة واحدة فلها النصف وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في البنتين
فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال
الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه
انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب
بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت
الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالاحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان
البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك
ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته
التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيد مما ترك ان كان له
للميت ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي
الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك
وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان
الباقي للاب فكأنه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث معها
احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع
الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث
الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم يأخذون السدس
الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث
سواء كان من الاخوة والاخوات قال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] لا يحجب الام من
الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر
الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة
المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي
للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين
ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة
مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندرة وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم

وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لاتعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من فروعكم واصولكم في عاجلكم
وآجلكم فتحروا فيهم ما وصيكم الله به ولاتعمدوا فيه الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد
المتوالدين اذا كان ارفع من الآخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم
او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض
موكد لامر القسمة وتنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر موكد او مصدر يوصيكم لانه
في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف
ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي والوارث من بطنها
او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى او من غيركم من بعد وصية يوصين
بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد
وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق
والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان الرجل اي الميت يورث
اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه
وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز
ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد او ولد وقرئ يورث على البناء
للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر وحال وعلى الثاني مفعول
وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى
فآليت لا ارثي لها من كلالة ... فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة
بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي
او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على
تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعيد بن مالك وله اخ او اخت
من الام وان ذكر آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام
وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض
الانوثة ومفهوم الاية انهم لايرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت
الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته
بالزيادة على الثلث وقصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لايلزمه وهو
حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول
في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر موكد او منصوب
بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لايضار وصية
من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية فيه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار
الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لايعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي
تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التي هي كالحدود المحدودة
التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا
فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع في خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع
وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صايدا به

غدا، وكذا الخالدا وليسا صفة لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له
واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها
ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن
فى البيوت فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت
يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل
الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كى لا يجرى
عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية
والزانى او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح
واللذان ياتيانها منكم يعنى الزانية والزانى وقرا ابن كثير واللذانّ بتشديد النون
وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فاذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل
بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء واعرضوا عنهما بالاغماض
والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة
على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات
وهذه فى اللواطين والزانية والزانى والزناة انما التوبة على الله اى قبول التوبة كالمحتوم
على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين
بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى
ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر
احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه
قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه
فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب
الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد
بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
بالتوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة
الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة
فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة فكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل
المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف
كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول
توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد
وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق
بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء
عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على
سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا حمزة والكسائى كرها
بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف على ترثوا ولا لتاكيد النفى اى ولا تمنعوهن من التزوج

واصل العضل التضييق يقال عضلت الزجاجة ببيضتها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا
يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله
كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء
العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف والمفعول له تقديره لا تعضلوهن
في وقت الا وقت ان ياتين بفاحشة مبينة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة هيهنا وفي الاحزاب
والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال
في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي لا تفارقوهن
لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو الاصلح دينا واكثر خيرا وتحب ما هو بخلافه وليكن نظركم وقد
الى ما هو اصلح في الدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج تطليق زوجة امراة وتزويج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير
لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اي من القنطار أتاخذونه
بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي تاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على
العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان
الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجيها الى الافتداء منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه
وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر
واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم
في شانهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عليه الصلاة
والسلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم ولا تنكحوا التي نكح اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل
ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد
سلف استثناء من المعنى الملازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم
الا ما قد سلف او اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله

لا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى لا تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوا وقيل الاستثناء منقطع
ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة
للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي
المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه
ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم
وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه ما قبله وما
بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول
من ولدتها او ولدت من ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كالانثى ولدها من
ولد انثى ولدك قريبا كان او بعيدا وبنات الاخ والاخت يتناول القربى والبعدى
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى
سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل

الذي

الذي در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب واستثنى
باخت ابن الرجل بام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب
بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاع لان لها لحمة كلحمة النسب ثم
محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة ولد المراة
من اخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه
صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم
بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب
كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون مبينا لنسائكم والكلمة
الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله

فاني لست منك ولست مني

على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلوات الله عليه وسلامه فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها
قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء
غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة
للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى الربائب
اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصار
احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي
الله عنه جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم
بهن دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر فيها ما يؤثر فيه من وطي بشبهة او ملك
يمين وعند ابي حنيفة رحمه الله لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن
فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت
الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن ابناء
الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطف على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة
على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك
قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم
فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان اية التحليل مخصوص في غير ذلك ولقوله
عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم
المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات
من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرا الكسائي في جميع القران غير
هذا الحرف بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهن من
اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد
رضي الله عنه اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله

وذات حليل انكحتها رماحنا ، حلال لمن يبني بها لم تطلق

وقال ابو حنيفة رحمه الله لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي والاية والحديث حجة
عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله عليكم
بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله عليكم بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل

المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا
على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورات وخص عنه بالسنة ما في معنى
المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم
محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم
بالصرف في مهورهن واثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول له
لتبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من وراء ذلكم
بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة
فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض
منه فما استمتعتم به منهن فمن استمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع
او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من
الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به
من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت
مكة ثم نسخت كما روي انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت
امرتكم بالاستمتاع من هذه الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت
معلوم سمي به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن
عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن
لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات
في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح
المؤمنات المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن
ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعي رحمه الله
في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا
واول ابو حنيفة رحمة الله عليه طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي
وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا
من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة
حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة
ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل
ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض
اي انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من ادم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن
مريدا ربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن
حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم
ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان
يؤدى اليه وقال مالك رحمه الله المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان
محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر
فاذا احصن بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضمها وكسر الصاد فان
اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات الحرائر من العذاب من الحد لقوله

يعني

وليشهد

وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم
لان الرجم لا يتنصف ذلك اى نكاح الامة لمن خشى العنت منكم لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو
فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة
الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء وان تصبروا
خير لكم اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد
الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفى عليكم من مصالحكم ومحاسن
اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما
فى قول قيس بن سعد ، اردت لكيما يعلم الناس انه ، سراويل قيس والوفود شهود ،
وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من
قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم
او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة او ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم
بها حكيم فى وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين
يتبعون الشهوات يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه
الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم
يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على
اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور
غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع الشرعة الحنيفية السمحة السهلة
ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان ايات فى سورة النساء خير
لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل
الله بعذابكم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع
كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع ولكن كون
تجارة عن تراض منكم غير منهى عنه او اقصدوا كون تجارة عن تراض صفة لتجارة اى تجارة
صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول
مال الغير لانه اغلب واوفق لذوى المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل
المقصود بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون
تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة
ولا تقتلوا انفسكم بالبخع اى الاهلاك كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة
ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص رضى الله عنه تاول له فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر
عليه النبى عليه الصلاة والسلام او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف ما يذللها
ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين
كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب
قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رافة بهم ورحمة كما
اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم
معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك

اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما
لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس لتعريضها للعقاب
فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه
بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا
صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنه وقرئ
كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر
والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب عليه الشارع حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبي عليه الصلاة والسلام انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله
وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل المراد به ههنا انواع الشرك لقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها واكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط
يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن
اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص
والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان
يؤاخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة
وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة
الى التعادي والتحاسد معربة على عدم الرضا بما قسم الله وانه تشهي لحصول الشيء له من غير
طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب
بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب
ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام
ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل
ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله
من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان
المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير
والكسائي وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل
السين واو او فاء بغير همز وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل
شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وبيان روي ان ام سلمة رضي الله عنها
قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث وليتنا كنا رجالا فنزلت
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل وارث جعلنا وارثا يلونها ويحرزونها
ومما ترك بيان مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وارثا مما ترك على ان من صلة موالي
لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه
خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي
حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى
هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث

السدس

السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وعن ابي
حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث
او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم
او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله
فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون
عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
ثم حذف الضمير كما حذف في القراءة الاولى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منعهم
نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على
النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات فلذلك خصوا
بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد
والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت
عليه امراته بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فشكى فقال عليه الصلاة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا
واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق
الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه
في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلى الاية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب
عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية
لم تكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظو هن
واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية
عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا
شاين والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم
على من تحت ايديكم او انه على شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم
او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا وينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء
وزوجه اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما
لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولك نهاره صائم فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها فابعثوا الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر واصلاح ذات ايها صح
البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف
ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز
وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح

ذات البين او لتبين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك رحمه الله
لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين
والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل
كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه
على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن
فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره
او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى
وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي
معه الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص والجار الجنب
البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب
والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجنبك وقيل المراة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان
الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم
فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب
على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به
ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين
وهي لغة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه
فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء
والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه الصلاة والسلام والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل
والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا
يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل
المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم
فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه
الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا
عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي
تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم
الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى الامر لا ضرر
ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية
الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما
وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص في الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة

وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره
ايماء الى انه وان صغر قدره عظم اجره وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة حسنة
وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها
بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه اجرا ويعطي
صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا
وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر زائد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال
هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد
عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وعظم
الشأن وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك
بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن
حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي
يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى
بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله
حديثا ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان
تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم
فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان
اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي بحذف التاء الثانية يقال سويته
فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا
اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي ان عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمرة مباحة
فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد
ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران
عن قربان الصلاة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد
وقرئ سكارى وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على
انها صفة لجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال
والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه جرى مجرى
المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي ولا تقربوا
الصلاة جنبا في عامة الاحوال الا في حال السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له
تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم
لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب
عبور المسجد وبه قال الشافعي وابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء
او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي
ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى
مرضا يخاف معه على استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه

او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد
السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن
ببشرتكم وبه استدل الشافعي المطلبي رضي الله عنه على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل
من الملامسة فلم تجدوا ماء يريد فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه
هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض
او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسباب
ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب
وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط
او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا
شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد اجزاه
وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا
التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح
يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد هنا وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا
من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا
من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة
يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة
محمد عليه الصلاة والسلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا
السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون
منكم فاحذروهم وكفى بالله وليا على امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه
واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي
من الذين هادوا بيان الذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض
او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر
مبتدأ محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه التي وضعها الله فيها بازالتها عنها
واثبات غيره فيها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك
واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه
او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا
نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا
بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا
في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم
هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف
الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اي الا ايمانا قليلا

لا يعبأ

لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله
قليل التشكي للمهم يصيبه ، كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها
فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفا
او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق
بمعنى الطمس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان
نغير وجوها في الدنيا والاخرة فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار
او نردها الى حيث جاءت وهي اذرعات الشام يعني اجلا بني النضير ويقرب منه قول من
قال ان المراد بالوجوه الرؤسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم
الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم
على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او الذين على الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجها
وعطفه على الطمس بالمعنى يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد
على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب وكان وقوعه مشروط بعدم ايمانهم وقد
امن منهم طايفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا
نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه
بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر
ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا
والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر
ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى
منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح
بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه
خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الاثام وهو
اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين الذنوب والافترا كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق
الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا
قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار
وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو
المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد
ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا
ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو
الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافترا اثما مبينا لا يخفى
كونه ماثما من اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه
محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا من مكة يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منا

٢ سائر

الينا فلانا من مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم
صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو ما لا خير فيه فقلبت سينه
تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود وغيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم
هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها
ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك
وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي
لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر
النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم
اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك
على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد
جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل
يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على
النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل
وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما اتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد اتينا ال ابرهيم الذين هم
اسلاف محمد وانباعه الكتاب والحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان
يؤتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم فمن اليهود من امن به بمحمد او بما ذكر من حديث ال
ابرهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن ال ابرهيم من
امن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك
وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي وان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم
ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير
لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على
صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنهم اثر الاحراق ليعود احساسه
للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل خلق مكانه جلد اخر
والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم
ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم
فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو
اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس
شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب
يعم المكلفين والامانات وان نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة
وابى ان يدفع المفتاح ليدخل وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده
واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان
يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامر الله ان يرده اليه فامر عليا بان يرده
ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا

حكمتم

حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم
بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم
ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة
موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور
به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم
وما تفعلون فى الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى
الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء
والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على وجوب
طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم فى شئ
من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه
بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات فردوه فارجعوا
فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده
واستدل به منكروا القياس قالوا ان الله تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة
دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء
عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول
فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما
على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك
ذلك اى الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا
فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما
احتكما الى الرسول فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى
لعمر قضى لى رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق كذلك فقال
نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق
حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه
السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق رضى الله عنه والطاغوت على هذا
كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه
او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه
كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ
ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا
قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام
الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
هو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس
والسد محسوس ويصدون فى موقع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة
كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضاء
بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون

وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك
الا الفصل بالاوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب
القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق
بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى عنهم
الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم
او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم فى انفسهم اى فى معنى
انفسهم او خاليا فان النصح فى السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافى
عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبيا
وتعليق الظرف فى بليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة
لا تتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه
كانه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا
مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاوك
تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر
لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما
لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع
له ومن منصبه ان يشفع فى كباير الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا
منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر
لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى
يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا
فى انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك
فى ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا اليك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو
اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا او اخرجوا من دياركم كما خرجوا
حين استتيبوا من عبادة العجل وقراء ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون
على اصل التحريك واخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو ولا تنسوا الفضل
وقراء حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون ولما بين ان ايمانهم لا يتم
الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل
عليه كتبنا او لاحد مصدرى الفعلين وقراء ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على
الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة
لكان خيرا لهم فى عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم
ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم والاية ايضا مما نزلت فى شان المنافق واليهودى
وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من
الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك
ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل

فمايكون

لما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم
صراطا مستقيما يصل سلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه الصلاة والسلام
من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم
اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس ان لا يتاخروا عنهم وهم
الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون
الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضة
الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى
بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون
الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم
هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام
الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونوا كمن
يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون
والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم
شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون
وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال
للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي
من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم
ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت
الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك
اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء
المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال
والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر
والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة
جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين
جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت
في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل
الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله عليه الصلاة والسلام المؤمنون
منهم والمنافقون والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ
بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ من بطؤ كثقل
من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله
ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن

لان قوله لمن ليبطئن على معنى الجماعة

اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم تكن بينكم
وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
التنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان
يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ
لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة
حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو
ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة
واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب
تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق
للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك
الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة
اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطا هولاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى
حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما
وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم
اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة
حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة ولا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى
اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبره لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها
ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص
المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص
ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين
وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم
الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة
واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا
فاستجاب الله لهم دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي
وناصر ففتح مكة على نبيه صلوات الله عليه وسلامه فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم
عقاب بن سيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره
لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل
يذكر ويونث على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به
الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا
اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان
ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد
الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلاة واتوا الزكوة واشتغلوا

بما

بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون
الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم باسه واذ للمفاجاة جواب لما وفريق
مبتدا منهم صفة يخشون الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال
من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية
عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده
لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض
اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية
مثل خشية الله او خشية اشد من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا
اخرتنا الى اجل قريب استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم
ما تفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى
والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شىء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه
او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون بالياء لتقدم الغيبة
اينما تكونوا يدرككم الموت وقرى بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم فى بروج مشيدة
فى قصور او حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من برجت المراة اذا
ظهرت وقرى مشيدة وصفا لها بوصف صاحبها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر
اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة تقعان على النعمة والبلية وهما المراد
فى الاية اى تصبهم نعمة كخصب ينسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط يضيفوها
اليك وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها
وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القران فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا
ان الكل من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن
الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقتضى
غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال
ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها
بالمعاصى وهو لا ينافى قوله قل كل من عند الله فان الكل ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان
وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عايشة رضى الله عنها ما مسلم ما يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا ولا للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد به التاكيد ان علق
الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ، ولا خارج من فى زور كلام ،
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه
فى الحقيقة مبلغ والامر هو الله روى انه عليه الصلاة والسلام قال من احبنى فقد احب الله
ومن اطاعنى فقد اطاع فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان
نتخذه ربا فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم

دون

وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم
بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على
الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيّت طايفة منهم غير الذى تقول اى زورت خلاف
ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور
تدبر بالليل او من بيت الشعر او البنى لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيّت
طايفة بالادغام لقرب مخرجهما والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحايفهم للمجازاة او جملة
ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على
الله فى الامور كلها لا سيما فى شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم
افلا تدبرون القران يتاملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى
ادبار الشئ ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب
معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقعة دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل
ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل
لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب
الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف
من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة
معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم الى رايه وراى
كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اى وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم
يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها
فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا هل
يذاع لعلم ذلك منهم من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون
علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البير اول ما يحفر ولولا
فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال
الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من
متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور
فقاتل فى سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك
لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود
روى انه عليه الصلاة والسلام دعى الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم يلتفت
فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرى لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون
على البناء للفاعل اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض
المومنين اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعنى
قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم
ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة
والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب

منها

منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد
بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء
مقتدر
مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقدر قال

وذي الضغف كففت الضحف عنه ، وكنت على مساءته مقيتا

او شهيدا حاضرا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه وان حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن
منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله وان جاء به المسلم زاد بركاته وهي النهاية واما
برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك
السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
وقال اخر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فقال انك
لم تترك لي فضلا فرددت مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول
المنافع وثباتها ومنه قيل للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها
وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران وفي
الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة
ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية
المنهب
العطية وتوجب الثواب والرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي رحمه الله ان الله كان
على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبره او الله
مبتدا والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى
يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة
كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع
فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد
اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم
في المنافقين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك
ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله عليه الصلاة والسلام في الخروج الى البدو لاجتواء
المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف
المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد وفي قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين
باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين
حال عاملها لكم او عاملها ما كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين
فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقراءة حمزة
والكسائي باشمام الصاد الزاي والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان
صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله اي تجعلوه
من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف
على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض
الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار
الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا

وليا ولا نصيرا اى جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى
قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين ينتصلون
وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون
فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان
لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد
مناة او جاؤكم عطف على الصلة اى والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وعن قتال قومهم
استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او الى الرسول
عليه الصلاة والسلام وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون
الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم
وقرى بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت
صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات وبيان
لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا
رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم
عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين يريدون
ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة
واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر
او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض
واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى التعريض لهم بالقتل والسبى
لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى قتلهم
وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه
على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله فى شئ من الاحوال الا حال الخطاء
او لا يقتله لعلة الا للخطاء او على انه صفة محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى
النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطاء فجزاؤه ما يذكر والخطاء ما لا يضامه
القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به
محظورا كرمى المسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ
خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة اخى ابى
جهل من الام لقى الحارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن
قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر كالعتيق للكريم من الشئ ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم
فى الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان
كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول
ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى ان اورث امراة

اشيم

اشتم الصبا في من عقل زوجها وهي على العاقلة وان لم تكن فعلى بيت المال وان لم تكن
ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه
وتنبيها على فضله وعن النبي عليه الصلاة والسلام كل معروف صدقة وهو متعلق
بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو
محذوف في محل النصب على الحال من القاتل والاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو
مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم
ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينهم وبينه لانهم
محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة
مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة
والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة
بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه
صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل
توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين
ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه
من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد
به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار
لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه
نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة
مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم
عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا
فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا
وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة
السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما
فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة
الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر
بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله
كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها
دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان
والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا
الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل مسلم
وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون
خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل
الجا غنمه الى عاقول من الجبل فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد
رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل في المقداد مر برجل

فى غنيمة واراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ودّ لو فرّ باهله وماله وفيه دليل على
صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطى وخطاؤه مغتفر لا يستوى القاعدون عن
الحرب من المومنين فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه غير اولى الضرر
بالرفع صفة القاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر
بالنصب على الحال والاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمومنين او بدل منه وعن زيد
ابن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا
اعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترضها
ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المومنين غير اولى الضرر والمجاهدون
فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد عن غير علة
وفايدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة
عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
جملة موضحة لما نفى الاستوا فيه والقاعدون على التقييد والسابق ودرجة نصب
بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة
منه او الحال بمعنى ذوى درجة وكلا من القاعدين والمهاجرين وعد الله الحسنى
المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة
العمل المقتضى لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على
المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل
واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد
منهما بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا
او اجراء على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا وتعظيما للجهاد وترغيبا
فيه وقيل الاول ما خولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل
لهم فى الاخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم
فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى
التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد
نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان
الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضى
والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم
فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمى انفسهم فى حال ظلمهم انفسهم
بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين
كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم اى فى شئ من امر دينكم قالوا كنا
مستضعفين فى الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين
واعلاء كلمته قالوا اى الملائكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماواهم جهنم لتركهم
الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم
كنتم حال من الملايكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة
على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفى الاية دليل على وجوب

المهاجرة

المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى عليه الصلاة والسلام
من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرًا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه
ابراهيم ونبيّه محمد الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثنا منقطع لعدم
دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك وان اريد به
الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا
وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت او حال عنه
او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء
السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد
الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض
مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم
على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة فى الرزق واظهار الدين ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ق
اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله • فالحق بالحجاز فاستريحا •
فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت
اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها
الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه
لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم فى الارض سافرتم
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه
دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام اتم فى السفر وعايشة رضى الله عنها اعتمرت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة رحمه الله لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان
تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رضى الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت
ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول مؤول بانه
كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة بنا ويل الاية بانهم الفوا
الاربع مظنة لا يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم
ونفى الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند
ابى حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اى شيئا
من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا وزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شريطة باعتبار الغالب فى ذلك
الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود
الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا فى حال الامن
وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهية ان يفتنكم وهو القتال
والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق بمفهومه من خص صلاة
الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على ان الله تعالى علم الرسول كيفيتها
ليا تم به الايمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طايفة

منهم معك فاجعلهم طايفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطايفة الاخرى
تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اى المصلون جزما وقيل الضمير للطايفة الاخرى
وذكر الطايفة تدل عليهم فاذا سجدوا يعنى المصلين فليكونوا اى غير المصلين من ورايكم
يحرسونكم يعنى النبى ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغايب ولتات طايفة اخرى
لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلى ركعتين
مرتين بكل طايفة مرة كما فعله النبى عليه الصلاة والسلام ببطن نخل وان اريد به
ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر
قايما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتى الاخرى فيتم بهم
الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف
بازاء العدو وتاتى الاخرى فتصلى معه ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو
وتاتى الاولى فتودى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ
ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة
واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر
او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب
مطر او مرض وهذا مما يؤذن ان الامر بالاخذ للوجوب لا للاستحباب وخذوا حذركم
امرهم بذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر
بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ
والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلاة اديتم وفرغتم عنها فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلاة واشتد
الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم
مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلاة فعدلوا وحفظوا
اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا
محدد الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر
الصلاة وانها واجبة الاداء حالة المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل الامر
بالاتيان بها كيف امكن وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يصلى المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا
ولا تضعفوا فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار للقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر
القتال داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين
واستحقاق الثواب ما لا يرجون عدوهم فينبغى ان تكونوا ابلغ منهم فى الحزم واصبر عليها
وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون
علة للنهى عن الوهن لاجله والاية نزلت فى بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم
وضمايركم حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس نزلت
فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق

فجعل

فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق
حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود
فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وقال ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل
بما اراك الله بما عرفك واوحى اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة ٢ بر
مفاعيل ولا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر الله
مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت
ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا
على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا فى الخيانة مصرا عليها
اثيما منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا ليسرق اهله فسقط
الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون
من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا
يرضى من القول من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا
جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا وصلته عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا
يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد ما دون الشرك وبالظلم
الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه
رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما
حكيما فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما
كبيرة او ما كان من عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمى البرئ وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما
وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام
ما هم عليه بالوحى والضمير للرسول وجمعه للتعظيم او له ولامته فان عصمة الرسول
واطلاعه على الاحوال لطف فى حقهم لهمت طائفة منهم اى من بنى ظفر ان يضلوك عن
القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى
نفى تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما
يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر
لا ميلا فى الحكم ومن شيء فى موضع النصب على المصدر اى شيئا من الضرر وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور ومن امور الدين
والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير فى كثير
من نجويهم من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم لقوله الا من
امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى

ولكن من امر بصدقة فقي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره
العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير ما فسر به
او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
فسوف نوتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما ادخل
الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار
الامرين من حيث انهما وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان
الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا ووصف الاجر
بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا وقرا حمزة وابو عمرو يوتيه
بالياء ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر
من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المومنين
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه
وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرى بفتح النون من صلي وساءت
مصيرا جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد
على المشاقة واتباع غير سبيل المومنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما
او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد
وكذلك الثالث لان المشاقة محرم ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم
[محرما كان اتباع سبيلهم صح]
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام
فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيا مذ عرفته وامنت
به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله
هربا واني لنادم تايب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل
ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلال وابعدها عن الصواب وانما
ذكر في الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم
نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات
والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك
اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكري فان يسمى فانثى شديد الغزم له ضروس فانه عنى
القراد وهو ان كان صغيرا سمي قردا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات
تونث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم
يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير
منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملايكة لقولهم الملايكة
بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرى انثى على التوحيد وانثى على انه جمع انيث
كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بها على
قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه
الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكانت تطاعنه في ذلك عبادة له والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء
للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا

مفروضا عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط
عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل
بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة
فان الاله تعالى ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بان عبادة الشيطان
وهى افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ من
الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله ولا
يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم
وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا
قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الامانى
الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشقونها
لتحريم ما احلها الله وهى عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة
الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن
خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامى وخصاء
العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير
فطرة الله التى هى الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا
ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى
خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امر الله به ومجاوزته عن
طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من
الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان
الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان
اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص
اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا
فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اى وعده وعدا وحقه ذلك حقا فالاول مؤكد
لنفسه فان مضمون الجملة الاسمية التى قبله وعد والثانى مؤكد لغيره ويجوز ان
ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم
ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة
والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله
الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله ليس بامانيكم
ولا امانى اهل الكتاب ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا
بامانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر
فى القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم
نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين
ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم
ان كان الامر كما يزعم لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا امانى اهل الكتاب وهو قولهم لن

يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر
ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او اجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر
رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اما تحزن اما
تمرض اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع البلا
عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس
مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من
الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران
العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع
فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على
ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة ههنا وفي مريم
وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي
هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات
تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا
عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم
خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره
ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها
وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل
فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة
استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر
روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار
منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا
ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى
واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه الصلاة والسلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم
هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل
هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته
على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما بافعالهم
باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله
ان عيينة بن حصين اتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال اخبرنا انك تعطي الابنة
النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من كان يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال
عليه الصلاة كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم
وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضمير المستكن في يفتيكم وساغ للفصل
فيكون الافتاء مسندا الى الله عز وجل والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل

الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغنانی زيد وعطاؤه او استيناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتد وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح
المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل
واقسم بما يتلى عليكم ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى
النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم فى شانهن والا فبدل من فيهن
او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد
وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انها ايامى فقلبت
همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن
اى عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون اموالهن
والا كانوا يعضلوهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل العطف وليس فيه دليل على جواز
تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين
من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا
هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع
فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما
تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امراة خافت من
بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامراة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا
تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهية لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها
ومحادثتها فلا جناح ان يصلحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم
او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى
هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرفا وحال منه او على المصدر كما في القراة
الاولى والمفعول بينهما ظرف او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل
بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت
الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد
العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد
المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها
على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض
ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والعقوبة والخصومة خبيرا عليما
به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي
هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني
فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك
المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة
التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عليه الصلاة والسلام من كانت له امراتان

يميل مع احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن
وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا
وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الاخر ببدل
او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما متقدرا متقنا في افعاله
واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس
ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف
على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى
القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول فقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان لله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم
وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجة ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق
وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثانيا
للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها
من الجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله
يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم
ايها الناس يفنيكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد
قوما اخرين مكانكم او خلقا اخر مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد
قديرا بليغ القدرة لا يعجز مراده وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر
وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه
معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده على ظهر سلمان وقال لهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد
للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله
لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي
كلاهما من يريد كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له الاية وكان الله سميعا بصيرا عارفا
بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين
على العدل مجتهدين فيه في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر
ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان
الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن
اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة
ولا تميلوا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر اليهما فلو لم تكن الشهادة عليهما
او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه
المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد له انه قرئ فالله اولى بهم
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا
السنتكم عن الشهادة الحق او حكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي
باسكان اللام وبعدها واوان الاولى المضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر
وان تلوا بمعنى وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم

عليه

عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمومنى اهل الكتاب اذ روى ان ابن
سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير
ونكفر بما سواه فنزلت امنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب
الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسا نكم
او امنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان ببعض كلا ايمان والكتاب الاول
القرآن والثانى الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل والذى انزل بفتح النون والهمزة
والزاى والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر اى ومن يكفر بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد
يعود الى طريقه ان الذين امنوا يعنى اليهود امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم
امنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلاة والسلام او قو ما
تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم
ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر
لهم وخبر كان فى امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل ولم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر
المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الاية فى المنافقين وهم قد امنوا فى الظاهر وكفروا
فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المسلمين ووضع
بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين فى محل
النصب والرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون
بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم
فى الكتاب يعنى القرآن وقرأ عاصم نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهى
المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات جئ بهما لتقييد
النهى عن المجالسة فى قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره الذى جزاء الشرط
بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير موجود يؤيده الغاية وهذا انكار ما نزل
عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا الاية والضمير فى معهم
للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم فى الاثم لانكم قادرون
على الاعراض عنهم والانكار عليهم والكفران رضيتم بذلك ولان الذين يقاعدون
الخائضين فى القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين
والكافرين فى جهنم جميعا يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين
الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى المبنى كقوله تعالى مثل ما انكم تنطقون
الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة
للمنافقين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم
نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها
سجال قالوا الم نستحوذ عليكم قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم
والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل
ونمنعكم من المؤمنين باخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم

فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المؤمنين المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم
فانه مقصور على مرد دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينهم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين
على المومنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد
شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه
لا ينفي اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
سبق الكلام فيه اول البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على
الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة
المفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يرى من يرائيه عمله وهو يريد
استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل
احواله ولان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر
الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين
ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة
وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة
بمعنى اخذوا تارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء
المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين فانه صنيع
المنافقين وديدنهم ولا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة
بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وهي الطبقة التي في قعر جهنم لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء
بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلوة والسلام ثلث من كن فيه فهو منافق
وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه
فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة
متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك
اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به
وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع ضرا او يستجلب نفعا وهو الغني
المتعالي عن الضر والنفع وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي
الى مرض فاذا ازال بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر
لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم
فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم
وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم
والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه شيئا فشكاهم فعوتب عليه فنزلت

وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه
الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه
او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود ابداء الخير واخفائه
تشبيب عن العصاة مع كمال القدرة على الانتقام فانتم اولى وهو حث المظلوم على العفو
بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان
الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر
ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك
هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة
لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم
وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك
سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على
انه كائن لا محالة وان تاخر وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان
تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب
من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية
او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سالوا موسى اكبر من
ذلك وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم تابعين
لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوه عليك ليس باول جهالاتهم
فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة
نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل
في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها اوائلهم والبينات
المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تاتهم بعد فعفونا عن ذلك واتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم ان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا
على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل
ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه
والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت
التاء في الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان
واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم
اي فنقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل
المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض
وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم مثل لا يؤمنون

لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلته وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره
وكفرهم بآيات الله بالقرآن وبما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة
عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ فلا يؤمنون
الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى
وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف
مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا لتكرر كفرهم
فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما
يعني نسبتها الى الزناء وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمه
ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا
من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بان يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى
ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب فيدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل
وصلب وكان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل صح
وقيل دخل طيطايوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما
خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان
النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيهم
المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند
الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على
قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة
انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك
الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون
فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى
السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي
تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل
العلم ولذلك اكد بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم
يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه
النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموا بقولهم
قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله

كذاك تخبر عنها العالمات بها ... وقد قتلت بعلمي ذاك يقينا

من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله
واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن جملة قسمية به فقوله يؤمنن صح
وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى
احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق ولا ينفعه ايمانه
ويؤيد ذلك ان قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا

كالوعيد

كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم وقيل
الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء امن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من
السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود
بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا وصدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرم عليهم كما هو
محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون
فى العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح
ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون
بالكتاب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدا
والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون
بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع
لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح
والعمل الصالح وقرا حمزة سيؤتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان تنزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بان امره فى الوحى كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين
اشرف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا وقرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع
زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد
قصصناهم عليك من قبل اى من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى عليه السلام من بينهم
وقد فضل الله محمدا بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطيا لما بعده كقولك مررت
بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة
لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة
بارسلنا صح
او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال
ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا
لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز
لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله فكانه لما تعنتوا عليه بسؤال الكتاب
ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن

الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يبينه ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال
على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه
ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد
للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
فالجار والمجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثاني من المفعول والجملة كالتفسير لما
قبلها والملائكة يشهدون بنبوتك ايضا وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة
دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل
للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا
نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك وكفى بما
اقام من الحجج على صحة نبوتك من الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق
في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا عليه الصلاة والسلام
بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والآية
تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن
الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق
ووعده المحتوم على من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان
ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها
خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا
خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان
خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي
الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان
تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله
ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما
باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين
غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى
في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق ولا تقولوا على الله الا الحق
يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه
لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب
فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد
عليه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة
ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون
بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم
نصبه لما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه
ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يكون له مثل
ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شي من

ذلك

من ذلك فيتخذه مولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون
وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك
ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة
والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله
قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح
اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على
الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي
ان المعطوف اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه
وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها
بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح
الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تكبير المقربين من الملائكة
وهم الكروبيون الذين حول العرش ومن اعلى منهم رتبة للملائكة على المسيح من الانبياء
وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه
وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم
اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام
وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة
مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران
اي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان
الدين او رسول الله او القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في
رحمة منه وفضل ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل
احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام
والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة
الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلا لة
سبق تفسيرها في اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك
ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو
في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة
والولد على ظاهره وان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء عن ابن عباس
لكنها لا ترث النصف بالفريضة وهو يرثها والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس
ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به
الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والابنة كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم

سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا قوله مفهوم قوله الله يفتيكم
في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث
بالاخوة وتثنيته محمول على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم
باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر
مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا
اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه
او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول
الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة وورث ميراثا واعطي
من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة من الذين يتجاوز عنهم
والله اعلم ❊ سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء
والعقد العهد الموثق قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم ، شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي
عقدها الله على عباده والزمها من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء
به او يحسن ان حمل الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام
تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وكل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان
كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام تفصيل للعقود وهي الازواج الثمانية
والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار
وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى
عليكم لقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد
حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل
المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن في محلي الصيد والحرم جمع حرام وهو
المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحريم وتحليل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر
الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج
ومواقفه لانها علامات الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر
الله اي دينه وقيل فرائضه التي هي العبادة ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء
ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد
اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد نفسها والنهي
عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن
والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء الشجر او غيرهما ليعلم به
انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا
من ربهم ورضوانا اي يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين
وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار
تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل يبتغون من الله رزقا بالتجارة

ورضوانا

٢ من الهدي صح

ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الاية نزلت عام القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون
ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح
المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من المشركين ارادة الاباحة
ههنا من الامر دلالة الامر الاتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء
حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال لحل المحرم واحل ولا يجرمنكم
لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنان قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى
المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون
وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر ان صدوكم
عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على
انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم
فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا
من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو
والاغضاء ومتابعة الامر ومخالفة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفى
والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة
بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اى الدم المسفوح لقوله
او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما
اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه
والمنخنقة التى ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت من
وقذته اذا ضربته والمتردية التى تردت من علو او فى بئر فماتت والنطيحة التى
نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اى وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم
ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة
فى الشرع بقطع الحلقوم والمرى بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب
وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب وان تستقسموا بالازلام اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا
قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى
وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج النهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل
اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو
استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد
ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد
ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربى الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاصل
وما يتصل به من الازمنة الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم
الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم

واخشونِ واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان
كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد
واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية
ورضيت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل
بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها
من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء
من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مايل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه
باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق
الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا
الوجهين سايغ في امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم
سالوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه
ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب وما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم
من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة
شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات
الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا
لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليهم كلبا من كلابك وانتصابه على الحال
من علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم
الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو
منحة الله او مما علمكم الله ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعايه ويمسك الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله
عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك نفسه واليه
ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك مطلقا واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم
ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم
احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها
ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني
تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولم يلحق بهم المجوس
في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم
وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحراير العفايف
وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن
حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد
الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين
اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من

الخاسرين

الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها
الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة اذا اردتم اقامة الصلاة كقوله فاذا قرات القران
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه
الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قايم الى الصلوة وان لم
يكن محدثا والاجماع خالفه لما روي انه عليه الصلاة والسلام صلى خمس صلوات بوضوء
واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل
مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل
كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام المايدة اخر القران
نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة
الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق للجمهور على دخول المرفقين في المغسول
ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره
وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره فايدة لان
مطلق اليد تشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها
فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان الايدي متناولة لها فحكم
بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية
كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن
ذي الغاية وجب دخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض
فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على
تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي
الايجاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في قدر الواجب فاوجب الشافعي رضي الله عنه اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة
رحمه الله مسح ربع الراس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع
ومالك رحمه الله مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر
والكسائي وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة
وقول اكثر الايمة والتحديد اذ المسح لا يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران
والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب
وللنحاة باب في ذلك وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل
غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع
وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره لتفصيل الكلام في بيان انواع الطهارة
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا
عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب
او ليطهركم بالتراب اذا عوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة
وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن
يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه

ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لابدانكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزايمه
لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل
والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح
للعدول مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب وتمام النعمة واذكروا نعمة الله
عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا
واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة
الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي
بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل
والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب
كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا بما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب
للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى
بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك
بالعدل مع المومنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما
لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه نزلت في اليهود او لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نايرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف
يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا
القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع
حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمومنين وتطييب لقلوبهم
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا
بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل
اشارة الى ما روي انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم
لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس
حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها
عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني
فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال
لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه
لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله
وعلى الله فليتوكل المومنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها
او كفيلا تكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا

بمصر

بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال
انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى ان ياخذ
من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار
بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا
اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا
ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم
الزكوة وامنتم برسلى وعزرتموهم اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد
العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر
قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الذلة الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل
عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائى قسية قلوبهم وهى اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية
من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم
فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم
لا من القلوب اذ لا ضمير فيها ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من
متابعة محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم
فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت اشياء منها عن حفظهم لما روى ان ابن مسعود
قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلى هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم
خيانة او فرقة خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة
اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل الاستثناء
من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا
الجزية وقيل نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه
وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقد ..يره
ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم
بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غرى بالشئ اذا
لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية
ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم
واية الرجم فى التورية وبشارة عيسى باحمد فى الانجيل ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يخبر به
اذا لم يضطر اليه امر دينى او عن كثير منكم فلا يؤاخذ بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يعنى القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز
وقيل يريد بالنور محمدا عليه الصلاة والسلام يهدى به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد

او لانهما فى الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق
السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد
اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد
منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا احتج
بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات
ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى امره والمعنى انه تعالى
قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من
من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحوا
او من انثى وحدها كعيسى او منهما كساير الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده
قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة ال عمران قل فلم يعذبكم
بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان فى هذا المنصب لا يفعل ما يوجب
تعذيبه وقد عذبكم فى الدنيا بالاسر والقتل والمسخ واعترفتم انه يعذبكم فى النار اياما
معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من امن به وبرسله ويعذب
من يشاء وهم من كفر والمعنى انه تعالى يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية لكم ولله ملك
السموات والارض وما بينهما كلها سواء فى كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازى المحسن
باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اى الدين وحذف
لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم
البيان والجملة فى موضع الحال اى جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم
اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير
ونذير متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال
تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف
نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة او خمسمائة
وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان
العبسى وفى الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحى وكانوا احوج ما يكونون
اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم
وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اى وجعل
منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل
عيسى وقيل لما كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم
وامورهم سماهم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى ونحوهما مما اتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين

وقيل

وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب
الله لكم قسمها لكم او كتب باللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن ان امنتم واطعتم
لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين
خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل
لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على
الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على
الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى لنا مقاومتهم والجبار
فعال من اجبره على الامر بمعنى جبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع
من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين في الجبابرة اسلما وسارا
الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم
بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ يخافون بالضم اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا
من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما
بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم
اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم او لانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان
يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته في نصرة
رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي
مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على
التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل
تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى
بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليهما
السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه
ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويجوز نصبه عطفا على نفسي
او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا
من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب
عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا
غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد
ذلك بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض
في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم
يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين
لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال
انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين
سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام
يظلهم من الشمس وعمود من نار يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى

وما أوهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك
روحا لهم وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة
ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات فيه النقباء بغتة غير كالب ويوشع **فلا تأس على
القوم الفاسقين** خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك
واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد
منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهم آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل
يزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل
لم يرد بهما ابني آدم لصلبه فانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل
بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي
ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين **اذ قربا قربانا** ظرف النبأ او حال منه او بدل
على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة
او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره
اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردى قمح عنده وهابيل صاحب ضرع
وقرب جملا سمينا **فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر** لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية
في قربانه وقصد الى اخس ما عنده **قال لاقتلنك** توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل
قربانه ولذلك **قال انما يتقبل الله من المتقين** في جوابه اي وانما اتيت من قبل نفسك بترك
التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره
ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه
وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق **لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين** قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله
واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة
والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن
بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك
اكد النفي بالباء **اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين** تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة
ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى
البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله
قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية
اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك
لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة
عقاب العاصي جائزة **فطوعت له نفسه قتل اخيه** فسهلته له ووسعته من طاع له المرعى
اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه
فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله **فقتله فاصبح من الخاسرين**
دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند
عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم **فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوأة اخيه** روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان
اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه

ثم

ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري
والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى
قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري
فهذا اوانك والويلة الهلكة أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي
لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام
اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب
تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته
سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما
قتله اسود جسده فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك وتبرا عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم
الظفر بما فعل من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل
في الاصل مصدر اجل شرا اذا اجناه ثم استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جرائك فعلته
اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا
وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا
من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد
والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس
جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب
الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها
في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعدما كتبنا عليهم هذا
التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة
تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يفسدون في الارض بالقتل
ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال
في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون
جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هاهنا قطع الطريق وقيل
المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز
نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان
يقتلوا قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا
واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى
يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى
ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا
في القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله النفي بالحبس واو
في الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع
طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق
خاصة مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل

هو

قصاصا فالى الاولياء يسقط وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على
انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان
توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة اى ما يتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات
وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز
بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف
يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور
شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله
بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم
وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا
من اخرج وانما قال وما هم بخارجين منها بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة
اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى
والذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا
الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز
والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلوة والسلام القطع في ربع دينار فصاعدا
وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح
والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع
المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو
ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلوة
والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على
المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من
بعد ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتقصى عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله
يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقطها
عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب
للنبى او لكل واحد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير قدم التعذيب
على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع
وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اى صنع الذين يقعون
في الكفر سريعا اى في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم اى المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن
الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اى هم سماعون
والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن
اليهود قوم سماعون واللام في الكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول
اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا

عليك

عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اى لجمع اخر من اليهود ولم يحضروا مجلسك
وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم
او سماعون كلامك منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون
الثانى مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه
اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى
بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون
او حال من الضمير فيه او استينافا لا موضع له او فى موضع الرفع خبر المحذوف اى هم يحرفون
وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به
وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اى فاحذروا قبول ما افتاكم به روى
ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى
بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله
الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى
انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه
فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند
باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن
تستطيع له من الله شيئا فى دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو
كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم فى الدنيا خزى هوان بالجزية والخوف من المؤمنين
ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله
ومن الذين هادوا والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت
اى الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكسائى ويعقوب فى الثلاثة مواضع بضمتين وهما لغتان كالعنق وقرئ بفتح السين
على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم الكتابيان الى القاضى لم يجب
عليه الحكم وهو قول للشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا
التزمنا الذب عنهم ورفع الظلم عنهم والاية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة رحمه الله
يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك
من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذى امر الله به ان الله يحب
المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله
تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم
وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون
اهون عليهم وان لم يكن حكم الله فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف
وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا
كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم
بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين
بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك او به انا انزلنا التوراة فيها هدى
يهدى الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل

او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل
به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين
وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق
بانزلنا او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون
والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا
من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع
الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء
يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا
غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتى ولا تستبدلوا
باحكامى التى انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا
به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك
وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على
خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار
حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود
فيها فى التوراة ان النفس بالنفس اى ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على
ان وما فى حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على
ان المعطوف المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى الاصل
مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرا نافع والاذن بالاذن
وفى اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح قصاص اى ذات قصاص وقراها الكسائى
ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل
فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اى فمن عفا عنه فهو كفارة له اى للمتصدق
يكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته اى فالمتصدق
كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شىء ومن لم يحكم بما انزل الله من
قصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على اثارهم اى واتبعناهم على اثارهم
فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول
ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور فى موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه
من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على
المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله
فيه عليه فى قراءة حمزة وعلى الاول اللام فيه متعلقة بمحذوف اى واتيناه ليحكم وقرئ
وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اى وامرنا بان ليحكم ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به
والاية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة

عيسى

عيسى عليه الصلاة والسلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه
من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى القرآن
مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية
للجنس ومهيمنا عليه رقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحة
والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو
الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع
اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه
معنى لا تنحرف وحال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم
ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو
سبب الحيوة الابدية وقرئ شرعة بفتح الشين ومنهاجا طريقا واضحا فى الدين
من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل
ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام
لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر
وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون
عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة
لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق
ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل
بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب
اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون
جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض
ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل
الاشتمال اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار
اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة
فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا
كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى
التنكير ونظيره قول لبيد، تراك امكنة اذا لم ارضها، او يرتبط بعض النفوس حمامها
وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون فى الحكم المعتدون فيه افحكم الجاهلية
يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة التى هى متابعة الهوى
وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية
من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف
حذفه فى الصلة فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ
افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب تشهيهم وقرأ ابن عامر تبغون
بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون

اي عنده واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين
يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم
معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم
يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم
اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهو التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة
والسلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار والمؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض
يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة ويعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر بان ينقلب الامر وتكون
الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من
اليهود كثير عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال
ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح
لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل
والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقين على ما اسروا
في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما
اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام
مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول
فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي
باعتبار المعنى فكانه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من
اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى
الله ان يأتي بالفتح ويقول المؤمنون فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين
اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال
المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين
حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو
في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف
الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا
حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من جملة قول الله لهم بحبوط
اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من
يرتدد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون
بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب
في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الاسود
العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر
ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي

الله

الله عنه بجند من المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه
وفي عهد ابي بكر رضي الله عنه ثلاثة سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم
قرة بن مسلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة
وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن
قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم في مدته وفي امارة عمر غسان
قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه
قيل هم اليمن لما روي انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل
الفرس لانه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
وقيل الذين قاتلوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة
الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأت الله بقوم مكانهم
ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن ثواب الاخرة ومحبة العباد
له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو
او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة
على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون
في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف
على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال
بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين
ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة
من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل
الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما
وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق
بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه
جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في
صلاتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يعطون الزكوة في حال ركوعهم
في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله
سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل به الشيعة على امامته زاعمين ان
المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل
الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب
الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في
الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين
آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن
وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب
الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا
الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون

لا من جنسهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث
اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت وقد رتب النهي عن
موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد
عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم
ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف
كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليسوا على الحق
سواء من كان على ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن
كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل
ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا اي
اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روي ان نصرانيا
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب
فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحرقه واهله
ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع
ذلك منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا
اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على
ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث
دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف
المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة
محذوفة والمعنى هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار
فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر
محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف
والاية لان اليهود سالوا رسول الله عليه الصلاة والسلام عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله
وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من
دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله
والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك
من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته
وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة
وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين
في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف
على صلة من وكذا من عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى
صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا عابد الطاغوت
او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبد او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله
عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرا عبد الطاغوت بالجر عطفه

على

على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وقيل كل من اطاعوه في معصية الله
وقرأ حمزة وعبد الطاغوت والبا بضم البا وجر التا والباقون بفتح البا ونصب
التا اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على
شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين
غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في يهود نافقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى
يخرجون من عندكم كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا
وبالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي عن الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم
وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم
وترى كثيرا منهم اى من اليهود والمنافقين يسارعون في الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله
عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم
والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة
لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد
التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله
لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتردد وتحري
اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس
تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود
يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود
ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله
، جاد الحمى بسط اليدين بوابل ، شكرت يداه تلاعه ووهاده ،
ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير ونحن اغنياء غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى
حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في الاخرة فتكون المطابقة من حيث
اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد
مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من
ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة او على ما يعطي للاستدراج وما
يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اى هو مختار في انفاقه يوسع تارة
ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات
يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين
اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك
لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك
فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا اى هم طاغون كافرون يزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض
مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة

فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله كلما ارادوا
حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم
او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط عليهم بخت نصر
ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم
المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو
اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم
الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به واتقوا ما عددنا
من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم وجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم
وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا
التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني
سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض
او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من
راس الشجرة وتلتقطون ما تساقط على الارض من ذلك انما كف عنهم بشؤم كفرهم
ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم
خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون
اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق
والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع
ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض
اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما
قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب
وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من
الله بعصمته روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين
لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها
ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم
فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما
انزل اليه ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه
فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد
به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان لمن
صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم

وفي المؤمنين منه وحده لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصا رى
سبق تفسيره في سورة البقرة والصابيون رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به
التاخير عما في خبر ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصا بيئون
كذلك كقوله ، فاني وقيار بها لغريب ، وقوله
، الا فاعلموا انا وانتم ، بغاة ما بقينا في شقاق ،
وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابيون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان
كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان
يكون والنصارى معطوف عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله
، نحن بما عندنا وانت بما ، عندك راض والرأي مختلف ،
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان
الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا ويجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد
والفصل ولانه يوجب كون الصابيين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع
الرفع بالابتداء وقيل الصابيون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتدا وخبره فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من امن منهم والنصب
على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر والصابيون بقلب
الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى
اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا
اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم من دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف رسلا
هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة
صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو
استيناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على
رؤس الاي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع
على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان
وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان
او ان بما في خبرها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن
استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم
بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل
والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمى والصم كثير
منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله
بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال
فقد حرم الله عليه الجنة يمنعه من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين

ومأواه النار فانها معدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم من احد
ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن
طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا
ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قال النسطورية
والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين
بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث
انه مبدا جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى
وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر
ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى الا يتوبون
بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن
الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم
من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بالايات كما خصهم بها
فان احيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب
وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء
اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار
الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا
من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية لهما مع
امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون
كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للايات
عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى
عيسى وهو وان ملك ذلك باذن الله لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة
لنفى القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة
والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع والله
هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل
الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية
او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم
قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام
فى شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل
عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول
اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن
الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اى لعنهم الله فى الزبور
والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة

واصحاب

واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف
رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب
عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا ينهى بعضهم
بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا
له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا
يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون
الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله
عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود
فى العذاب وعلة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا لانه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى يعنى نبيهم وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد نبينا
وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا
اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى
وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة
قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون
ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمود وان كانت فى كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء
للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى
للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم
عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوه كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد
فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين
هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان
مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب سائل
قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل اى اى شىء
حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله
فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن
او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او بنؤمن
فاثابهم الله بما قالوا عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل والذين
اعتادوا الاحسان فى الامور والايات الاربع نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان

والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقرآن وقيل
نزلت في ثلاثين وسبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم
سورة يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب
بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم
والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد
الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان
يراد ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل
وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة
لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا
على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ويعتزلوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا
فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم
واتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا
ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه
لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائيه متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا
حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق
على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زايدة واتقوا الله الذى انتم به مومنون لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله
واليه ذهب الشافعى وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة
وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يواخذكم بما عقدتم
الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية بمعنى والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتم
الايمان اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائى وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل
فكفارته فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز
التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف
على يمين وراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذى هو خير اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين
عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان
تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون
كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو
جمع اهل كالليالى في جمع ليل والاراضى في جمع ارض وقيل جمع اهلاه او كسوتهم عطف على
اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء او
ازار وقرئ بضم الكاف وهى لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع

وتقديره

وتقديره او طعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان
قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف
في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط
ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت
كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا
ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها
خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك يبين الله اي مثل ذلك البيان لكم آياته اعلام
شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل
لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت
للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده
لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر
والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس
او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد
تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالانصاب والازلام وسماهما
رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة
الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام
للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن
وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان
من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان المنع والتحذير
بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا
عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا
انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مالم يحرم عليهم اذا ما اتقوا
وآمنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا
ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي
واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل
ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال
الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك
بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلاة والسلام في تفسيره
او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك
المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات
تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم

بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا **يا ايها الذين**
امنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشئ للتنبيه على انه ليس من
العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف
يثبت عندما هو اشد منه **ليعلم الله من يخافه بالغيب** ليتميز الخائف من عقابه وهو
غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع
المعلوم وظهوره او تعلق العلم **فمن اعتدى بعد ذلك** الابتلاء بالصيد **فله عذاب اليم**
فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولم يراع حكم الله فيه فكيف به فيما
يكون النفس اميل اليه واحرص عليه **يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم**
اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم
واراد بالصيد ما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي
رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف
في ان هذا النهي يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني اولى
فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب **ومن قتله منكم متعمدا** ذاكرا لاحرامه
عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله والاكثر على ان ذكره للتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف
العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية
نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه
فقتله فنزلت **فجزاء مثل ما قتل من النعم** برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب
بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل
بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته
وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا
والمعنى فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل او فجزاء مثل ما قتل او فجزاء مثل ما قتل
وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة
وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته
وبين ان يشتري به طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين
ان يصوم عن كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ الاول اوفق
يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا صفة من ضميره في خبره او منه
اذا اضفته او وصفته ورفعته بجزاء مقدر لمن في قوله ومن قتله وكما ان التقويم يحتاج
الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة والخلقة اليهما فان الانواع يتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل
على ارادة الجنس او الامام **هديا** حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه
الصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه **بالغ الكعبة** وصف به هديا
لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به وقال ابو حنيفة
يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء **او كفارة** عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر
محذوف **طعام مساكين** عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع
وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان

يكن

يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا
او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن كل طعام كل مسكين يوما
وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار
كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق
بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه
لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبال الثقل ومنه الطعام الوبيل
عفى الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد
الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد
البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام في البحر
هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل ما يؤكل
نظيره في البر وطعامه ما قذفه ونضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم
تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم
صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال
وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام لحم الصيد حلال لكم
ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام
واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا
لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ
ابن عامر قيما على انه مصدر كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال
والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه
الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر
من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع
وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله
شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها
او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي
الرسول بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة
عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل
وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة
فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله
يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم
تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان
يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء
ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف

عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم
وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه
مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعا
او فعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيء كهين او شيء كصديق فخفف وقيل
افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده جمع صرفه عفى الله عنها صفة اخرى اي
عن اشياء عفى الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال
سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال
لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف
اي عفى الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط
منكم ويعفوا عن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات
يوم غضبان من كثرة ما يسألونه عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل
اين انا فقال في النار وقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره قد سألها قوم
الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم
متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا
خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب
ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما وصلت
الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم
يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى
الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من
المحرم والامر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن
يمنعهم حب الرياسة وتقليد الاباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم
في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحالة اي حسبهم ما وجدوا
عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم
مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار والمجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم
وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال
اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلوة والسلام
من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت لما كانت المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون
ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع
على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء

اتباعا

اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم
بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا
فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب
غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد
او الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا
حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل
منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيها او ظرف حضر اثنان فاعل
شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف تقديره شهادة اثنين حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ذوا عدل منكم من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان
او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته
على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم فى الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة
الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه
المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغى
ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل
ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلاة فيقسمان بالله ان
ارتبتم اى ارتاب الوارث منكم لا نشترى به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض
يفيد القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف
بالله كاذبا ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف
اى لا نشترى ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التى امرنا الله باقامتها وعن الشعبى انه وقف على
شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى
عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما
اى فعلا ما اوجب اثما من تحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو
الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر
آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب
وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الذين استحق عليهم وقرئ
الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا
فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان
اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى
نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران
من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان
اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان
شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين
ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته او لتغيير

ب الأولين صح

ن

الدعوى اذ روى ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ
نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص رضي الله عنه وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض
بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا
متاعه الى اهله فمات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر
وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن
لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر
فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص
الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي
القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا وتسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم
الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف
له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف
اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة
اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ
قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما لست
تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما
اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا
الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على
ان الكلام قد تم بقوله انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على
الاختصاص والنداء وقرا ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله
يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى
اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر
عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموها سحرا وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار
اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس
بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية وتطهر من الاثام ويؤيده
قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكليمهم في الطفولية
والكهولة على سواء والمعنى الحاقه حاله في الطفولية بحال الكهول في كمال العقل والتكلم
وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان يكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ
الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة ال عمران
وقرا نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك
يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم
ان هذا الا سحر مبين ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرا حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة

الى

الى عيسى عليه افضل الصلاة والسلام واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة رسلى ان
امنوا بى وبرسولى يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا امنا واشهد
باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على
ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه الارادة القدرة وقيل المعنى هل يطيع
ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع
ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان الذى اذا كان
عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم
اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين
بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد
وعذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام
علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا فى ادعاء النبوة او ان
يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين
دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك او انهم
لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك
سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل
اى عيدا لمتقدمنا ومتاخرنا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى
عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة واية
عطف على عيدا منك صفة لها اى اية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى
وارزقنا المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق
ومعطيه بلا عوض قال الله انى منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر منزلها
بالتشديد فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يكون مفعولا
به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف
الجر احدا من العالمين اى عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ٢ من ع
ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلنى من
الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى
ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك
تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا بيان ٢ الوان ع
خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال
ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم
من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن
الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا
بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء

والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير
الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض طول عمره ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان
اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم
ثلاثة وثلاثون رجلا وقيل لما وعدهم الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد
فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة
ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل
الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان
فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل
لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك
اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا
واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
يريد توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى
دون ما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن
عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما
مستقلان باستحقاق الهين العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله
تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله **قال سبحانك** اي انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** ما ينبغي لي ان
اقول قولا لا يحق لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله **ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما
في نفسي ولا اعلم ما في نفسك** تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه
من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات **انك انت
علام الغيوب** تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه **ما قلت لهم الا ما امرتني
به** تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه **ان اعبدوا الله ربي وربكم** عطف
بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم
منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعول له مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله
مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند
الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان
يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا بما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان **فلما توفيتني** بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك
ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها **كنت انت الرقيب عليهم** المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته
من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات **وانت
على كل شيء شهيد** مطلع عليه مراقب له **ان تعذبهم فانهم عبادك** اي ان تعذبهم
فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه
على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك **وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم** فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي
لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة بكل مجرم فان عذبت

فعدل

فعدل وان غفرت فبفضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكنه بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناول للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى فى الدنيا والله اعلم

سورة الانعام مكية غير ست ايات او ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا وهى مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشاهما والفرق بين جعل وخلق ان الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق معنى
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه تعالى خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شىء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بيعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم من طين اى ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى وان ادم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن ياتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل فيه لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت

خلق

انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على جمع المواد وجمعها وابداع
الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى
دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج
اللبن من الضرع **وهو الله** الضمير لله والله خبره **في السموات وفي الارض** متعلق باسم الله
والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله
يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم
فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع
خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير
وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم **ويعلم ما تكسبون** من خير او شر فيثيب
عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال
الجوارح **وما تاتيهم من اية من ايات ربهم** من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض
اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من القران **الا كانوا عنها**
معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم** يعني القران
وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا لما جاءهم
او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف
لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء **فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون**
اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والاخرة او عند
ظهور الاسلام وارتفاع امره **الم يروا كم اهلكنا قبلهم من قرن** اي من اهل زمان والقرن
اغلب اعمار الناس وهو سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق
في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت **مكناهم في الارض** جعلنا لهم فيها
مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها
ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة
في المال والاستظهار بالعدد والاسباب **وارسلنا السماء عليهم** اي المطر او السحاب
او المظلة فان مبدأ المطر منها **مدرارا** مغزارا **وجعلنا الانهار تجري من تحتهم** فعاشوا
في الخصب والريف بين الانهار والثمار **فاهلكناهم بذنوبهم** اي لم يغن عنهم شيئا **وانشانا**
واحدثنا **من بعدهم قرنا اخرين** بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم
كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم **ولو نزلنا**
عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق **فلمسوه بايديهم** فمسوه وتخصيص اللمس
لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار
حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز فيه للفحص كقوله وانا
لمسنا السماء **لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** تعنتا وعنادا **وقالوا لولا انزل**
عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه
نذيرا **ولو انزلنا ملكا لقضي الامر** جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه
والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة
الله جرت بذلك فيمن قبلهم **ثم لا ينظرون** بعد نزوله طرفة عين **ولو جعلناه ملكا**
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل
للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وتارة المعنى

ولو

ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في
صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما راهم كذلك
الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي فلو جعلناه رجلا
للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ
لبسنا بلام وللبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهز ون
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب
الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان
السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك هاهنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة
وغيرها وايجاب النظر في اثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا
وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث
لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد
بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة
وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على
اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على
شرككم او في القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته
بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع
راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع
على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على
عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على
لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك
فاكتفي باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى
عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا
انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة والمراد بالولي
المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا
فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ
بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى
الاشراك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل
على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم وعلى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض
ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن
من المشركين وقيل لي ولا تكونن من المشركين ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم

عصاة مستوجبون العذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف
دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى
ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول
محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا
قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شئ قدير
فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا راد لفضله
وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره
وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش
يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة
فارنا من يشهد انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه
فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد
ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة
واوحى الى هذا القران لانذركم به اى بالقران واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه
من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة
وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ
بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد
قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اى قل شهد ان لا اله الا هو وانى برئ
مما تشركون يعنى الاصنام الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين
خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به
يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما
ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم
على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عما لا احد اظلم منهم ويوم
نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم
اى الهتكم التى جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين
كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام
التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين شركائهم الهتهم حينئذ لتفقد وهم فى الساعة
التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم
غيبت عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم
التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما
سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص
بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم وحمزة والكسائى بالياء والنصب على ان الاسم ان
قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالتاء والنصب والله ربنا
ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة

كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا
وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا
تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلوا القران والمراد ابو سفيان والوليد
والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا يمنع من استماعه
وقدم من تحقيق ذلك فى اول البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم
واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم
جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول
الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين
غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع
الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة
او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران
او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على
النار جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون
عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء
للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من
المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود
تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى وقوله وانهم
لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب
باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب
الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم
من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا
لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا
عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا
او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى الا حياتنا الدنيا
الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال
والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا
بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة
الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرارا مؤكدا باليمين لانجلاء الامر غاية
الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث حتى اذا جاءتهم

الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال او المصدر
فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اي تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة
الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الاثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا
يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس
ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حيوتنا
الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله
للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة
٭ افلا تعقلون اي الامرين خير وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وحفص بالتاء على خطاب
المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى
قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ، ولكنه قد يهلك المال نائله ،
والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا
نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بايات الله ويكذبونها فوضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود
معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما
نكذب ما جئت به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه دليل على ان قوله تعالى لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على
ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه
ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من قصصهم
وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان
بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية
منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها
اية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي
او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول
والمقصود بيان علمه حرصه المقصود البالغ على اسلام قومه ولوانه لو قدر ان ياتيهم
باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى اي لو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يومنوا ولكن لم تتعلق به مشيته
فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوا بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة
ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع
في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب
الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين
لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء
وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اي اية مما اقترحوا او اية اخرى سوى ما انزل من الايات
المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوا او اية
تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان

الله

الله قادر على ان ينزلها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل منه وجة عن غيرها وقرا ابن
كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر
وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل يطير بجناحيه في الهوى وصفة قطعا لمجاز السرعة ونحوها
الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر ان ينزل اية وجمع الامم
للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في
العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج
اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به
فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم
يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن
عباس حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على
كمال ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون
بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خائضون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد
وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ
الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام وتعجيب والكاف حرف خطاب
اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت
الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الاية ان
يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق والمفعول محذوف تقديره ارأيتكم الهتكم تنفعكم
او تدعونها وقرأ نافع ارايتكم وارايت وافرايت وشبهها اذا كان قبل الراء همزة
بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يسقطها اصلا والباقون يحققونها وحمزة
اذا وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها
ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه
محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم
المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه ما تدعونه الى كشفه ان شاء
ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك
الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه
من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن مزيدة فاخذ
اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء ناهم
الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون
لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك
الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم
واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء
ولم يتعظوا فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين حالتي
الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء والزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا
بهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر

فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف
حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم
والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم
الذين ظلموا اي اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب
العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفرة والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض
من شؤم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به
عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد
هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية
وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها
قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها امارة تؤذن
بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب
الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل
المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح
عليهم ويتلهى بهم فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب
ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب
ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا
يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزاين الله مقدوراته
او خزاين رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول
ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى
الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم
دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا
تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما
لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون
المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان
الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا
شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحالة لعلهم يتقون
لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير
المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي
انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعني فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان
جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم
وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي
رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر
وقرا ابن عامر بالغدوة ههنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم
مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا

بانه

بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من
شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم
طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة
المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعدى هم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم
وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم
بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض
ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض
في امور الدنيا فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا
ونحن الاكابر والرؤسا وهم المساكين والضعفا وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة
الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة والتعليل على ان فتنا
متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان وبالقران واتباع
الحجج بعدما وصفهم بالايمان وبالقران بالمواظبة على العبادة وامره ان يبتدئ بالتسليم او يبلغ
سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي
العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله
بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف ف
بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع
الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه
او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب
من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم
فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فعله غفرانه وكذلك ومثل
ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين والمصرين منهم
والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب
وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل
فانه يؤنث ويذكر ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق ولتستبين
قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد
ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها الهة
قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن
متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه
لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك

قل انى على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة
التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى والحجج العقلية او ما يعمها من
ربى من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربى
اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندى ما تستعجلون به يعنى
العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم
الا لله فى تعجيل العذاب وتاخيره يقضى الحق اى القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من
قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام
الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص الحق من
قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى
ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع
ما بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين فى معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو
اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع
مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو
فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به
مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما فى البر والبحر عطف
للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما
تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة فى ظلمات الارض
ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا فى كتاب مبين بدل من الاستثناء
الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئ
بالرفع للعطف على محل من ورقة او الابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو الذى يتوفاكم
بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت لما بينهما من المشاركة فى زوال
الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشئ بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص
الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا
للتوفى فيه فى النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له فى الدنيا ثم اليه
مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة
والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم
يبعثكم من القبور فى شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام
بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم
بالحسنات ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم
حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله
تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف
سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه حتى
اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة
وهم لا يفرطون بالتوانى والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذى يتولى امرهم الحق العدل
الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو
اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما
في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف
في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا
وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية بالكسر
لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرأ
الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها
شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون
تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها
على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم
كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب
القتال بينكم قال ٭ وكتيبة لبستها بكتيبة ٭ حتى اذا التبست نفضت لها يدي
ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد
والوعيد لعلهم يفقهون ۝ وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق
الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم
من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد به العذاب
او الايعاد مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا
او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا في التكذيب والاستهزاء بها
والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد
الضمير على معنى الآيات او القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسّينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان
تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على انهم ظلموا
بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون
وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما
يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره
من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم
ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان
من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم
ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم
بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع
ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم
وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا
به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض
عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني
ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك

التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقران ان تبسل نفس
بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والتبسيل المنع
ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه
وهذا بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان
تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفدا
وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلافه فى قوله تعالى
ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى اسلموا الى
العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى
بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا
يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا
الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى ذهب
به مردة الجن فى المهامة استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرا حمزة
استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذى
استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض حيران متحيرا
ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اى يهدونه الى
الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا
قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم
لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك
لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم
اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى
ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول
بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما
وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم
الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب
بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر
او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ
فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب
والشهادة وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه ازر وهو عطف بيان
لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ
وازر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت
مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل
مضمر يفسره ما بعده اى تعبد ازر ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل
عليه ان قرئ ازر تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على

نعبد ح

النداء

الندا وهو يدل على انه علم انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلال وكذلك
نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع
الملكوت والمعنى معناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها
وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من
الموقنين اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا
يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق
النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله
هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقول الخصم ثم يكر
عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه
فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتديا فى
الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز
نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا للقوم وتنبيها
لهم على ان القمر لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس
بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث
هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما
تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص
به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال انى
وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول
دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط
السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى
وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده
ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا
ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من الهتهم وتهديد
لهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون
فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم
بالله وهو حقيق بان يخاف منه لانه اشراك المصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز جز
بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه
دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم
احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه
والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا
لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بنى
لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم
ويخلط بهذا التصديق الاشراك بالله به وقيل المعصية وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم

ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله
اى اتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقرا الكوفيون
بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عدّه نعمة
على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم
اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان
لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الاية التى بعدها والمذكورون فى الاية
الثالثة عطف على نوح داود وسليمان وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيصا بن اسحق
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا
ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم
وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون
البيان مخصوصا فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى كل من الصالحين
الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى واسمعيل واليسع بن اخطوب
وقرا حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد
فى قوله ، رايت اليزيد بن الوليد مباركا ، شديدا باعباء الخلافة كاهله ،
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هرون بن اخى ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطف
على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم اى هدينا هؤلاء وبعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم فان
منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى
صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به
من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اى لو اشرك هؤلاء الانبياء
مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط
ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر
على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها هؤلاء اى بهذه الثلاثة هؤلاء
يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبى او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة
اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم
بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه
عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج
ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذف الهاء فى الوصل
خاصة حمزة والكسائى واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسر
الهاء بغير اشباع برواية هشام قل لا اسألكم عليه اى على التبليغ او القران اجرا جعلا من جهتكم
كما لم يسئل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القران
او الغرض الا ذكرى للعالمين تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق
معرفته فى الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء حين انكروا الوحى
وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او فى السخط على الكفار وشدة البطش

بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال
القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا
وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما
قرأ ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم
التورية وذمهم على تجزيتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض
لا يشتهونه روى ان مالك بن الصيف قال لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذى
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم ان فيها ان الله يبغض
الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه
كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عليه الصلاة والسلام مالم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة
على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآ
يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله
اى انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها
على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم فى خوضهم فى اباطيلهم فلا عليك بعد
التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعو
او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك
كثير الفائدة والنفع مصدق الذى بين يديه يعنى التورية او الكتب التى قبله ولتنذر ام القر
عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولتنذر او علة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى
انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى وحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا
وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن
عاصم لينذر بالياء اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة
ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ
على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه
او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ كعبد الله بن سعد بن ابى السرح كان يكتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ
قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل
خلق الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال
لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن
قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين فى غمرات الموت شدائده من
غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضى المسلط
بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا عليهم
او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت
الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب
المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير

الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون
فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وسائر ما آثرتموه في الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرجال بالتنوين وفراد كثلاث وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال
ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة
غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به
عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما
نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق
عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل
والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد
له قراءة حمزة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله
عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به كقول الشاعر

فوالله لولا البين لم يكن الهوى ... ولولا الهوى ما حنّ للبين آلف

وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله
فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحب الحنطة والنواة
يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف
والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على
فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي
يحق له العبادة فأنى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن
ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في
الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ
فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن
اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل
لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان
فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى
هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن
نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا وعلى ادوار
مختلفة تحسب بها الاوقات فيكونان علم الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلها حسبانا
اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص
العليم بتدبيرها والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة
او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد
ما اجملها بقوله لكم لتهتدوا بها في ظلمات قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم
يعلمون فانهم المنتفعون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر
ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب وفوق الارض واستيداع في الارحام وتحت الارض

او موضع

اوموضع استقرار واستيداع وقرا ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل
والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار هنا دون الاستيدا ع
قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع
ذكر تخليق بنى ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة
دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شى نبت كل صنف من
النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفننة بماء واحد كما فى قوله يسقى بماء واحد المختلف
ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال
اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا
متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل نخلا طلعها قنوان
ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل
قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذيب وذوبان
وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب
بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليها وزيادة النعمة فيها
وجنات من اعناب عطف على نبات كل شى وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او وثمة جنات
او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان
ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير
متشابه حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه فى الهيئة والمقدار والطعم
واللون انظروا الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرا حمزة والكسائى بضم الثاء
والميم وهو جمع ثمر كخشبة وخشب وثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر
ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى ضعيفا
الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو
لغة فيه ويانعه ان فى ذلك لايات لقوم يومنون اى الايات على وجود القادر الحكيم
وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من
حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها
ولا يعوقه من فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم اى الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشياطين خالق الشر وكل ضار كما راى
الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء
او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا بان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق
وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم
الافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرا نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ
وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن
الله وقالت ٢ الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو فى موضع ٢ العرب
الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شركاء او ولد

بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر
بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا
محذوف او على المبتدا وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن
له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان
وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص
الى الاول وفى الاية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول انه من مبتدعاته السموات
والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول
مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى
متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين
الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك
غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا
فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو
على كل شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته
الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه لا تحيط به الابصار جمع بصر
وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع
الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الاية عاما فى الاوقات
فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه
مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير
فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل
الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع
بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها
فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها
وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم
عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك نصرف الايات
ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف
وهو نقل الشئ من حال الى حال وليقولوا درست اى وليقولوا صرفنا واللام لام العاقبة
والدرس القراءة والتعلم وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب
وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الايات وعفت
كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء
للمفعول قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم
بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى
قديمات او ذات درس كقوله تعالى عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين
مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما
او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحى اليك من ربك بالتدين به
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية

واعرض

واعرض عن المشركين فلا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رايهم ومن جعله منسوخا باية
السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل
على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا
رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى
ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق
الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عدوا يقال عدا
فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه عليه الصلاة والسلام كان يطعن فى
آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون
يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى
معصية راجحة وجب تركها فان ما يودى الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير
والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر
وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر
فى موضع الحال والداعى لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام
فى طلب الآيات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها
قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شىء منها بقدرتى وارادتى
وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الآية المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اى لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه
تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة
وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عن
عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم
والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجىء الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين
اذ قرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون
انكارا لهم على حلفهم اى وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول
القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون
وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اول مرة اى بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم فى
طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم
على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة
فاتوا بآبائنا او تاتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما
بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او بمعنى مصدر
مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وعلى الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك
لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم من القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء
من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال من الاحوال الا حال مشيئة الله بايمانهم وقيل منقطع وهو حجة
واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله
جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم

ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل
على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين
وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او حال
منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض
وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا
مفعوله او مصدر مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه
اى ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء
او الزخارف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى
اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف
اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة
او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير
لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام
افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم
ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ
من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا
مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه
وتقريره مغن عن الايات والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه
ما عندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف
جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل فلا ترتابن بجحود اكثرهم فيكون من باب التهييج كقوله
ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول خطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة
لما تعاضدت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره
واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل
التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل
او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران فيكون ضمانا
لها من الله بالحفظ كقوله تعالى وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها او يبدل
احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القران وهو السميع العليم
بما يصدرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اى اكثر الناس يريد الكفار والجهال واتباع
الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر
لا يامر الا بما فيه الضلال ان يتبعون الا الظن ومن ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم
واراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما
ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر
او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم

في موضع

لابه

لا به الا فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فتكون من منصوبة
بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من
اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل بالعلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق
العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله
على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان
بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه
واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم
بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول
ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه ايضا حلال حالة الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه
الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل نبيت
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا بالحوانيت
واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب
داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة
المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله
بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير
لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم وجوارحكم وتدعون ما قتله
الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك
طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط
بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه
الله وانقذه من الضلال وجعل له الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره
في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل
وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين
ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا
في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها على تقديم المفعول
الثاني او في كل قرية اكابر مجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين
وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص
الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق
بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل
الله يعني كفار قريش روي ان ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل

رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل
نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم
بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين
اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه
مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه
واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المومن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها قال نعم فقال نعم الانابة الى دار
الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع
منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب
منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد
بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا
اشارة الى البيان الذي جاء به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقته الذي اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا او مقيدة
والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر
هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم
عادل لما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها
غيره وهو وليهم مواليهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها
فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر
من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقوله استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل
به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا
يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على
اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان
واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين
فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله
الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار

٢ الله ع

مثواكم

النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم
في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم
رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث
الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى ولوا الى قومهم
منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا شهدنا
على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم اغتروا بالحظوظ
الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك
لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم
او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب
مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما
يستحق به من ثواب وعقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن
العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه
على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله
ان يشا يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون
من البعث واحواله لات لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم
التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة ومقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع
في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة
والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا
عليه فيحمله بالامر على ما يفضي اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي
لا يقدر ان ينقضي عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى
اينا تكون له عاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان
جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي تكون له عاقبة وفيه مع الانذار انصاف
في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي هنا وفي
القصص يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع
الكافرين لانه اعم واكثر فايدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى
الضيفان والمساكين وشيئا منهما لالهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان
راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي

قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا بالخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه
عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرأ
الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون
حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل
اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ
ابن عامر زُيّن على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة
القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله
۞ فزججتها متمكنا بزجة ۞ زج القلوص ابي مزاده ۞
وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل
او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة
ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين
او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا
هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر وحرام فعل بمعنى مفعول كالذبح
يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حُجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها
الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام
حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها في الذبح وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء
عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو
صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا
يفترون بسببه وبدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يريدون اجنة البحائر والسوائب
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان
ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر وابن عامر في تكن بالتاء وخالفه
هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم والتاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر
كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم
على العامل المعنوي وعلى صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة
بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا
والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم
اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب
انه حكيم عليم ۞ قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين
كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد
بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه
على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه
المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ
جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه

الارض

الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري
والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير
للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع
على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم
ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم
يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله منه وآتوا حقه
يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به صنت
حينئذ حتى لا يوخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ
ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق
كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة
وفرشا عطف على جنات وانشاء من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما
يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار
الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض
بينهما او فعل دل عليه كلوا او حال بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر
من جنسه يزاوجه وقد يقال للمجموع والمراد الاول من الضان اثنين زوجين
اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة
فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وابن عامر
ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل
الذكرين ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين
والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان
او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين
في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام
الانثيين ام اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم
من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور
الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم
شهداء بل اكنتم شاهدين حاضرين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم
اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون
لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم يعلم
بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون
الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع

مبتنة على ان كان هى التامة او دما مسفوحا عطف على ان مع ما فى خبرها اى الا
وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال او لحم
خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمى
ماذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من
اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن فى يكون فمن اضطر
فمن دعته الضرورة الى تناول شىء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة
فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والاية محكمة لانها تدل على انه لم يوجد فيما اوحى اليه الى تلك الغاية محرم ما
غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شىء اخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر
الواحد ولا على حل الاشياء الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر كل ما له اصبع
كالابل والسباع والطيور وقيل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب
عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى
والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل
على الامعاء جمع حاوية او حاويا كقاصعا وقواصع او حوية كسفينة وسفاين
وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها
بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فى
الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب
فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة
واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه
على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا
اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا
من شىء اى لو شاء الله خلاف ذلك مشية ارتضاء لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما
فعلنا نحن ولا اباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبايح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة
ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل هذا التكذيب لك فى ان الله منع
من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير فى اشركنا
من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون
الا الظن ما تتبعون فى ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل
على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه
قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ
بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو
شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال اخرين قل هلم
شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى
تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام
فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل
لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم

هذا

مستمسك

هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم لتلزمهم الحجة وتظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا
لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا
فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب
الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة
كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون معه عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله
ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه للتعميم اتل اقرا ما حرم ربكم منصوب
باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول
اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا
ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر
يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء وبالبدل من
ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو
ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا
اي واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك
الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر
ومن خشيته لقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون
لاجله واحتجاج لاجله ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب والزنا ما ظهر منها وما بطن
بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود
وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم
تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو
جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط
بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب
الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في
حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم
وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم
به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرا حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال
حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما الاشارة
فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرا حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي
بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد
لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فيفرقكم ويزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي
واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق
ثم اتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة
كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك اتينا موسى الكتاب تماما

للكرامة والنعمة على الذي احسن على كل من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا
او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي
زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن او على
الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه
في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقاء الجزاء وهذا كتاب يعني القران انزلناه
مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه
ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية
لم يكن غير كتبهم وان كنا هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان اي وانه
كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي ولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على
الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم
بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن
كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها وتمكن من معرفتها وصدف عنها اعرض او صد
عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته
بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون يعني ما ينتظرون يعني اهل مكة
وهم ما كانوا منتظرين ذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا
ان تاتيهم الملائكة ملائكة الموت والعذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل
او ياتي ربك اي امره بالعذاب او كل اياته يعني ايات القيامة والهلاك الكلي لقوله او ياتي
بعض ايات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضي الله عنهما كنا نتذاكر
الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة
فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول
عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار
الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن امنت
من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ
نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر
الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط
النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع
نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد
لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان
الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه الصلاة
والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت
النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الروم فارقوا بمعنى باينوا
وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم

او من

او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديك صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لابراهيم حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما اتاه عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

والله اعلم

سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا محكمة كلها الا قوله واعرض عن الجاهلين وهي مائتان وخمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد بالسورة او القران انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر بالقيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب وكانه قيل اذا انزل

اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه
من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى
للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر
عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولا تتبعوا من دونه
اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من
دونه دين الله اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا
قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة
وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم
تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى وكم من قرية وكثيرا
من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا
عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اى
قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى عطف فانها
واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى التعبيرين مبالغة فى
غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون
مجئ العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اى دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه
من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا
عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام او الاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن
عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب وعلى الرسل والمرسل اليهم
ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم
فيخفى علينا شئ من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء
والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق
اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها
جوارحهم ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به يوم القيمة الى الميزان فينشر عليه تسعة
وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات
فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما
روى انه عليه الصلاة والسلام قال ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح
بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذى هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل
السوى فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات
وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت
عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق
ولقد مكناكم فى الارض اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم
فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه
زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم

اى

اى خلقنا اباكم ادم حينا غير مصوّر ثم صوّرناه نزّل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل
وتصويرين اوابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صوّرناه ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لادم وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ين
ممن سجد لادم قال ما منعك الا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة
معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
من الشئ مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على
ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به
استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انى خير منه ولا يحسن
للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن
والقبح العقليين اوّلا خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط
فى ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه
بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه
بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك
امر الملائكة لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان
تتكبر فيها وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان الكبر لا يليق باهل الجنة
وانه تعالى انما طرده واهبطه للكبر لا لمجرد عصيانه قال عليه الصلاة والسلام من
تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره
قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى او لا تعجل عقوبتى قال
انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا الى
بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى ووقت يعلم الله انتهاء اجله فيه
وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى
اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم بأى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم
تسمية وحملا على الغى او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم فعلى الاول الباء للسببية والتقدير احلف
بالله بسبب اغوائك اياى لاقعدن وعلى الثانى الباء قسمية اى اقسم باغوائك لاقعدن لاقعدن
لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف
كقوله • كما عسل الطريق الثعلب • وقيل تقديره على صراطك المستقيم كقولهم
ضرب زيد الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
اى من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان
العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم
لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضى الله
عنهما من بين ايديهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث لا يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
حيث لا يعلمون ولا يقدرون على التحرز وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان
يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف

الابتداء لانه منهما يتوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم
المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما
قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير
واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ
مذوما كمسول وكمكول في مسئول ومكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم
اللام لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط
وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن
جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا وتكونا
يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة
لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسواس الحلي وقد سبق في
البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او الغرض على انه اراد
بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على
ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما وري
عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر
وانما لم تقلب الواو المضمومة بالهمزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو
الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على
فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه
على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين
فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما
بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى
اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة
وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت
السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان حلة او نورا او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا
يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ
يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان واصله يختصفان وناداهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على
مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم
قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة

المقربين

المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب
لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهما قرناء ابدا واخبر
عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر
استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين الى تقضي آجالكم قال فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان ومنها تخرجون
وفي الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء والراء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اي
خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا
الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي
ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها
فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء
اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون
به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب
وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب
ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه
خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال
اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون
فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة
باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان
والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من
ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا
من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم
من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا
فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء
على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء
لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح
الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى
الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون
انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل
امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه
وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما

انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا
لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة
غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا تعودون فريقا هدى بان وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى
وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطى والمعاند سواء فى استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر يا بنى ادم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم
عند كل مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه
دليل على وجوب ستر العورة فى الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام
حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون
به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف
ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر
ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف
والمعادن كالدروع والطيبات المتجملات الاباحة من الرزق المستلذ من المآكل والمشارب
وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والمشارب وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى
من للانكار قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع
خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على
انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر
الاحكام لهم قل انما حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما تعلق بالفروج ما ظهر منها
وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى
الظلم او الكبر افرده للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة
اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقضت
وانقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتأخرون
ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بنى ادم
اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل
امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها
بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح
عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى
الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن يقول على الله
ما لم يقله وكذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاجال
وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم التى يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون

من دون الله اى الالهة التى كنتم تعبدونها وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل
لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم
كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة فى امم قد
خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية
من النوعين فى النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتدا
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخريهم دخولا او منزلة
وهم الاتباع لاوليهم لاجل اوليهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا
لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا قال لكل ضعف
اما للقادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم
وما لكل فريق وقرا عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما
كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل
لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم ولارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين
وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا
ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث غير حقيقى والفعل مقدم
وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل
لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم
وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما يتوقف
عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل
وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو
والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم
من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن اللام عند سيبويه
والصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الصفات الذميمة
وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين
امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
على عادته سبحانه وتعالى ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين
المبتدا وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ
لا تكلف نفس ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن على رضى الله عنه انى لارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا
لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام
لتوكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على
انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك
اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الاخرة ونودوا ان تلكم
الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون

ين

العداوة
له

اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة
صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم ربكم
كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائى حيث وقع بكسر العين وهما لغتان
فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ
ابن كثير برواية البزى وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ
ان بالكسر على ارادة القول واجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة
للظالمين او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر
فى المعانى والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع
وصول اثر احدهما الى الآخر وعلى الاعراف اى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما
جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون لظهوره اعرف
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى
الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم
او ملائكة يرون فى صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلاماتهم
التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة
او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون
حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار قالوا نعوذ بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى فى النار ونادى اصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم
المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء
الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة
الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق
للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى
ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان
اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او بعض الملائكة اهؤلاء الذين
اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف
عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اى صبوا علينا وهو دليل على
ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من
الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين حتى غدت همالة عيناها
والمكا منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية
حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن
ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم

فى النار

في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا
يجحدون وكما كانوا منكرين أنها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه
من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما
وفيه دليل على أنه تعالى عالم بعلم أو مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه
أي على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء
هل ينظرون هل ينتظرون إلا تأويله ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به
من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد
جاءت رسل ربنا بالحق أي قد تبين أنهم قد جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
اليوم أو نرد أو هل نرد إلى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا أو لأن وبمعنى إلى فعلى الأول
المسؤول أحد الأمرين وعلى الثاني أن يكون لهم شفعاء إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو
الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل قد خسروا
أنفسهم بصرف أعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم إن ربكم الله
الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام أي في ستة أوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره
أو في مقدار ستة أيام فإن المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذ وفي
خلق الأشياء مدرجا مع القدرة على إيجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث
للتأني في الأمور ثم استوى على العرش استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش
صفة الله بلا كيف والمعنى أنه تعالى استوى على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن
والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور
والتدبير ينزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به
أو لأن اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه
حثيثا يطلبه يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو
صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثا أو المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات
على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق والأمر فإنه الموجد والمتصرف
تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية
والله أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى
لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع
الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين
وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات ثم قسمها
بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال وإليه أشار بقوله تعالى وخلق الأرض في يومين
أي ما في جهة السفل في يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة المعادن والحيوان والنبات
بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الأرض في يومين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين
لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم لما
تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الأمر من السماء
إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوين الليالي والأيام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير

ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوا متذللين
مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل
الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره ونبه به على ان
الداعى لا ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل الصياح
فى الدعاء والاسهاب به وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون وحسب المرء ان يقول
اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا
وطمعا ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمعا فى اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة
وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيه
بفعيل الذى بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب
من غيره وهو الذى يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة نشرا
جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون
حيث وقع على انه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر
متقاربان وعاصم بشرا حيث وقع وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء
مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة بين يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا
تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت
اى حملته واشتقاقه من القلة فان المقل للشىء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب
بمعنى السحائب سقناه اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله
او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق
فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية فيهما من كل الثمرات من كل
انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه
باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النباتات والثمرات نخرج الموتى من
الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى فى جميع
الحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض
الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه
وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة والذى خبث اى كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا
قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا
نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى
يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان
للتخفيف وكذلك نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون
فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم
يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد يطلق هذه اللام الا
مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح
ابن لمك بن متوشلح بن ادريس وهو اول نبى بعث بعده وهو ابن خمسين سنة او اربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائى غيره بالكسر

على

على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل الا من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تومنوا وهو وعيد وبيان الداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة
او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك
في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ
في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار
ما يلزمه وهو كونه على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح
لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا
وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف
شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير
لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم
لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان
جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من
جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا
بهذا في ابائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما منهما بسبب
الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفايدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب
والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله
فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين
امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن به في الفلك متعلق بمعه او
بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين مخفف وقرئ عامين
والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف
بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن
رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هو ابن شالخ بن ارفخشد
بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفايه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استانف به ولم يعطف كانه جواب سايل
قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه اقرب
من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من امن به
كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك
وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا
والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا
ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو
ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح او في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد
ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شجر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم

بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله
لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك
به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل
به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يشتمني فأتنا بما
تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد
وقع عليكم قد وجب وحق او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة الانتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى
الالهية لان المستحق للعبادة هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى
اما بانزال آية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من
غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية
جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ
لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفه
ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من
المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بان من آمن منهم وتنبيه على
ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين
حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت
الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من
اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية
بن بكر فلما قدموا عليه وهم بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا
عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا
اليه اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

الا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا ما يبينون الكلاما

حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله
سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن
آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة النبوة وقوله هذه ناقة الله لكم آية
استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية

ويجوز

ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله
لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها
تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء
الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من
سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر
وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال
المقدرة او المفعول على ان التقدير من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله
ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين
استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا
بدل الكل ان كان الضمير في منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال
الملأ بالواو اتعلمون ان صلحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون عدلوا عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه
عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر به فلذلك قال قال الذين
استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا
لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان
برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صلح بقوله فذروها وقالوا
يا صلح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم
جاثمين خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا
وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صلحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه
آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب
له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة
يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك
فاخذ عليهم صلح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن بي فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت
الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين عن الايمان ذؤاب بن
عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى
الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وتصيف بظهر الوادي فتهرب منها
انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صلح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه
اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة

ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال
انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر
عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل
منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها
من احد من العالمين ما فعلها من قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد
النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم
اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص
انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال او التقييد بها
وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب
الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار
عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها
الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم
قالوا نصحتهم بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم
اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من امن به الا امراته استثناء
من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير
لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران
ابن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي
وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم بن شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي
وما روي من محاربة موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت
الموعودة له من اولادها ووقوع عصى ادم على يده في المرات السبع فمتاخر عن هذه
المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى وارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي الة الكيل
على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش كقوله والميزان كما قال في سورة
هود اوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا
تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها
على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها
واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر
الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين اشارة الى العمل بما امرهم ونهاهم عنه ومعنى
الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا

بكل

بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في شيء منها
منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتنك
عن دينك ويتوعدون لمن امن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله
يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما
يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من امن اي بالله او بكل صراط على الاول
ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال تصدونهم وتوعدون
بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في ولا تقعدوا وتبغونها عوجا وتبغون لسبيل
الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم
او عددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم
قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا
فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد
للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ
الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن
في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر لما غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه
بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب في قوله اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها او تعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم
يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقربه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود
بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق
وقيل انه جواب قسم محذوف وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم
في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان ومما
يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق اي احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى
ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا
لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو
ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر
الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا
شعيبا مبتدأ وخبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم
الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا المعنى والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف
بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم قاله تأسفا لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا
اهل نصح لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى

لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي
فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالباساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة
ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعُددا يقال عفى النبات اذا كثر ومنه اعفى اللحى
وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا للذكر واعتقادا بانه من
عادة الدهر يعاقب الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بتردد العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول
عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا مكان كفرهم
وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم
من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان
ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات ومبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة
ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر
في بياتا اوامن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم
باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من
فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر
الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من
بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهدي باللام لانه بمعنى
يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهدي ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل
عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على
اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم
لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من
انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز
ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل
بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما
كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة
واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر
والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر
وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية اعتراض او لاكثر الامم من عهد من وفاء عهد
فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او ما
عاهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين وان
وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة

بياتا

واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين
ان النافية واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاء تهم
رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها بدل
الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لكل
من ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى
الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وضمن حقيق معنى حريص او وضع على
مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قراءة
ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لأمن
الالباس كقوله ◦ وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ◦ او لان ما لزمك فقد لزمته او
للاغراق يوصف نفسه بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله
لا يرضى الا بمثلي ناطقا به قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى
يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي
ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة وروي انه لما القاها
صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس
مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي
ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع
يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا
عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظارة لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي
انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي
بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا
لساحر عظيم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكى عنه في سورة
الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل
قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت
عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجئه
كما قرأ ابو عمرو ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام
على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل
والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة
عنها وقرأ حمزة وعاصم بسكون الهاء فللتشبيه المتصل بالمنفصل وجعل جه كابل في
اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء
فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان
الهمزة لما كانت ساكنة تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه
وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط

في طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف به كانه جواب سايل قال ما قالوا
اذ جاؤ وقرا ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا
لا بد لنا من اجر فالتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده
نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
خيروا موسى عليه الصلاة والسلام مراعاة للادب واظهار الجلادة ولكن كانت رغبتهم
في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا
على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم
وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق
عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف
وقلب الشي عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي
انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها واقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرا حفص عن عاصم تلقف هنا وفي طه وفي الشعرا فوقع
الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين فصاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون
وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم
واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر
فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته
قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم
انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام للانكار وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص
امنتم على الاخبار وقرا قنبل قال فرعون وامنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام
واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير الفين وقرا الباقون بتحقيق الهمزة الاولى
وتليين الثانية قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في المدينة في مصر من قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط
وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم
قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله محاربة الله
ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا
نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه
شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان
امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما ياتي لنا العدول عنه
طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا
كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين
ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما

الغالبون

الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس
عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول
الحطيئة ؛ الم اك جاركم ويكون بيني ؛ وبينكم المودة والاخاء ؛
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف
او حال وقرئ بالسكون كانه قيل ليفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن والهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا
اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل
ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر ولا يتوهم
انه المولود الذي حكم به المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرأ ابن كثير ونافع
سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله
والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام
في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء
ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم
المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه الصلاة
والسلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على
حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه
والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم
اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك
بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما
عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان
تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا
بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل
العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة
باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا
بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب
شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ
انما طيرهم وهو اسم جمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من
شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصله ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء
استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على
الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي اي شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما
وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين
اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث

بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر
او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل جمع قراد
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة
لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكان بيوت بني
اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف
فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعى
فكشف عنهم ونبت لهم من الكلا والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت
زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا
وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها
فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم
وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فدعا فرفع عنهم فقالوا تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله
عليهم الضفادع بحيث لا ينكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها
مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا
فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم
فصارت مياههم دما عبيطا حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه
دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم
الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمة
عليهم او منفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل
واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين
سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع
عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى
ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه به
فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه
بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما
عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق
او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا
النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة
العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته
اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك
لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون

وقومه

وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيات كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان منّ الله عليهم من النعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام مما رآه منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه الصلاة والسلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه من التبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وقرأ نافع يقتلون بفتح الياء واسكان القاف وضم التاء مخففا وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه الصلوة والسلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره ان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع سبيل من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن

قبيلة من العرب

شيء من

رؤيته لتوقفها على معدّ فى الرائى ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين
قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهّلهم ويزيح شبهتهم
كما فعل حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه
ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يستدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة
او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
ترانى استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا
دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل
ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا
مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائى دكاء
اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التى لا سنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء
وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك
تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال من غير اذن وانا اول المؤمنين من تفسيره
وقيل معناه انا اول من امن بانك لا ترى فى الدنيا قال يا موسى انى اصطفيتك اخترتك
على الناس اى الموحدين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن
كليما ولا صاحب شرع برسالاتى يعنى اسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى وبكلامى
وبتكليمى اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روى
ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاه التوراة يوم النحر وكتبنا له فى الالواح من كل
شئ مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور
اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة
وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده
او شققها باصابعه وكانت فيها التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا
او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء او للرسالات
بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة
الى الانتصار والاقتصاص على طريق الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم
او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا
لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار فرعون
وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى
الاخرة وهى جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله
واورثنا القوم سأصرف عن اياتى المنصوبة فى الافاق والانفس الذين يتكبرون فى الارض
بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس
بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها
لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا
سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف

بسبب

بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اى سأصرف
ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اى ولقائهم الدار الاخرة
او ما وعد الله فى الدار الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا
يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم
التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى
ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر
بالاتباع كدلى ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب
خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ
العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح
جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم
اياه الها وقرئ جؤار اى صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط
ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على
ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه
تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء فى غير مواضعها فلم يكن اتخاذ
العجل بدعا منهم ولما سقط فى ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحير يعض
يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها
وقيل معناه وقع الندم فى انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن
لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين
وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
شديد الحزن وقيل الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتمونى من بعدى فعلتم بعدى
حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى ولم تكفوا العبدة والخطاب بهرون والمؤ منين
معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد ما رأيتم منى من التوحيد
والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اى تركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى
سبق فعدى تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم
بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية ٣ التوراة كانت ح
للدين روى ان سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها
وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع واحد كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه
بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان
حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب
وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم هنا وفى طه ابن ام واصله ابن امى
فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة
فى التخفيف لطوله وتشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى
ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى
وقاربوا قتلى فلا تشمت بى الاعداء ولا تفعل بى ما يشمتون بى لاجله ولا تجعلنى مع القوم
الظالمين معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة ونسبة التقصير قال رب اغفر لى ما صنعت
باخى ولاخى ان فرط فى كفهم ضم اليه نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه

وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان
الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في
الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية
اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا
السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا
بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها اي من بعد التوبة لغفور
رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرايم بني اسرائيل ولما سكت سكن
وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة
من حيث نزل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت
وقرئ سُكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها
وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى المفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح
المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت
اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخر او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي
الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا
فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط
ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم اثنان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا
سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى او بسبب اخر وعنى به
انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها فترحمت
عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت مرة اخرى فلا يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الروية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما
فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة
قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى
وبكى فبكى ودعا الى الله فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك
حتى طمعوا في الروية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالة
بالتجاوز عن الحد او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا
القايم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة
وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي
الاخرة الجنة انا هدنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده
اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك
ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال
عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر
المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها في الاخرة او فاكتبها في الاخرة او فاكتبها كتبة خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها
او لانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون

الرسول

الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين
يتقون بدل البعض والكل والمراد من آمن منهم بمحمد عليه الصلاة والسلام وانما سماه
رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا
يقرأ وصفه بها تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا او
الرشوة ويضع عنهم اصرهم ويخفف عنهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص
في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض عين موضع النجاسة واصل الاصر الثقل
الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا به
وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره
مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا
النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون
الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم خطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل
الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو
متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا
هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت
مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله
وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن
او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم
الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو
بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون
الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون
على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن
تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو
اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا
به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثاني
لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك
جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ
بكسر السين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى
موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضربه فانبجست وحذف
للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه
اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا
عليهم المن والسلوى كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر.

والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في
البقرة معنى غير ان قوله فكلوا بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء
بذكره ثمّ او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على ادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب
الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة
ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع
والرفع غير ابن عامر فانه وحّد وقرا ابو عمرو خطاياكم وقرا ابن عامر خطيئتكم بالهمز ورفع التاء
من غير الف على التوحيد وقرا نافع كذلك الا انه على الجمع فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي
قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيرها فيها واسألهم للتقرير
والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي
ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر اذ
يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة
او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل
وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعِدّون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرّعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر
سبتت اليهود سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيّد
الاول ان قرئ ويوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت
ولا يُسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه
ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل
ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل ذلك متصل بما قبله اي لا يأتيهم مثل اتيانهم
يوم السبت والباء متعلق بمحذوف بيعدون واذ قالت عطف على يعدون امة منهم
جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم
في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه
وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة
الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا
انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرةً بالنصب على
المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ الياس
لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكّروا به ما ذكّرهم به صلحاؤهم
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب
بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بخلاف عنه بَيْئَس
على فيعل كضيغم وابن عامر بِئْس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ
فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب
او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيِّس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس
على التخفيف كهين وبائس على وزن فاعل بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا
عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله عذبهم بعذاب

شديد

شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم قردة ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا
للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية
بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم
شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم وتشمم ثيابهم وتدور باكية حولهم
ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اي اعلم تفعل
من الايذان بمعنى الاعلام كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري
مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم
القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمن عليه الصلاة والسلام بخت نصر فخرب
ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا
يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام ففعل ما فعل بهم وضرب الجزية عليهم
فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور
رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم
تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة
او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون
ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم خلف
من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع
شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد بهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب التوراة من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى
يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا في الحكومة وعلى تحريف
الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه
وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم
عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين
الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا
الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة
مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه
عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير
للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي
الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين
والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون
اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم ووضع الظاهر موضع المضمر
تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة
لانافتها على سائر التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق
الجذب كانه ظلة سقيفة وهو كل ما اظلك وظنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت
في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان
يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم

حطام هذا الشيء الادنى صح

شرفها ه

خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قايلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم
تتقون قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم
اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني ادم
بدل البعض وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم ونصب لهم دلايل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها
حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه
منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ينبه عليه بدليل او تقولوا عطف على
ان تقولوا وقرا ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام بالياء على الغيبة انما اشرك اباونا من
قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به
لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني اباءهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما
خلق الله ادم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم
ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود
من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق
المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر
والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون اي عن هذا التقليد واتباع
الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية
ابن ابي
ابن الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما
بعث محمد عليه الصلاة والسلام حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم
بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل
استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى
ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملايكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شينا
لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض
مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات
وانما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله
الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دليل على عدمها دليل انتفاء المسبب على انتفاء سببه
وان السبب الحقيقي هو المشية فان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول
المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع
موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ان ما حمله عليه هو هواه وان حب الدنيا
راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دايما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك
ولم يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد
والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي
هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعى بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره
وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود
فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القو

وقرئ

وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها
وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين
جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان
وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض
فانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه
على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاختصار في الاخبار عمن هداه الله
بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا
من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى
معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر
اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تامل وتذكر اولئك كالانعام
في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة
الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من
المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم
انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء
الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه
بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها
الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
ولا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم
فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز
ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون
وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بفتح الياء يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا
امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما ذكر انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين
عن الحق للدلالة على انه خلق للجنة ايضا امة هادين الى الحق عادلين في الامر واستدل به
على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة
والسلام لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره
لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم
الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله
فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف
على سنستدرجهم ان كيدي متين اي اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان
وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه الصلاة والسلام من جنة
جنون روي انه عليه الصلاة والسلام قام على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس
الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين
موضح انذاره بصوت بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت
السماوات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها

ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم
صحة ما يدعوهم اليه **وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم** عطف على ملكوت وان مصدرية
او مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى افلم ينظروا في اقتراب
اجالهم وتوقع حلولها فيسارعون الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجأة
الموت ونزول العذاب **فباي حديث بعده** اي بعد القران **يؤمنون** اذا لم يؤمنوا به
وهو في النهاية والبيان كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران
وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
به وقوله **من يضلل الله فلا هادي له** كالتقرير والتعليل له **ويذرهم في طغيانهم** بالرفع
على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وحمزة
والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم **يعمهون**
حال من هم **يسالونك عن الساعة** اي عن القيمة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما
لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة **ايان مرساها** متى
اثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة واشتقاق
ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل **قل انما علمها
عند ربي** استاثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا **لا يجليها لوقتها** لا يظهر امرها
في وقتها **الا هو** والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله
تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس **ثقلت في السموات والارض** عظمت على اهلها من الملائكة
والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها **لا تاتيكم الا بغتة** فجاءة على غفلة كما قال
عليه الصلاة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته
والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه **يسالونك كانك حفي عنها** عالم بها
فعيل من حفي عن الشيء اذا سال عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه
ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسالونك وقيل هي من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا
قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك عنها كانك حفي تتحفى
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي بالسؤال عنها تحبه اي تكره لانه من
الغيب الذي استاثر الله بعلمه **قل انما علمها عند الله** كرر لتكرير يسالونك لما نيط به من هذه
الزيادة وللمبالغة **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه **قل
لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا** جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء
العلم بالغيوب **الا ما شاء الله** من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له **ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت** استكثار
من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من المنافع واجتناب المضار حتى
لا يمسني سوء **ان انا الا نذير وبشير** وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة **لقوم يؤمنون**
فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف **هو
الذي خلقكم من نفس واحدة** هو ادم **وجعل منها** من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها
كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا **زوجها** حوا **ليسكن اليها** ليانس بها ويطمئن اليها اطمينان
الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب **فلما تغشاها** اي جامعها
حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو
النطفة **فمرت به** فاستمرت به فقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت
من المور وهو المجيء والذهاب ومن المرية اي فظنت الحمل وارتابت به **فلما اثقلت** صارت

ذا ثقل

ذا ثقل بكبر المولود في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن
آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما
آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه
عبد العزى وعبد مناف على حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى
الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها
ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج
فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهمّا منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان
يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت
فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي
من قريش فانهم خلقوا من نفس واحدة وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله
الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون
الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه
غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون
لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي
المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف كما يجيبكم سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى
بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم
واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم
آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء
امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم
ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون
بها وقرئ ان الذين بالتخفيف ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت
مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص وفي الدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا
بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي انتم وشركاؤكم فلا
تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي
نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من
عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون ن
اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من
يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم
من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم
وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين
فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول
باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف وفكر
ما امرت به كاعتراء غضب والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء
لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك

عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه
عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف
من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر
ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف
على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره في
اخوانهم تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد
الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم
يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان في الغي بالتزيين والحمل عليه
وقرا نافع يمدونهم من امد وقرئ يمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم
بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون
الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية من
القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا
طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق الايات ولست بمقترحها هذا
بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت
في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي
وجوبهما حيث يقرأ القران مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى
القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة وغيرها والدعاء
وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام من قراءته كما هو مذهب الامام الشافعي
تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر
فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ هو
والايصال مصدر اصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
ان الذين عند ربك يعني ملايكة الملاء الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه
وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض
بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي عليه الصلاة والسلام
اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا سورة
الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسالونك عن الانفال اي الغنائم وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله
وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة له على سهمه قل الانفال
لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله تعالى به وسبب
نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار
وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين

كانوا

كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعده وهو قول الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتني السيف وليس لي فانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم **فاتقوا الله** في الاختلاف والمشاجرة **واصلحوا ذات بينكم** الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول **واطيعوا الله ورسوله** فيه **ان كنتم مؤمنين** فان الايمان يقتضي ذلك وان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاث طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان **انما المؤمنون** اي الكاملون الايمان **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا لجلاله وقيل الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت **واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا** لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه **وعلى ربهم يتوكلون** يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه **الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا** لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي العيار عليها كالصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا **لهم درجات عند ربهم** كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم **ومغفرة** لما فرط منهم **ورزق كريم** اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق** خبر مبتدا محذوف تقديره الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم **وان فريقا من المؤمنين لكارهون** في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة الاموال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رات ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت به العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبا نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن
عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت
بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم كانوا اكثر عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء
من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة
فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقا ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه
قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني
الان انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه
العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال له لان الله وعدك احدى الطائفتين
فكره وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثار الجهاد
باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام
الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق
الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم او عدم تاهبهم اذ روي انهم كانوا
رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايما الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم
وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم
يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقات النفير لكثرة عددهم
وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته
ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع
دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها
والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل
الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم
من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها
ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق
الحق او على اضمار اذكروا واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون
اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عليه
الصلاة والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل
القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر رضي الله عنه كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم اي باني ممدكم
فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب

بجرى

مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين
او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح
الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء
فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ
بالاف ليوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد
بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم
واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها وما جعله الله اى الامداد الا بشرى
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وما النصر
الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ونصره وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب
ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ
يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر
او بما فى عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف
من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله وقرأ ابن كثير
وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار
المعنى فان قوله يغشاكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشيكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشى وان يجعل على
القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا
يغشيهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم
يغشهم كقوله ، يهاب النوم ان يغشى عيونا ، تهابك فهو نفار شرود ،
وقرئ امنة كرحمة وهى لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من
الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعنى الجنابة لانها من تخييله
او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال
كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء
الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا
الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذى بينهم
وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم
بالوثوق على لطف الله بكم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل او بالربط على
القلوب حتى تثبت فى المعركة اذ يوحى ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة
انى معكم فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء
الوحى مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون
قوله سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه
دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب
او على ان قوله سالقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين كانه قال
لهم قولوا هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التى هى المذابح او الرؤس واضربوا

منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب والامر به والخطاب
للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه
من الشق لان كلا من المتعاندين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة
الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل
باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول
معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان
الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع بينهما وقرئ بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي
اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار
بالانهزام فضلا على عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض
المؤمنين الاية ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين
يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون
منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد
الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب
ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول
الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب
متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن
متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوز لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة
باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلاة والسلام
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبريل
وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها
في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت
والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى
اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان
اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد
ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب كنانة
ابن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع
ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة
ومشاهدة الايات فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم
اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن

كيد

كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة
الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته ولن
تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل
الاية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال
والرغبة عما يستاثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن
تغنى حينئذ كثرتكم اذ لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤيده يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الاية الامر بطاعته
والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول
كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون
القران والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين
ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر
ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم
شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات
لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد
التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى احى لنا قصيا فانه كان
شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى
انه عليه الصلاة والسلام مر على ابى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى
فقال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته
لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلى
ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة
القلب والجهل موته قال ، لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن ،
او مما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم المقيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه
سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على اخلاص
القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه
على قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين
الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء
واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون اى فيجازيكم باعمالكم واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة
فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما
جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به

النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة
ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي في غير القسم والنهي على ارادة القول كقوله
• حتى اذا جن الظلام واختلط • جاؤوا بمذق هل رايت الذيب قط •
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا
بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن
في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم
اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي
فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم جميعا كانوا معادين
مضادين لهم فآواكم الى المدينة وجعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على
الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم
تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه
على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه الصلاة والسلام يجزيك
الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة
لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو
وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة
كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم
اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما
تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح
ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد
اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة
ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق
او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا
باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس

في صورة

في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال
ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى
يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم
بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على قتال قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي عليهما الصلاة والسلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه
على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار **ويمكرون ويمكر الله** برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه
او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم **والله خير الماكرين**
لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا انما يحسن للمجاوزة للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء
لما فيه من ايهام الذم **واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا** هو قول
النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقول الذين
ائتمروا في امره عليه الصلاة والسلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم
ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم
وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان **ان هذا الا اساطير الاولين** ما سطره الاولون
من القصص **واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء**
او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا
اساطير الاولين قال له النبي عليه الصلاة والسلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان
القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم
واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على انه مبتدأ غير فصل وفائدة
التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا
لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين **وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم**
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم
واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته
غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك
او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون **وما لهم**
الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون **وهم يصدون عن المسجد**
الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم
فنصد من نشاء وندخل من نشاء **ان اولياؤه الا المتقون** من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير
لله **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد
بالقلة العدم **وما كان صلاتهم عند البيت** اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها **الا مكاء**
صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا **وتصدية** تصفيقا تفعلة من الصد او من
الصدى على ابدال حرف التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة
الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا **فذوقوا العذاب** يعني القتل يوم

بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم
احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما
اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد عليه الصلاة والسلام لعلنا ندرك منه
ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد
بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون
عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة
ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم
اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد
من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه بعضه على بعض
حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد عليه عذابه كما للكافرين فيجعله في جهنم
كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث والى المنفقين هم الخاسرون الكاملون
في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم
ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف
على خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين
تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما
يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله
بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم ويكون
تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان
تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه
اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور
على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء
الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلوات الله عليه وسلامه يصرف الى ما كان يصرف
اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه سقط سهمه وسهم ذوي القربى بعد وفاته وكان كله مصروفا الى الثلاثة الباقية
وعن مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر
الآية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ
منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم
الرسول وذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى
عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم الذي لا تنكر فضلهم لمكانك الذي

جعله

جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة
والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله
لهم وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت
ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على
رؤس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم
امنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية
فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو
العمل وما انزلنا على عبدنا محمد عليه الصلوة والسلام من الايات والملائكة والنصر وقرئ
على عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق بين الحق والباطل
يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير
والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث
شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وهم
بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا
والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على
الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا
منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز
الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل لا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها
ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم
وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحقق
ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنيعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع
بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر
اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق
بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا
يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن
عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ويعقوب
وابو بكر من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من
امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك
في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم
بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ
يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم
في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة

تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة
جزور مثل القلة قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى
يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة وتنكسر قلوبهم وهذا من عظائم تلك الواقعة فان البصر وان كان
يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله
الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره
لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واذلال
الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة
والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند
الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي
وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي
امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا
بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين
بالكلاءة والنصرة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا يعني اهل مكة حين خرجوا لحماية العير
بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة واتاهم
رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور
وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم
النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من
حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع
الحال وكذا ان جعل مفعولا له على تاويل المصدر والله بما تعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم
الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون
ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم
حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا
لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة
وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم
ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى
الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين تخذلنا في هذه الحالة فقال
اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة
فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى
هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اي اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني
ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين

في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا
وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل
من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى
ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى
والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن
عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ الخبر يضربون وجوههم والجملة
حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما
لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل
منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة
لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر وهو
خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه
اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب
آل فرعون اي داب هؤلاء مثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه والذين
من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء
ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان
الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا
ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة
الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك
مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو
المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره حتى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة
للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون
عليم بما يفعلون كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم
واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان
ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغير في النعم بسبب
تغييرهم ما بانفسهم وكل كانوا من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش ظالمين انفسهم
بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون
فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف
والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم
عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين
المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته
او لا يتقون الله فيه ونصره المؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفر
بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من ورائهم

من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن
خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من ورائهم فقد فعل التشريد في الورى لعلهم يذكرون
لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح
فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة فلا تناجزهم الحرب
فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ
على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوى او منه او من المنبوذ اليه او منهما على غيره وقوله ان
الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال
على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم والذين كفروا المفعول الاول انفسهم
فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف
او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى
سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله
او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف
ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من المشركين
واعدوا ايها المؤمنون لهم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر
رضي الله عنه سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه
الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله
فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع
ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير
لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم كفار مكة واخرين من دونهم من الكفرة وقيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا
ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح او الاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد
معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال

السلم تاخذ منها ما رضيت به ... والحرب تكفيك من انفاسها جرع

وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم
ويحيقه بهم انه هو السميع العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم
وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك
الله وكافيك قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم ... ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من
ايات معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح
ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة
والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية نزلت في الاوس
والخزرج وكان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم

بالاسلام

بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اما في محل النصب على المفعول معه كقوله ، اذا كانت الهيجاء وأستحر القنا ، فحسبك والضحاك سيف مهند ،
والجر عطفا على المكني اي الضمير عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون
والاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر
رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض
المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت
وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد العشرة والوعد بانهم ان صبروا
غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان
في وان تكن منكم مائة صابرة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون
ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان
والخذلان الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم
وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما
كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير
واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة
عاصم والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي
ان تكون له اسرى وقرا البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل
الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن
بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الاخرة والله يريد لكم
ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف
كقوله ، اكل امرئ تحسبين امرأ ، ونار توقد بالليل نارا ،
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع
عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي انه عليه الصلاة والسلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن
ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان
الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو
ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللين
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابرهيم يا ابا بكر مثل ابراهيم قال
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال
ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه والاية دليل
على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم
من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من

الفدا عذاب عظيم روى انه عليه الصلاة والسلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لانه ايضا
اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنايم وقيل امسكوا عن الغنايم فنزلت والفاء
للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنايم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر
للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفايدته ازاحة ما وقع فى نفوسهم منه بسبب
تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله فى مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم
رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله
فى قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا روى انها نزلت فى العباس كلفه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتنى
اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذى دفعته لام الفضل وقت خروجك وقلت لها لا ادرى
ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال
وما يدريك قال اخبرنى به ربى تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله
والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك
لى الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال
اهل مكة وانتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا اى
الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل
فامكن منهم اى فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم
ان الذين امنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم
فصرفوها فى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم فى سبيل الله بمباشرة القتال والذين
اووا ونصروا وهم المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شىء حتى يهاجروا اى من توليهم فى الميراث وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة
كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر
اى فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض
عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض فى
الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه
ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى فى التوارث وقطع العلايق
بينكم وبين الكفار تكن فتنة فى الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر
وفساد كبير فى الدين وقرى كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين اووا
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين منهم فى الايمان
منهم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدهم
الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم
ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اى من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى التوارث من الاجانب فى كتاب الله فى حكمه او فى اللوح المحفوظ
او القران واستدل به على توريث ذوى الارحام ان الله بكل شىء عليم من المواريث والحكمة فى اناطتها
بسبب الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه برىء من النفاق واعطى له عشر
حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش والكرسى يستغفرون له ايام حياته والله اعلم

سورة براءة

سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول

وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة
والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين
والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون
آية وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة
الانفال لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف
الصحابة في انهما سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب
بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره
واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين
عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على
انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول
فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة
فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا
في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون
من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها
لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم
وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني
الا رجل مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب
ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال
يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال
امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة
الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم
فانه عليه الصلاة والسلام بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود
فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض
الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه
وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان من الله ورسوله
الى الناس يوم اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه
عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم
عرفة لقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد
بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال ولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون
ووافق عيده اعياد اهل الكتاب ولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله بريء اي بان
الله بريء من المشركين من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة

من كسرها اجراء للاذن مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير
فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك
علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوبة خير لكم وان توليتم
عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله اي لا تفوتونه طلبا و لا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء
من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعدما امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا
منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط
ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا
تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم من تمام التقوى
فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم
التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم
مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ما ينسخها فاقتلوا
المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا
ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من
ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل
للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من
المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم
واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقته وما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم فيما يسمعون
ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار
والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع غرة صدورهم ولان يفي الله ورسوله بالعهد وهم
نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد
او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع
على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم
غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف
تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله

، وخبرتماني انما الموت بالقرى ، فكيف وهاتا هضبة وقليب ،

اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا
وقيل قرابة قال حسان، لعمرك ان الك من قريش، كال السقب من رال النعام،
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل
اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبريل

وغدة وهي بمعنى الحلف

وجبريل

وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية
لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا
فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة
والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا بهم لم يبقوا عليهم والحالية
وتابى قلوبهم ما تتفوه به قلوبهم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم
وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء
اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الهوى والشهوات
فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان
اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في
مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا
وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان
تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم
ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين
او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان
او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي
فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم
في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين والتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به
او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل
والتصريح بالياء لحن وقرا هشام بادخال الف بين الهمزتين وروي عنه بخلاف ذلك انهم لا ايمان لهم
اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام
فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لجواز ان المراد
نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان لهم بمعنى
لا امان ولا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون لا يؤمنون على
الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن
غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون
قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم
التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول حتى تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدءوكم اول مرة
بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به
فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم
اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره
ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه
والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعدهم ان
قاتلوهم بالنصر والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة
وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى

الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان
ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب
لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على
وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة
ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص
منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث
ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع
منبه على ان تبيين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر
قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن
المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب
الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله
وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه
في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي
النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة
اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش
وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد
تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان
الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا
الله اي في ابواب الدين فان الخشية في المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى اولئك ان
يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم
وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل
فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر
سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم
سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى
انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة
الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل
المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من
اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف
وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد

يستحقر الملك الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر عنده دونه ما استوجبوه لاجله ونعم الدنيا
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة
قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت
نهيا عن موالات التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن
الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن
يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم و
اخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد
العشرة وقرا ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشايركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله الحب الاختياري دون الطبعي فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى
ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم
الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر ايام
مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم
منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي
كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا
اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم
او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك
المسلمين اعجابهم واعتمادهم على انفسهم كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث
وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى
يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك
ونزلت الملائكة والتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ
كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا
من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها
مصيرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار
ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته
التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف
حالهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة
وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل
والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم
روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس
وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ
من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال

بضم النون وسكونها ميلا اى متحيزا

فلم يعدلوا بالاحتساب شيأ فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن
قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من
لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا
يجتنبون النجاسة فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو
ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب
للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه
ذهب ابو حنيفة رحمه الله وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع واليه يذهب وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب
والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من تفضله او عطائه بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل
عليهم السماء مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حال ان شاء
قيده بالمشيئة لتنقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون
لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله اليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا ولا با
يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون
اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت
الذي هو ناسخ للاديان كلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية
ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية
بمعنى منقادين او عن يدهم اي مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل
فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء
او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة
وهم صاغرون اذلاء عن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم
الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ من المجوس
حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام اخذها من مجوس هجر
وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لانهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر
الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى
الزهري انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ
من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية
واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب
وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك
لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى
عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول
كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب
عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه

للعجمة

للعجمة والتعريف ولالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف
مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت
النصارى المسيح ابن الله وهو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان
يفعل ما فعل من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما
تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل
الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه فى الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اى يضاهى قولهم
قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اى من قبلهم والمراد قدماؤهم
على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير
للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء
على فعيل للتى شابهت الرجال فى انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله
الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم فى تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم
والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اى وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون
دليلا على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر
من امر الله بطاعته فهو فى الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون تنزيه له من ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته
الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بافواههم
بشركهم وتكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل
انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل
موجب لانه فى معنى النفى ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذى
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم
نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الشرك بالله والضمير فى ليظهره للدين الحق او الرسول واللام فى الدين للجنس اى على سائر
الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
لياكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بالرشى فى الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض
الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
فى سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى وصفهم بالحرص على المال
والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه
بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله عنه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى من اموالكم وقوله عليه
الصلاة والسلام ما ادى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم
الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفرا او بيضا كوى بها ونحوه فالمراد منها
لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة رضى الله عنه
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار
فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكى بهما يوم يحمى عليها فى نار جهنم
اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت

التاء واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة
التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دراهم ودنانير كثيرة كما قال رضي الله عنه
اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز
او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها
ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم
وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا
عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على
الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التي هي مقادم
البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم اي لمنفعتها فكان عين
مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون
بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر
شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لقوله اثنا عشر وقوله يوم خلق
السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا
امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب
وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين
القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك
حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة وعن عطاء انه لا يحل للناس
ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه الصلاة والسلام حاصر
الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع
المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقويهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا
جاءهم شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد
العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة وادغام الياء فيها وقرئ النسيء بحذفها والنسي
والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر
اخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء
للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة
ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة
ابن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم
ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع
الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله
لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ على الاصل تثاقلتم واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ
الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا
بها بعد رجوعهم من الطايف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا

فما التمتع

فما التمتع بها في الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا
اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين
مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا
فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة
وبالنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة
بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه
او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد
الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون
على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اخرجه
بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن
ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن
الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي عليه
الصلاة والسلام او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة
على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا
يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة
فانه المبدأ له او بتأييده بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب
كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها
وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره
انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا
وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله عليه الصلاة والسلام
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما
امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير او علمتم انه خير اذ اخبار
الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل
المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي
تقطع بمشقة وقرئ بكسر الشين والعين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك
لو استطعنا يقولون لو كان استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الضمير في اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات
لانه اخبار بما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان
الحلف الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا
مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم
بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك
واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه

قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفدية واذنه للمنافقين فعاتبه
الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا
يوقفون على الاذن فيه فضلا عن ان يستاذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين
شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع
عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عدة بفتح التاء عند الاضافة كقوله
واخلفوك عند الامر الذى وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره
انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول
بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدون يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو
عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم
خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل
هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم
اى ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا
اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة
حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون
يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا
الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما
تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم
احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء فى ابطال امرك حتى
جاء الحق النصر والتاييد الالهى وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون على رغم منهم والايتان
لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك
عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان
والمخالفة بان لا تاذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم ياذن او فى الفتنة بسبب
ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة فى نساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال
قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى الا فى
الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما
احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او لان احاطة اسبابها
بهم كوجودها ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان
تصبك فى بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل
تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رايهم فى التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن
الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته
وايجابه من النصرة والشهادة او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ

هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا هو ناصرنا ومتولى
امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون
بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة
ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا
او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو
عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر فى معنى الخبر اى لن تقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا
او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا
وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان
لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف
وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات
غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم فان ذلك استدراج ووبال كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا بسبب
ما يكابدون بجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا
واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر
قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون
الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل
من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا
ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم
شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب بالضم
وابن كثير يلامزك فى الصدقات فى قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم
انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم
حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب فاء الجزاء ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله
ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله الرسول كان
بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة وغنيمة اخرى ورسوله
فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون فى ان يغنينا من فضله والاية باسرها فى حيز الشرط
والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله
الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكاة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم
وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوة دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والفقير من له مال او كسب لا يكفيه من السكون
كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون وانه عليه الصلوة
والسلام سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها

الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم فيه ضعيفة فيستألف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان
يسلموا فانه عليه الصلاة والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص
ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة
لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب
بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك
واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا
للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم
يكن وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة
لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق
على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد
بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دلت عليه الاية اي فرض لهم
الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم
حكيم وضع الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف
الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك
واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز
صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي
ووالدي رحمهما الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم
الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من
اذن اذنا قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة
ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق
فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان
حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا
بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه
اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة
له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على
معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله
احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين
او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه ورسوله
كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه اي الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله
يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير
ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله
ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون

ان

ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان
تكون الضماير للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم
وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه
خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج
مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او تحذرون اظهاره
من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور
الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله
ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض
السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء
به والزام للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاركم فانها
معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما والله وان تعف بالتاء والبناء
على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم
في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة
حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان
والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله
وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم
من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق
كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم
من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخرجة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج
الذين خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا
عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم يأتهم نبأ
الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم
ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين اهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا
بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت فصارت عاليها سافلها وامطروا الحجارة
من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم
رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس

كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله
ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز
غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس وتستطيب
فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن
اقامة وخلود وعنه عليه الصلوة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع
العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجمع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه
او لا بانه جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه
بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم
فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه مبدأ لكل سعادة
وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة
هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان
او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم وماواهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه الصلوة والسلام اقام في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد
لاخواننا حقا فنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله
فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر
بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا اي قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه
من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته
يقودها وحذيفة خلفها يسوقها اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم
اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم
فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس
على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد
الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه
فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة

فسال

فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث
مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرأه
الكتاب الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت
فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك
قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها
الى عمر في زمن خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان **فلما آتاهم من فضله بخلوا به** ومنعوا حق الله منه
وتولوا عن طاعة الله **وهم معرضون** وهم قوم عادتهم الاعراض عنها **فأعقبهم نفاقا في قلوبهم** اي
فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون المراد الضمير
للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم **الى يوم يلقونه** يلقون الله بالموت او يلقون
عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة **بما اخلفوا الله ما وعدوه** بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق
والصلاح **وبما كانوا يكذبون** وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح
من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد **الم يعلموا** اي المنافقون او من عاهد
الله وقرئ بالتاء على الالتفات **ان الله يعلم سرهم** ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم من الاخلاف
ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية **وان الله علام الغيوب**
فلا يخفى عليه ذلك **الذين يلمزون** ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون
بالضم **المطوعين** المتطوعين **من المؤمنين في الصدقات** روي انه عليه الصلاة والسلام
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت
ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق
عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على
صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين
عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **والذين لا يجدون**
الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ **فيسخرون منهم** يستهزئون
بهم **سخر الله منهم** جازاهم الله على سخريتهم لقوله الله يستهزئ بهم **ولهم عذاب اليم** على كفرهم **استغفر**
لهم او لا تستغفر لهم يريدون التساوي في الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله **ان تستغفر**
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لأزيدن
على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه
عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه
حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعماية ونحوها
في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد باسره **ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله**
اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم
قابليتهم بسبب الكفر الصادر عنهم **والله لا يهدي القوم الفاسقين** المتمردين في كفرهم
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك
في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه
عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله

ماكان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي
بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض للمؤمنين
الذين اثروا تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر قاله بعضهم لبعض
او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون
ان ماابهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤل اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على
صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور
والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة
من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون
اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى غير تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا
ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل
له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة
تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان
وقرئ مع المخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي
يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل
صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص
كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة
الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني
على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف
عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي
او لتابيد النهي ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة للاموال
والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة
من القران ويجوز ان يراد بعضها ان امنوا بالله بان امنوا ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا
مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذووا الطول والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة
للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما في التخلف عنه من الشقاق لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم من هو صح
اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين
النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان
وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسد وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد
وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على مواشينا

واهلينا

واهلينا والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر فيه او من اعتذر اذا مهد
العذر بادغام التاء في الدال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها
للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون
بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين
وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان
وان كان هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة
حرج اثم في التاخير اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يقول
الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على المسلمين الاسلام والمسلمين بالصلاح
ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين
موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين بذلك والله غفور
رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف
على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا
وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو
معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى
واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم
تفيض تسيل من الدمع فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من
يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال
او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون
في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا
بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاءهم
بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا
بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم اي نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي
الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون
عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم
واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فلا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود
منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة
وماواهم جهنم من تمام التعليل فكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ
في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا
يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم

لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذ كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم
ان يلبسوا عليكم فلا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود
من الاية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات
نحوهم الاعراب اشد كفرا ونفاقا من الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم
وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان يجهلوا حدود ما انزل الله
على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم بحال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما
يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله
ويتصدق به مغرما وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية
ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم
دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم
والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عاقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر
اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين
والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر
ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف
ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن
ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل
به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف
مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش بضم الراء سيدخلهم الله
في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره
قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا
قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين امنوا حين اقبل عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على
والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه
بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها
كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم وممن حول بلدتكم
يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها
ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله   انا ابن جلا وطلاع الثنايا
وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم
وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي
مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع
على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة
والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب
النار واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من

البجاد الكساء المخطط

المتخلفين

المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل بالمتخلفين فقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا
انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب
بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة
ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم
وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل
عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب
المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر
وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم
بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها
لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم
الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته
بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان
الله هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم
فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم
كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة
عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع
وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على
النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة
الله والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا
عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب
على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قبا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم
بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة
المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك
بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة تطرح فيها الجيف وكفرا وتقوية للكفر
الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين يجتمعون للصلاة في مسجد قبا وارصادا
ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب
الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع

الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزم هو خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا
مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه
فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى
او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
فى حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلاة لمسجد اسس على التقوى يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقول ابى سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله

لمن الديار بقنة الحجر ، اقوين من حجج ومن دهر ،

احق ان تقوم فيه اولى بان تصلى فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصى والخصال
المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى
عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه وقيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه المهاجرون حتى وقف على مسجد باب قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا
فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء
قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة
والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله تعالى قد اثنى عليكم
فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار
الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان
دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة من التقوى من الله وطلب مرضاته
بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها
فانهار به فى نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع
شفا جرف وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى
البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها
على ان تأسيس ذاك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى ادناها
الجنة وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم
الى النار لا محالة وقرأ ابن عامر ونافع أسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس على الاضافة
واسس واساس واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق
لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدى القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذى بنوا بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة فى قلوبهم اى شكا
ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما
هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة
والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او فى القبر او فى النار وقيل
التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرئ الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة
وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب

ولو قطعت

ولو قطعت على البناء للفاعل او المفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم
في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل
يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في
معنى الوعد في التورية والانجيل والقران مذكورا فيهما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله
مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية
الفرح فانه مما اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على
المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف
تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده
اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء من التائبون
الى والحافظون نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين
له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه
الصلاة والسلام سياحة امتي الصيام شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة
نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم
الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر عن الشرك
والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه
على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع
من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن مبتدأ تعداد آخر معطوف عليه ولذلك
سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين
موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل ايمانه كذلك وحذف
المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضره
الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت
وقيل نزلت لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الايتين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على
جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم
لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها
ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله
ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه
عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم
لاواه يكثر التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان
ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم
مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه
وكانه بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم

مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل
شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب
التبري عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى
لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم
مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من
اذن المنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى
النبي والمهاجرين والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص
دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء
والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان
تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
واتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة
وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني
المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة
او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة ابن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم
فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية
وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم
تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين او رجع
عليهم بالقبول مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد
في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليه بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه
وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ
من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عنه بصيغة النفي
للتأكيد ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا
معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل
وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء
بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا
يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف ووجوب المتابعة
بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله
ولا يطؤن لا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا
كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة

ان الله لا يضيع اجر المحسنين وهو تعليل للكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق
الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي المجنون واما في حق المؤمنين
فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا
كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل
منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك
ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون
لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا
جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة
كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا مشاق
تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة
ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والانذار من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في
البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة
لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذروا فرقتها
كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا
واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون
الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون
الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي
ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة
والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة
شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة
والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا
الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه
اولا يرون يعني المنافقين انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى — وقرأ حمزة بالتاء صح
الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون
ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما في عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون
هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم
انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار
والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من
انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم

عنتكم ولقاءكم المكروه حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف
رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن
الايمان فقل حسبى الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه توكلت
فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم الذى ينزل منه
الاحكام والمقادير وقرى العظيم بالرفع وعن ابى رضى الله عنه ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبى صلى الله
عليه وسلم ما نزل القران على الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما
سبعون الف صف من الملايكة والله اعلم

سورة يونس عليه السلام مكية وهى مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرا ورش بين اللفظين واما لها الباقون اجراء
لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران
من الاى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته
لم ينسخ منه شى اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا
وقرى بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة
على انهم جعلوه اعجوبة لهم فوجهوا نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم
دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم
ابو طالب وهو فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى
والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة
الحال اعون شى فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه
بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام ان انذر الناس ان هى المفسرة او المخففة
من الثقيلة فيكون فى موضع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد
ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به
ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها
كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم
انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب او ما جاء به
الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف
بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرى ما هذا الا سحر
مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض التى هى اصول الممكنات فى ستة ايام ثم استوى
على العرش يدبر الامر يقدر امر الكاينات على ما اقتضته حكمته وسبقت كلمته ويهيئ بتحريك
اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة ما من شفيع
الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعزة جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله
وفيه اثبات للشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية
والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد فى شى من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا
بالموت او بالنشور لا الى غيره فاستشهدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله
اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤا
الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بعدله

او بعدلهم

او بعدلهم وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو
الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه
ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم
العقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض
وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه
داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان
المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده
قراءة من قرا انه يبدؤ الخلق بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله
او بما نصب حقا هو الذى جعل الشمس ضياء اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط
وسوط والياء فيه منقلبة من الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم
اللام على العين والقمر نورا اى ذا نور وسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما
بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر
نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسير
كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة
منازله واناطة احكام الشرع ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب
الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا
بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا نفصل الايات لقوم يعلمون فانهم
المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان فى اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله فى السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا
من الاخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها
او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون لانهماكهم
فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن
الايات راسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين
والمراد بالاولين من انكر البعثة ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن
التامل فى الاجل والاعداد له اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا
عليه من المعاصى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم
الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب
الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية
وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجرى من تحتهم الانهار استينافا او خبر ثان
او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله فى جنات النعيم خبر او حال اخرى منه
او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى دعواهم فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم انا نسبحك
تسبيحا وتحيتهم ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام واخر دعواهم
واخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اى يقولون ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة
وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات

والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة من
الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرع اليهم الشر استعجالهم
بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به
تعجيل لهم وبان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو
يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف
لدلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على
البناء للفاعل وهو الله وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون
عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اى مضطجعا او قاعدا
او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره
مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه
لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ، ونحر مشرق اللون ، كان ثدياه حقان ،
الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك فى الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب
واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغى وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم
وهو حال من الواو باضمار قد وعطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا
لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفى كذلك
مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة
فى امهالهم نجزى القوم المجرمين نجزى كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على
كمال جرمهم وانها اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد
القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم
على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته
الدلالة على ان المعتبر جهات الافعال وكيفياتها لا هى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل
تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعنى
المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب
بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى
ولعلهم سالوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لى ما يصح لى ان ابدله من تلقاء نفسى
قبلى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع
الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الى تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف
فيه بنقض بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من
ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال انى اخاف ان
عصيت ربى اى بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير فى رواية
قنبل والبزى مع خلف عنه ولادراكم بلام التاكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا علمكم
به على لسان غيرى وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأتكم بالالف فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة
من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤوننى بالجدال
والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتى حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله

فقد

فقد لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة
الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما
ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته كل منطيق وعلا
كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علم الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث
الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر
والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه
كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته
فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد
لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب
نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور
الدنيا وفي الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة
الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم
عنده قل أتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء
شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض
حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي
او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي
هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موجودين على
الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة واحدة فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل
فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم والعذاب الفاصل
بينهم الى يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق
ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص
بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا النزول
ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما انزل عليه من الآيات العظام
واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض
اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى
كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع
مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج واما الجزاء على
الكفر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما تدبروا في اخفائه
لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي
يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة
للمبالغة فانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا
بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة اي تلقتها ريح عاصف ذات
عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم

اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط بهم العدو دعوا الله مخلصين له الدين
من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال العارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال
لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او
مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجؤا
الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين
ديار الكفرة واحراق زروعهم وقطع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا
لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك
متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر متاع بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي يتمتعون
متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف وتقديره
بغيكم متاع الحيوة الدنيا او متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى
انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا
حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس
والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف
النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب فتزينت بها وازينت
اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى
صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حفظها
حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه اي ما يستاصله من الآفات
ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن زرعها
اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله
وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه
حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا الماء وان ولي حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون
فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من النقص والآفة او دار الله وتخصيص
هذا الاسم للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي
من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى
وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة
لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا
كقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
واكثر وقيل الزيادة مغفرة الله ورضوانه وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار
او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين
مبتدا والخبر جزاء على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة
بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كان ما

اغشيت

اغشيت واولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة
بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم
من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل
والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون
وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين
احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا
يعني الفريقين ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد
للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم
ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز
عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة لهم بالاشراك لا ما
اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فيشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل
المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه
الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك
المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي
تتلوا من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ
نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل
نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه
اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق او المصدر
بالنصب على المدح والمصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع
لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف
المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما
او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر
ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة
والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه
في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت
ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع
في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية
او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر
كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد
الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب

قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها
وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب قل الله يبدا الخلق ثم
يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل
من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى
كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم
يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق
افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي
الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا
حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي
بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم
وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء
وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك
وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقضي
صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة
واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق لادنى مشاركة موهومة
والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن
لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق
حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز
ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران
ان يفترى افتراء من دون الله من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من
الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا وكيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد
على صحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق
الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت
من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين
خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل
المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع
الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة
فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم
مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في اللفظ والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك
فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على
ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران
اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما
من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم
تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق
ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فلجوا تكذيبه قبل ان يتدبروا
نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي

فرازوا

قرائن قواهم في معارضته فتضاءلت دونها ولما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره
مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن
به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم
من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك
اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة
فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام
الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن الذي لا يسمع صح
وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون كالاصم اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون
ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك
لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة
الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ
عليهم غير ما تنتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلايل نبوتك ولكن
لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عدم
البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة
ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري
والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون
بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل
من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم
يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة
التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف
تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم
وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في
يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل
المعارف فاكتسبوا بها جهالات ادت الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض بهم صح
الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم
فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على
ما يفعلون مجازيهم عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد
شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي
الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول ينسب اليه
فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر
لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء

به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمومنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب تستعجلونه وكله مكروه لا يلايم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى اذا اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فايتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزاينها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحسبوا من فظاظة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما تناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او بالنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح وللحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث نزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران الى مصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان

لانهم لا يعلمون صح

بعد

والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك
اشارة الى مصدره اى بمجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد
كقوله ، واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي ، وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ مرفوعا فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها
الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير
مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر
فى السماء يحصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم
دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل
هذه انعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم فى التحريم
والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقل تكرير للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير
لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اى شىء ظنهم يوم القيمة ايحسبون
ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد
تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون فى شان ولا تكون فى امر واصله الهمزة
من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير فى وما تتلوا منه له لان تلاوة القرآن معظم شان
الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران على ان من
تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفى او للقرآن واضمار قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل
تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث
عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه
تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائى
بكسر الزاى هنا وفى سبا من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء فى الارض ولا فى السماء
اى فى الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم
الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها
وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال
ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد
بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول والآية مجمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا
يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وهو
ما بشر به المتقين فى كتابه العزيز على لسان نبيه وما يريهم فى الرؤيا الصالحة وما يسنح
لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفى الاخرة بتلقى الملائكة اياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه اياهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله
ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة
والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل
بما قبله ولا يحزنك قولهم شركهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه

وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل
لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك
عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات
ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح
احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز
ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبعون محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى
ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انهم شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون
ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه
على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال
مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والذي هو السبب ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح
الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب
عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض
ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت
له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على
اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد
لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد
واضافة الشريك لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ
محذوف اى افتراهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع
او مبتدأ خبره محذوف اى لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره
مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك
فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري
اياكم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم وشركاءكم اى مع شركائكم
ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف
على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم
وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي
في اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم
غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني
وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الى ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ
ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون
ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم

واتهمكم

واتهامكم اياى لاجله او يفوتنى لتوليكم ان اجرى ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق
له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا
ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم
وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤوهم بالبينات المعجزات
الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر
وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة
الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم
بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات
التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة
ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين
اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه
ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان
يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق تعيبونه
من قولهم فلان يخاف القالة كقولهم سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان
العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كأنهم قالوا اجئتنا بالسحر
تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمى بها لاتصاف
الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما
به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم
به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء
وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره
محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان
الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه
وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد
من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير
لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن من آل فرعون وامرأته آسية وجاريته
وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملئهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على
ما هو المعتاد في جمع العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او القوم
ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف

كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى تخويف المومنين به يا قوم ان كنتم آمنتم
بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له
وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط
بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على
الله توكلنا لانهم كانوا مومنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع
فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل
اولا ليجاب له دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر
بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم قبلة مصلى وقيل
مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلاة فيها امروا
بذلك اول امرهم لئلا تظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المومنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه
روس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي ان يفعله كل احد
ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه
زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا
عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس
وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا
للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا
تنشرح للايمان فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف
على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يومن
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن
في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق
الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعا بتخفيف التاء من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف
لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا
باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه
لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على
اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين
لا يقبل آلآن اتومن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل ذلك
مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما
وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرا
يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال
اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او ببدرعك وكانت له درع من ذهب

يعرف

يعرف بها وقرئ بابدانك باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا
بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته
ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا
على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا
على الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مقهور
بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اية كسائر الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل
دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه
وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا وهو
الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا
في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد عليه الصلاة والسلام الا من
بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من
القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق
عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة
وان القران مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول
وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك
ولا اسال وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما
انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع
الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالادلة
القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه
كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون
في الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم
كل اية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية من القرى
التي اهلكناها امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله
الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب
ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة في معنى
النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها
كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة
الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى اجالهم روي ان يونس عليه الصلاة والسلام بعث الى
نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا
الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس
فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحنّ بعضهم الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واخلصوا التوبة واظهروا الايمان فتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة

ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين
على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشا ايمانهم اجمعين وان
من يشاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس
بما لم يشاء الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلائها حرف
الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا
يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان
قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن
الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس
العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرا ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات او لا يعقلون دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع
ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض من عجايب صنعه ليدلكم على
وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يؤمنون في علمه وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين
هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل
نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه
بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرا حفص والكسائي ننج مخففا قل يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تدعون من دون الله ولكن اعبد
الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد الذي تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد
خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من
المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد
مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك
للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها
والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاعتداد فيه باداء الفرايض والانتهاء عن القبايح
او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته
فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله
بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد لفضله الذي
ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير
مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على
انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب
به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية
قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم علة فمن اهتدى بالايمان

والمتابعة

والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال
عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكل الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين
اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد
من غرق مع فرعون والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله وسلم على محمد وآله

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها
منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة
على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار
او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت
بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي
في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت
وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا
الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما
مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله
بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه اي من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب
على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا
الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم للتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم
في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق
والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي
فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب
بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم
الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبكم اشد عذاب وكانه
تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على
الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني
وهو بناء المبالغة وتثنون وتثنوي واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به
ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان بالهمزة كابيض ليستخفوا منه
من الله سرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنون عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا
ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم وقيل
نزلت في المنافقين وفيه نظر لان الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون
ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون
بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور

باسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها غذاها
ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل
فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها فى الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها
من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل اى
كل واحد من الدواب واحوالها فى كتاب مبين مذكور فى اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان
كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد
ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام اى خلقهما وما
بينهما وما بهما كما مر بيانه فى الاعراف وما فى جهتى العلو والسفل وجمع السموات دون الارض
لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل
بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد
العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا
متعلق بخلق اى خلق ذلك الخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون
منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع
وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض
على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد
بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع فى طاعته والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول به او القران
المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة والبطلان وقرا حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشارة
الى القائل وقرئ انكم بالفتح على ان تضمن قلت معنى ذكرت او يكون ان بمعنى علّ اى ولئن
قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة
فى انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة
ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا
عنهم اى ليس العذاب مدفوعا عليهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على
جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا
ومبالغة فى التهديد ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع
يستهزؤن موضع يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه
ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من رحمة الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور
مبالغ فى كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد
سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عنى
اى المصائب التى ساءتنى انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن
كالانموذج لما يجده فى الاخرة وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم
والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان

لان المراد

لان المراد به الجنس فاذا كان باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكره جعل الاستثناء
منقطعاً فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأى
المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعوا اليه وقوعه
لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا
وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير
في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك
ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه
عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير لما
يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا
عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات
مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى
فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين
ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر
الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم
فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر
عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر
عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه
تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام
راسخون فيه مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين
والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم
من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عند الله فان
ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل
هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم
جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء
اي يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله

، وان اتاه خليل يوم مسغبة ، يقول لا غائب مالي ولا حرم ،

وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين
وقيل في الكفرة وبرهم اولئك ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا الذين صح
ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها
لانهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة في اقتضاء
ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا
يعملون لانه لم يعمل على ما كان ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ
باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله على حلفة لا اشتم الدهر مسلما

ولا اخارجاً من فيّ زور كلامي، وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله
على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم
وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهي التي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره
افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي
عليه الصلاة والسلام وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل
شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني
التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل او لسان الرسول عليهما السلام على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير
في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب
عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن من كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل ويقرا من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل
عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون
به اي بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن
وقرئ مرية بضم الميم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة
نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى
عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد
كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل لما يحيق بهم حينئذ
بظلمهم بالكذب على الله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها
بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون
والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين
في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم
من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم
عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله فكانه العلة لمضاعفة العذاب
وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع
ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم
باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا
بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه
وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل
الفريقين الكافرين والمؤمنين كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به
تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن
تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها
باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما
والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله، فالصابح فالغانم فالآيب، وهذا من باب

اللف والطباق هل يستويان هل يستوى الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون
بضرب الامثال والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن
عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص
الا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة
بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف
به العذاب وزمانه على طريق جد جده ونهارك صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من
قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما
نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر
او الارذل جمع رذل بادى الرأى ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو او اول الرأى من البدء
والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف
مضاف اى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم
فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل
وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل بل نظنكم كاذبين يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة
بل نظنكم كاذبين اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على
الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبرونى ان كنت على بينة من ربى حجة شاهدة بصحة دعواى
واتانى رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم خفيت عليكم فلم يهدكم
وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او لانه
على تقدير فعميت عليكم بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحد منهما وقرأ حمزة
والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله تعالى انلزمكموها
انلزمكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران
وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه
على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجرى الا على الله فانه المأمول منه
وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون
طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكنى اراكم قوما
تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او فى التماس طردهم او تتسفهون عليهم بل تدعوهم اراذل
ويا قوم من ينصرنى من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة
افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم
عندى خزائن الله رزقه وفضله حتى جحدتم فضلى ولا اعلم الغيب عطف على عندى
خزائن الله اى ولا اقول اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى
بادى الرأى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول ولا اقول انى
ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدرى اعينكم ولا اقول فى شأن
من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد لهم فى الاخرة خير مما اتاكم فى
الدنيا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء
افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين
للمبالغة وللتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة
حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا
فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين

في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لاتؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او اجلا وما
انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل
جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد
ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم فلا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان
دخلت الدار فكلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل
ودليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم
من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على
الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسنادكم الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من
التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ
الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا
اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع
العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان
يعملها في برية بعيدة عن الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا
بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا
والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك
عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما
بينهما حال من الضمير فيه وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع
كالقدر يفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في
موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع
فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين
ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين
اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه
ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما
كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين
زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة
من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع
وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاث بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحوش
وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا
لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو
اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى
والمرسى للوقت او للمكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما
بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ محذوف
اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضية لا تعلق

لهما بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء، وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت
واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام
عليكما وقرا حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها
ايضا من رسى وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله تعالى ان ربى
لغفور رحيم اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم وهى تجرى بهم متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها فى موج كالجبال فى موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وما
قيل ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهور
انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح ذلك فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه
كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكانت ربيبته وقيل كان لغير
رشده كقوله فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت من ذلك فالمراد بالخيانة الخيانة فى الدين
وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان فى معزل عزل فيه نفسه عن ابيه
او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بنى اركب معنا اى فى السفينة
والجمهور كسروا الياء ليدل على الياء الاضافة المحذوفة فى جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها
فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواية عنه وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا
اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه فى سائر المواضع
وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فى الدين
او الانعزال قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء ان يغرقنى قال لا عاصم اليوم من امر
الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك
ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ الا معتصم المؤمنين وهى السفينة وقيل
لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة ويكون معناه لا معصوم الا المرحوم كقوله فى عيشة راضية وقيل
الاستثناء منقطع اى لكن من يرحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وولده او بين
ابنه وبين الجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء
اقلعى نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما
لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذى يامر به المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة
من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص
وقضى الامر انجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة
على الجودى جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها
عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد
بعدا بعيدا لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والاية فى غاية الفصاحة
لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار
على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغنى عن ذكره اذ
لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى
نوح ربه اراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابنى من اهلى فانه النداء وان وعدك
الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او فما
له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك ينج صح
اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحكيم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من

اهلك يقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين واليه اشار بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل
لنفي كونه من اهله واصله ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف
ناقة ترتع ، ما رتعت حتى اذا ادكرت ، فانما هي اقبال وادبار ، ثم بدل الفاسد بغير
الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه
وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لم تعلم
اصواب هو ام ليس بصواب وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازا في
شان ولده واستفسارا لمانع الانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان
تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال
لكن شغله حب الولد حتى اشتبه الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا
نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات
وكسرت المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل قال
رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي
وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا
قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما
عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ
اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك
سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون وامم
سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد
بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح وشعيب عليهم السلام والعذاب
ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي
بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي في الدنيا موحاة اليك او حال من الانباء
او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها
او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط
غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية
القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي
والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا
الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله
باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة
بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفون المحق من المبطل والصواب من الخطأ
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله تعالى بالايمان بالله والبر ثم
توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده
يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم
بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زرع وعمارات وقيل حبس الله عنهم المطر واعقم
ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار
وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم

قالوا

قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن
قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط من الاجابة والتصديق ان
نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك
اياهم وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان
الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجابة عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته
من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة
بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم
قد عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه فلم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد
لا تضر ولا تنفع ولا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم
فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام
ليس الا للثقة بالله تعالى وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله
اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني
فاني متوكل على الله وانق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون
على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك
لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على
صراط مستقيم انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا
فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا
تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف
بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب
بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكأنه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف
ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على
كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه
فلا يمكن ان يضره شيء فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم
عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد
تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم
معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة
او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم
عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا
امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى
عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب
الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء
عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى
عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف

بيان لعاد وفائدته تميزهم عن عاد الثانية لا عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم البعد بما جرى
بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم
من الارض واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل
هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم
تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة
مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد
ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع
رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك
مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة
على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان
وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني
من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذا باستتباعكم
اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما
تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصابها على الحال
وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض
الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى
عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم
او في داركم في الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب
اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ، ويوم شهدناه سليما
وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك ما وعد فان وفى به صدقه والا
كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين
امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة
او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرا نافع والكسائي بنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ
بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء
والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين سبق تفسيره في سورة
الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقرا حمزة والكسائي وحفص ان ثمود ههنا
وفي العنكبوت وفي الفرقان بفتح الدال من غير تنوين ونونه الكسائي في جميع القران وابن كثير ونافع
وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا
ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل طهر
بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما ويجوز
نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم سلام او جوابي سلام او عليكم سلام رفعه
اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم
وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في
المجيء به او فما تاخر عنه والجار والمجرور مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف
وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما راى
ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف
ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك والاضمار قالوا لما احسوا

منه الخوف **لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط** انا ملائكة مرسلة الى قوم بالعذاب وانما لم نمد اليه
ايدينا لانا لا ناكل **وامرأته قائمة** وراء الستر تسمع محاوراتهم او على رؤسهم للخدمة **فضحكت**
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم
اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت فحاضت قال

وعهدي بسلمى ضاحكا في جماعة ... ولم يعد حقا ثديها ان تحلما

ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء **فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق
يعقوب** نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها
من وراء اسحاق يعقوب وقيل معطوف على موضع باسحاق او على لفظ اسحاق وفتحته للجر
لانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على
انه مبتدا خبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي
به لانه ولد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من
حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل
وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر
به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد **قالت يا ويلتا** يا عجبا واصله في الشر
فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل **االد وانا عجوز** ابنة تسعين او تسعة وتسعين
وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر **شيخا** ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل
فيه معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي
البدل **ان هذا لشيء عجيب** يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة
ولذلك **قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت** منكرين عليها
فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم
والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة
الايات واهل البيت نصب على المدح او النداء لاهل التخصيص كقوله اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد **مجيد** كثير الخير والاحسان **فلما ذهب عن ابراهيم الروع**
ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم **وجاءته البشرى** بدل الروع **يجادلنا في قوم لوط**
يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم كقوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا
على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي في جواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل
اجترى على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به فقام مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا **ان
ابراهيم لحليم** غير عجول على الانتقام من المسيء اليه **اواه** كثير التأوه من الذنوب والتأسف
على الناس **منيب** راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفرط رحمته **يا ابراهيم اعرض عن هذا** عن هذا الجدال **انه قد جاء امر ربك** قدره بمقتضى
قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم **وانهم آتيهم عذاب غير مردود** غير معروف بجدال
ولا عذاب ولا غير ذلك **ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم** ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة
غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرا
نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت باشمام السين الضم وفي العنكبوت وفي الملك
والباقون باخلاص حركة السين **وضاق بهم ذرعا** وضاق بمكانهم صدره وهو كناية
عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه **وقال هذا يوم عصيب** شديد
من عصبه اذا شده **وجاءه قومه يهرعون اليه** يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب

الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا عليها
ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما
وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك
اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل
نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي مصحف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو
اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولهم الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر
بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا
الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية
بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه أليس منكم رجل رشيد يهتدي
الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم
ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن
شديد الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي
لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا
وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه صلى الله عليه وسلم اغلق بابه دون اضيافه واخذ
يجادلهم من وراء الباب فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان
يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون
النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع
بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف
ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط عليه السلام الا امرأتك استثناء
من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا
انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض
ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين
في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت ثم قالت يا قوماه فادركها
حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين
عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل منهم ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير
الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله
على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء أليس الصبح بقريب جواب لاستعجال
لوط عليه السلام واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل جعل
التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها
اي الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي
ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها
حجارة من سجيل اي من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله
اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل

اى

اى مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما منضود
نضد معد لعذابهم او نضد في الارسال يتتابع بعضها بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه
على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به
عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هى من الظالمين ببعيد فانهم
بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبريل عليه السلام
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط من ساعة الى ساعة وقيل
الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد
على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين ابن ابرهيم عليه السلام
او اهل مدين وهو بلد بناه فسماه باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا
تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه
من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض انى اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة
حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهى وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد
منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال
ووصف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف
عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل
والتسوية عن زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد
يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في
المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو
السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله
الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين من دينكم ومصالح اخرتكم
بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالايمان او ان كنتم مصدقين لى في قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات
الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت
حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء
به والتهكم بصلواته والاشارة بان مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات
ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوها بالذكر
وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك
فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف
على ما اى وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك
وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير
فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك

او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة
الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم
والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان
اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوفات والنهي
عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا
لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهاكم عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما
اريد به الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه وهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه
على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة احدها اهمها واعلاها حق
الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به
وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح
اي المقدار الذي استطيع او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله
وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن
من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة
الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد
وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة
الحق فيما ياتي ويذره من الله عز وجل والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره
وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع
الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني
مفعولي جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم
وهو منقول من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة
الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله

، لا يمنع الشرب منها غير ان نطقت ، حمامة في غصون ذات اوقال ،

وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد
وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد او لا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمونث
لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه
ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعله
البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب
ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما
وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا
اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا
ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده

التقييد

التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضا والشهادة والفرق
بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمى الحجارة او باصعب وجه
وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل
الحجج والايات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لا فى ثبوت
العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والاهانة
برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب
وظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربى بما تعملون محيط فلا يخفى
عليه شئ منها فيجازى عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى سوف ثمة للتصريح بان الاصرار
والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد
ذلك فهو ابلغ فى التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقوله
ستعلم الصادق والكاذب بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب
والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه
لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم
انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او الراكب كالعشير او المرتقب كالعشير
كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما
فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر
بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح ولذلك جاء بفاء السببية
واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم
جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت
من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر
يغير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور
ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة
او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين
كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما
ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع
والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر
بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة
طرف
فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة
من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذى رشد
وانما هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا
الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه
ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس
المورود الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد

والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد
او تفسير له على ان المراد ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة
اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او بئس العطا المعطا
واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة
في الدارين ذلك اي ذلك النبا من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك
منها قايم من تلك القرى باق كالزرع القايم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود
والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير
وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما
اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله
من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير
وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب
على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى
وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم
اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم
شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك
اي فيما نزل في الامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب
الاخرة يعتبر به لعظمته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة
وينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان
من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب
فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب
الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى
الجمع في اليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم
يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود
اي مشهود فيه اهل السموات والارض فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به
كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم
مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك
وما نؤخره اي اليوم او الجزاء الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية
على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم
يات اي الجزاء او اليوم لا كقوله ان تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل
كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف
الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة
وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن
الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر والماذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع
عنه هو الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت
له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكروا لانه معلوم مدلول عليه
بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق

الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم **خالدين فيها ما دامت السموات والارض** ليس لارتباط دوامهم في النار بل للتعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجري فيه التشبيه **الا ما شاء ربك** استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبداء معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن اذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع عن الجمع وههنا المراد ان الموقف لا يخرجون عن القسمين لان حالهم لا يخلو عن الشقاوة والسعادة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين اولان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض **ان ربك فعال لما يريد** من غير اعتراض **واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة **فلا تك في مرية** شك بعد ما انزل عليك من مآل الناس **مما يعبد هؤلاء** من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه يضر ولا ينفع **ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل** استئناف معناه التعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان فقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة ما قبله عليه **وانا لموفوهم نصيبهم** حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه **غير منقوص** من النصيب لتقييد

التوفية فانك تقول وفيته حقه ووفيته وفاء بعضه وهو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من
ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به
عن المحق وانهم اي كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان
كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة
للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن
والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما
وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه
وان خفي عليهم فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح
الوعد والوعيد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة
للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا
من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات
من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه
الصلاة والسلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي من تاب من الشرك والكفر
وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو يجازيكم عليه وهو
في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف
وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل
فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته فتمسكم النار
بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون
الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك
فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها الى
احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا
فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون
الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم
لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياكم وقد
اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون
اصلا واقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف
اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو
جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلاة من اول النهار وصلاة
العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب
والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى
وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة

لما

لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اني قد اصبت من امراة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل
الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع
اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر
احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم
اولو بقية من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه
ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية
اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة مصدر
بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا
منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله اذ جعل استثناء من النفي لازم
للتخصيص واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان
السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكر
مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين
ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون
الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط
رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد
وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد
وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل
لا يكاد يوجد اثنان يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا
على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة
للاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده
او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين
لا من عصاتهما وكلا اي كل نبا نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فوادك
بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه
وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب
على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فوادك من انباء
الرسل وجاءك في هذه الحق السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة لا يومنون صح
وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين امنوا اعملوا على مكانتكم
على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل عليكم نحو
ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما
واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرا نافع وحفص يرجع بالبناء
للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه
على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه
وقرا نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفي اخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وبهود
وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وكان يوم القيمة
من السعداء ان شاء الله تعالى والله اعلم

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة
معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم
قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لما انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس
يقع على الكل والبعض فصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة
للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير
فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي
انزلناه قصصا مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه
عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء
نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب
او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول بايحائنا خ
كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اليك هذا القرآن
يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان
كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة ولم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل
لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص
ان جعل مفعولا لا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان
عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه فعل مضارع بني للمفعول
او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت بعجميته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
عليهم الصلاة والسلام وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن اسحاق
ابن يعقوب بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي عوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة
ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض عن حرف
تناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف
وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم
اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم يسكن كاصلها لانها
حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية
لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي
عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن
النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم
قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح دقاب خ
والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء
فسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف
لبيان حالهم الذي التي راهم عليها وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني
تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتي عشرة سنة وقرأ حفص هنا

وفي

وفى الصافات بفتح اليآء لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك
حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف
عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحرفى التانيث
كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى
فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك
المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاج
اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل تعدى به تاكيدا ولذلك
اكد بالمصدر وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم
وحوى فلا يالو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اى وكما
اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك
او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج
عن التشبيه فكانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك
ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله
وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة
او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب يريد به سائر بنيه ولعل يعقوب استدل
على نبوتهم بضوء الكواكب ونسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجا
من النار وعلى اسحاق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا
الوقت ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل
الاشياء على ما ينبغى لقد كان فى يوسف واخوته فى قصصهم ايات دلائل قدرة الله وحكمته
او علامات نبوتك وقرا ابن كثير اية للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة
وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها
يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما
ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون قرماد ودان ونفتالى واشر من سريتين زلفة
وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة
من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر
وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف ونحن عصبة والحال
انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفى ضلال مبين لتفضيله المفضول
او لترك التعديل فى المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض
له اقتلوا يوسف من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال
لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون او دان ورضى به الاخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من
العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب
الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى
محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ

من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم
وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال
قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم
والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات الجب
في الموضعين كأنه كان لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه
بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان
تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا
له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم
لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام
لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء مع الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع نتسع في اكل
الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتصال وقرأ ابن كثير
نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون
ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يُرتع من ارتع ماشيته ويرتع
بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض
كانت مذئبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقرأ ورش
وابو عمرو وحمزة اذا وقفت بغير همز والباقون بالهمز واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا
هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء
مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر المقدس او بئر بارض الاردن
او بئر مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به
ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى
كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به
الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به
على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس
والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة
كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع
عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص
ان ابراهيم عليه السلام لما حين القي الى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة
فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها على يوسف
فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اذهانهم وطول العهد المغير للحلى والهيآت وذلك
اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول
اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل بقوله واوحينا اي
آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو
تصغير عشي وعشا بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي

انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق**
نتسابق في العدو والرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا **ولو كنا صادقين**
لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف **وجاؤا على قميصه بدم كذب** اي ذي كذب بمعنى
مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو
اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدرا او طري وقيل اصله البياض الخارج على
اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف
اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف
صاح وسأل قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق قميصه عليه ولذلك **قال بل سولت لكم
انفسكم امرا** اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء **فصبر
جميل** اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي
الى الخلق **والله المستعان على ما تصفون** على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف وهذه
الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح **وجاءت سيارة** رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا
قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه **فارسلوا واردهم** الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي **فادلى دلوه** فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف
فلما رآه **قال يا بشرى هذا غلام** نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعال
فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي
بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرا ورش بين اللفظين وقرئ يا بشريّ
بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف **واسروه** اي الوارد واصحابه
من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير
لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها
فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا فاشتروه منا فاشتروه وسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه **بضاعة** نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه
من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة **والله عليم بما يعملون** لم يخف عليه اسرارهم
او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم **وشروه** وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه
من اخوته **بثمن بخس** مبخوس لزيفه او نقصانه **دراهم** بدل من الثمن **معدودة** قليلة
فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين
وعشرين **وكانوا فيه** في يوسف **من الزاهدين** الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان
للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء
متهاون فيه خايف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا
انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو
متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول **وقال
الذي اشتراه من مصر** هو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير
وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حيوته وقيل
كان فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه

العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو
ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن
ماية وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينار
وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل وزنه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي
مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه
من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت
استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته
في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه
من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان
القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله
واحكامه فينفذها وتعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل
بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء
او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الامر كله لله او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد
جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه
بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم
تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه
في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه
وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب
قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر
او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك
وقرأ ابن كثير هيت بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان بالفتح وكسر
الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه بضم التاء وقرئ هيت
كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله
معاذا انه اي الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي
مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه
فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم الزاني
والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده
والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من
يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان
راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز
ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه الكلام وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل
قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنى انه

انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار
او ضمن الفعل معنى الابتداء وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه من الخروج
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق
عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على
يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن
قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواطاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضت له من
السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل
ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة بنت
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون
الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل انها قدت
قميصه من قدام بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته
والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها
ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره في قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك فان معناه ان تمتن علي باحسانك امتن عليك باحساني السابق
وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء
من اراد باهلك او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلكن والخطاب لها ولامثالها
او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في
النفس لانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف
النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل
انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب
وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم
النون لغة فيه في المدينة ظرف لقالوا اي اشاعوا الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن
خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأة العزيز تراود
فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي
لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل
الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا طلاه
بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما
سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك
لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل
دعت اربعين امرأة فيهن الخمسة واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت
كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن
عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او ليهاب يوسف من مكرها
اذا خرج وحده على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس الطعام

فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك نهى عنه قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا ، وشربنا الحلال من قلله .

وقيل المتكا طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة
ومتكا باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ اذا
بتكه ومتكا من تكئ يتكأ اذا اتكأ **وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه** عظمنه وهبن
حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة
البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة
اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اى
حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ، فان لحت حاضت في الخدور العواتق .

وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من شدة الدهشة **وقلن حاش لله** تنزيها له من
صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت
الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه
واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير اللام بمعنى براءة الله وحاشا
لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية
وفاعله ضمير يوسف اى صار في ناحية الله مما يتهم فيه **ما هذا بشرا** لان هذا الجمال غير
معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفى الحال وقرئ
بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم **ان هذا الا ملك كريم** فان الجمع
بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق
جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك **قالت فذلكن الذى لمتننى فيه** اى فهو العبد الكنعانى
الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه **ولقد راودته عن
نفسه فاستعصم** فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كى
يعاونها على الانة عريكته **ولئن لم يفعل ما آمره** اى ما آمر به فحذف الجار او امرى اياه
بمعنى موجب امرى والضمير ليوسف **ليسجنن وليكونا من الصاغرين** الاذلاء وهو من
صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو
يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك
في الخفيفة لشبهها بالتنوين **قال رب السجن** وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر **احب
الى مما يدعوننى اليه** اى آثر عندى من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما
تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها
وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان
الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان
يسأل الصبر **والا تصرف عنى** وان لم تصرف عنى **كيدهن** في تحبيب ذلك الى وتحسينه
عندى بالتثبيت على العصمة **اصب اليهن** امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعى ومقتضى
شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ
اصب من الصبابة وهى الشوق **واكن من الجاهلين** من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى
اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء
فاستجاب له ربه دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف **فصرف عنه كيدهن** فثبته

بالعصمة

بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو
السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا ا
الايات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا من الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة
الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واعتصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره
ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما
يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان
بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل
معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل معه حينئذ آخران من
عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني
الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول
اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهش منه ه
نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين
وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين لاهل
السجن فاحسن الينا بتاويل ما راينا ان كنت تعرف قال لا ياتيكما طعام ترزقانه
الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني ببيان ماهيته
وكيفيته فانه يشبه تاويل المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الطريق القويم قبل ان يسعف لهما سالاه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما
على طريقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني ربي
بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار
انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل
ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم
وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء
اي شيء كان ذلك من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم
عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ﺓ
ينتبهون عنه او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الادلة وانزال الآيات ولكن اكثرهم
لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي
السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة
اهل الدار أارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد
في الالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه
خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسامي اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق
مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على
استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها
ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد

للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك
الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن ان ما
تسمونه الهة وتعبدونه لا يستحق العبادة الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا الامرين منتفع عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم
الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون
في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه
قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قضي الامر الذي تستفتيان
فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا
استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر
ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني
عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى
الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار
ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس
والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع
وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى
الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل
السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما
قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف
السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف وانه لبيان الجنس
وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملا افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال
من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة
وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل
فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمين تعبرون
معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث
احلام اي هذه اضغاث احلام وتخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط
النبات وحزم واستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة ليس لها تاويل عندنا وانما
التاويل للمنامات الصادقة وانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال
الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف
بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة

اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامة اى نسيان يقال امه يامه امها اذا نسى والجملة اعتراض ومفعول
القول انا انبئكم بتاويله فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق
اى فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق
لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا فى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى فى رؤيا ذلك لعلى ارجع
الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد وقيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون
تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما على الرجوع فربما
اخترم دونه ولا من علمه علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا على عادتكم المستمرة وانتصابه
على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا
حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة
الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول
نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون فى تلك السنين ثم ياتى من بعد ذلك
سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اى ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز
تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذر الزراعة ثم ياتى من بعد
ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر — من المحيط
كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائى بالتاء على تغليب
المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل منه اى
يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض او بتضمينه
معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر سنين
مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع فى السنين
المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان
السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتونى به بعد ما جاء
الرسول بالتعبير قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن انما تانى فى
الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى
صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاساله
ما بال النسوة ولم يقل فاساله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض
لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربى بكيدهن
عليم حين قلن لى اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ
مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شانكن والخطب امر
يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من
قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امراة العزيز الآن حصحص
الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال

فحصحص فى صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوءة ثم صمما •

او ظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرته وقرئ على البناء للمفعول انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى ذلك ليعلم قاله يوسف
لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب اى

بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف
اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه
ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل
في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي ولا انزهها
تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل لاظهار ما انعم الله عليه من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا
حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة
ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة
ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه
وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس
ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه
مما ارتكبه وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا
به وكلمه وشاهد منه الرشد والدها قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين
مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يعرف
سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها
ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل
توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد منها افرائيم
وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها
ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه الصلاة والسلام لما راى انه يستعمله
في امره لا محالة اثر ما يعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار
انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق
الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء
بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم
عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير
الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيها
وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر
ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال
الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل
يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف
ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك
وبعد حاله التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب
والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله

والجهاز ما يعدّ من الامتعة للنقلة كالعدد للسفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يزف به المرأة
الى زوجها وقرى بجهازهم بالكسر قال ائتونى باخ لكم من ابيكم روى انهم لما دخلوا عليه قال
من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من
الانبياء اسمه يعقوب قال فكم انتم قالوا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم
ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد
لكم قالوا لا يعرفنا احد ههنا من يشهد لنا فقال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم
من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسألوا
حملا زايدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون انى
اوفى الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم
فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون اى لا تقربون ولا تدخلوا ديارى وهو
اما نهى او نفى معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد فى طلبه من ابيه وانا لفاعلون
ذلك ولا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص
لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم فانه وكّل بكل رحل واحدا يعبى
لهم فيه بضاعتهم التى اشتروا بها الطعام منهم وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا
وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيهم
ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكى يعرفوها اذا انقلبوا الى
اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما
رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل برفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى
بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن
ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم فى يوسف وانا
له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امرى اليه وهو ارحم الراحمين فارجو
ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا فى قراءة حمزة
والكسائى وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرى خير حافظ وخير الحافظين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرى ردت بنقل كسرة الدال
المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغى ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا
واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ولا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغى فى
القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرى ما تبغى اى اى شئ تطلب وراء هذا
الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله
ما نبغى ونمير اهلنا معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع
الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير
باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل
ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغى اى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك
كيل يسير اى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى
الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل
لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير
لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله

حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك
او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على
كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تاويل النفي اي
لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا
فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل
رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم
كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم
ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا
مجهولين حينئذ او للداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي
يدل على قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين
لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع
القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه
توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم
الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة السببية فان فعل الانبياء سبب
لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد
ما كان يغني عنهم اي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال
يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة
على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه
يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو
علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر
من تدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما
دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي
انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا
لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون
معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس
بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه
قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت
من فضة وقيل من ذهب وقرئ جعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن
مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقل بامر يوسف او كان تعبيته
السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم
لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها
كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصله فعل كسقف فعل به ما فعل
ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
اي اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون
من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح

والضم

والضمّ والعين والغين وصواع من الصّياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به
زعيم كفيل اوديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل
قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهد بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا
منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي
جعلت في رحالهم وكعم الدواب كيلا تتناول زرعا اوطعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما
جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه
هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له اوخبر من والفاء لتضمنه
معنى الشرط اوجواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام
الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ
باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين
نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ
بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به
اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم الضعف ما اخذه
دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء
من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات
من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج
به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم والجواب ان كل ذي
علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة
ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين
فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت
تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم
اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي
امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر
مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم
اخاكم او في سوء الصنيع بما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ الجملة المفسرة
لا تكون الا لضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا
مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من
وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون
في مذهبكم هذا وان مراده ان الله تعالى اذن في ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه
عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استياسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة وعن البزي واستايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف

الحمل في العرف ... ان الى ازيد وهو ما يحمل البعير على علم

يقال كعم البعير كمنع فهو مكعوم اذا شد فاه لئلا يعض او ياكل

بفتح الغين وهي الانثى من اولاد المعز

الثكلان اي حزين عليه لفقده

حمزة التي حركة الهمزة على الياء على اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه
مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل
او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل
ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية
في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف
او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتدا والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا
كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى
ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن
لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي ويقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منها او بالمقاتلة معهم
لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتتركنا او لاصيحن صيحة
تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه
وكان ان بني يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غيظه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد
لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه
الا بما علمنا بان راينا الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري
انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه
سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية
بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها
واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل
سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم
انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل
فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما
الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره وتولى عنهم واعرض عنهم
كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد
الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما
لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذ بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما
دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد
صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى
وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره
وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التاسف والبكا عند التفجع ولعل امثال
ذلك لا يدخل تحت التكليف لانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزع
على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك
يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى
مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين
الغيظ من كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله
تفتؤ تذكر يوسف اي لا تزال تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله

فقلت

تمامه ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

فقلت يمين الله ابرح قاعداً، لانه لا يلتبس بالاثبات لان القسم اذا لم يكن معه علامة على الاثبات
كان على النفي **حتى تكون حرضا** مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض
وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به
وبضمتين كجنب **او تكون من الهالكين** من الميتين **قال انما اشكو بثي وحزني** همي الذي لا اقدر
الصبر عليه من البث بمعنى النشر **الى الله** لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي **واعلم من الله**
من صنعته ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه **ما لا تعلمون** او من الله بنوع من
الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل
علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا **يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه**
فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس **ولا تيأسوا من روح الله** ولا تقنطوا
من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي تحيى بها العباد **انه لا ييأس من روح الله**
الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال **فلما دخلوا**
عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية **مسنا واهلنا الضر** شدة الجوع
وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه
تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوف وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء
وقيل الاقط وسويق المقل **فاوف لنا الكيل** فاتم لنا الكيل **وتصدق علينا** برد اخينا او بالمسامحة
وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تخص
نبينا عليه الصلاة والسلام **ان الله يجزي المتصدقين** احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله **قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه** اي هل علمتم
قبحه فتبتم عنه وفعلتم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمكم الا بعجز
وذلة **اذ انتم جاهلون** قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا
على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب
في خلاص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان
فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين **قالوا أئنك لانت يوسف** استفهام
تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم
وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة في قرنه تشبه الشامة البيضاء
وكانت لسارة ويعقوب مثلها **قال انا يوسف وهذا اخي** من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما
لشانه وادخالا له في قوله **قد من الله علينا** اي بالسلامة والكرامة **انه من يتق** اي يتق الله **ويصبر**
على البليات او على الطاعات وعن المعاصي **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** وضع المحسنين موضع
الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا**
اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة **وان كنا لخاطئين** والحال ان شاننا انا كنا مذنبين
بما فعلنا معك **قال لا تثريب عليكم** لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش
للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه **اليوم** متعلق بالتثريب
او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما بالكم في سائر
الايام او بقوله **يغفر الله لكم** لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها **وهو ارحم الراحمين**
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه
وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال

وهي كما قال في البحر الفستق

يب

ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر واتوني باهلكم اجمعين بنسائكم انتم صح
وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره
اني لاجد ريح يوسف وجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا
من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان العقل يحدث من
من الهرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان
جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل القميص المتلطخ بالدم فافرحه بحمل هذا القاه
على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا
لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال
الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له
المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى
ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم
شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا
خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما
دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا
حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى
اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته لام واعتنقهما نزلها منزلة الام منزلة العم في قوله واله
ابائك ابراهيم واسحاق ويعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله امنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن
والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له
سجدا تحية وتكرمة له فان السجود عندهم كان يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله
شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام
بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل التي رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي
حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء
بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري
ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل
دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدبير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقت على وجه
يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني
ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال
اعفك
اوما

اوما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله تعالى امرني بذلك لقولك اني اخاف
ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يوت كل التاويل
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه انت
وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة اي الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني
والحقني بالصالحين من اباءي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه اسحاق فذهب به
ودفنه ثمه وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق
من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى
الى مدفن اباءه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو
جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب
فيه للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا
امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر
اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه
ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته
منه وانما حذف في هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات
عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او على القران
من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة للعالمين عامة وكاين من اية
وكم من اية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلايل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال
قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها
معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا خبره
يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون
عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم
بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة
التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي
مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك
فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن
اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء
النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك ويمتازوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القران
ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني فسورة الانبياء وحمزة والكسائي يميلانها على اصلها
ههنا وفي النحل والاول من سورة الانبيا من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم

يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم المكذبين بالرسل والايات فيحذروا
تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال
او الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون فيستعملوا
عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي
قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي
ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى اذا يئس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم
في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبتهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن
المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل
اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي
عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما
يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على
سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما وعدوهم
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى
عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمومنين وانما لم يعينهم للدلالة
على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب
على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم
وفيه بيان المستثنين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامهم او في قصة يوسف
واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من
القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يومنون
يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم
تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما
والله اعلم

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة
الى اياتها اي ايات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك وهو القران كله
ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتدا
وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه
حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه
ولكن اكثر الناس لا يومنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا
وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب
واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد
برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام
المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص

ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر
من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد
منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل
مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس
كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير
ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم
توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء
وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام
وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء
للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث
ان الجبال سبب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل
فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون
وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها
طيبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على
وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها
بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع
وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه
مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو بكر ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات
صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم
وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر
شكلا وقدرا ورايحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول
والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير
على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق
بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر عليه والايات المعدودة
كما هي دالة على وجود المبدي فهي دالة على وجود الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته
وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول
له والعامل في اذا المحذوف دل عليه ائنا لفي خلق اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على
البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا ما
هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء به وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بضم الثاء وفتحها كالصدقة والصدقة
العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه
وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع

والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كربة وركبات **وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** مع
ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو
قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر
او اول المغفرة بالستر والامهال **وان ربك لشديد العقاب** للكفار او لمن يشاء وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل
احد **ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه** لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة
عليه واقتراحا لنحو ما اتي موسى وعيسى **انما انت منذر** مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما
عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك **ولكل قوم هاد**
نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب
او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الايات
ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر
على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر
على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال **الله يعلم ما تحمل كل انثى** اي
حملها او ما تحمله وانه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة **وما تغيض الارحام
وما تزداد** وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين
عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن
حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة
وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان
دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا
فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما
لله او لما فيهما **وكل شيء عنده بمقدار** بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه
بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي
ذلك وقرا ابن كثير هاد ووال وملق وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل واذا وقف
بالياء في هذه الاربعة احرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء
عالم الغيب الغائب عن الحس **والشهادة** الحاضر له **الكبير** العظيم الشان **المتعال** الذي لا يخرج
عن علمه شيء المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه **سواء منكم
من اسر القول** في نفسه **ومن جهر به** لغيره **ومن هو مستخف بالليل** طالب للخفاء في مختباء
من الليل **وسارب** بارز **بالنهار** يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف
على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء
منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله
له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب **معقبات** ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه
مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله
فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات
وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين **من بين
يديه ومن خلفه** من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من باسه متى
اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد
قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة

حول السّلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى
يغيروا ما بانفسهم ما من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد
له فلا رد له والعامل في اذا ما دل على الجواب وما لهم من دونه من الله من وال ممن يلي
امرهم فيدفع عنهم السّوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا
من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل
بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي واطلاق المصدر بمعنى المفعول
او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم
المنسحب في الهوى الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى
الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله
او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله
ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد
فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته
من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه
وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد
بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل
والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار
اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على
اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة
البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة لاعدائه من
محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف في استعمال الحيلة ولعل اصله المحل
بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير
قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون
بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة
الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان
من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه
لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة
الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من
الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد بهما وعيد الكفرة
على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محالته بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم
او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول للدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ
فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته
والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اغترف
الماء ليشرب به وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في
ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود

مخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وهي الة يزجر بها الملائكة السحاب ويسوقه

الغدة هي الطاعون

على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها
حالة الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا
او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله
بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان
الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين
العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب
لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم
الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا لها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير
ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم
قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم
بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور
الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا لله
والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق
عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم
اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل
الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم
استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او السماء نفسها فان المبادي
منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه
واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها
بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا
رابيا عاليا رفعه والزبد وضر الغليان ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلي
او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي
ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل
الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على
قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت في منافعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي
واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله
بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به اي يرمي به السيل والفلز
المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء
وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح
المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى

والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان
الفريقين كضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة او الجنة والذين لم
يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على
الاول كلام مبتدا لبيان مال غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان
يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شئ ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص
بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر
فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة فى تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا
الالباب ذوو العقول المبراة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله
ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم فى كتبه ولا
ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد
تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان
بجميع الانبياء ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا
على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لالفخر او سمعة ونحوهما
واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذى وجب عليهم انفاقه سرا
لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها
فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار
عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون مآل اهلها وهى الجنة والجملة خبر الموصولات
ان رفعت بالابتدا وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك
الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة
اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع فى يدخلونها وانما ساغ للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه
يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو
دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم وفى التقييد
بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية
او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى
العين وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلى الاولين من بعد ميثاقه من
بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض
بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه
فى مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اهل
مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الاخرة فى جنب الاخرة الا متاع
الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه
فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد

ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى
التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم
فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من
الايات الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله
انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله
الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله
تطمئن القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم وهو
فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها او مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه
الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل
قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك
اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم
يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم رحمته نعمته ووسعت
كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران
الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا
هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرانا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران او المبالغة
في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به
الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به
الموتى فتقراه فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية في الاعجاز
والنهاية في التذكير والانذار او لما امنوا به لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية
وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر بها الى الشام
او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع
الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض
وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على
كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه
من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بان لا يلين شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله
افلم ييأس الذين امنوا من ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم
يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين قرؤا
افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المايوس
عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه
نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف
تقديره افلم ييأس الذين امنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية
تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل
الاية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه الصلاة والسلام

جمع قطيعة وهي الارض التي يزرع فيها ه

كان

كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل
خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد الله الموت
او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين
به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس صالحة او طالحة رقيب عليهم
بما كسبت من خير وشر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر
محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعلت
ما مصدرية او على الخبر المقدر للمبتدا اي افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء
اولم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق
للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركا لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا
هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه
بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها
لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من
غير اعتبار حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب اى ظنوها حقا
ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا باطلا ثم خالوها
او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقراء ابن ونافع وابو عمرو وابن عامر
وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر صدوا وصد بالتنوين ومن يضلل
الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما
يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من
رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا
خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها
الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها
الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها
دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة
الموصوفة عقبى الذين اتقوا مالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب
النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن امن من النصارى وهم ثمانون رجلا
اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون
بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف
شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين
اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى
انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية
في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه
مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك
من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكارهم المخالفة له وكذلك

ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا
والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم
بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق
ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا
كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم
يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب
على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل
يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم
قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكاينات وقرا نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو
اللوح المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما
عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل
بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها
من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي
يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى
انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كاين لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي
النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعد
ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم
فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره
يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما ياتيهم
العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان العقبى المعاقبة
المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس
وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا
لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة
على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من
النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اي كفى
بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويؤيده قراءة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد
على الموصوف ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم
على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر
عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من
الموفين بعهد الله تعالى والله اعلم

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات
من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن
الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز
الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن سال عنه واضافة
الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه
ولا يخيب سابله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدا
وخبره الذى او الله خبر محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان لانه كالعلم
لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب
ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر
الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة
يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون
عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من
صد صدودا اذا اتنكب وليس فصيحا لان فى صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها
عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير
والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدا خبره
اولئك فى ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف
به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الذى بلغة قومه الذى هو منهم وبعث اليهم ليبين لهم ما امروا به فيفهموه عنه بيسر وسرعة
ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى
الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل
ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها
والعلوم المتشعبة منها وما فى اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن
بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد وقيل الضمير
فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبى بلغة
المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبيين
للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب
على مشيئته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى اليد والعصا
وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج لان فى الارسال معنى القول او بان
اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك
لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء
وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مومن وانما عبر
عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المومن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت
مستقرة غير صلة للنعماء وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من
نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم

احوال من آل فرعون او من جملة المخاطبين والمراد بالعذاب هنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف
لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم
واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم
عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم
ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة وقال لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا
ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مفعول قول مقدر
او مفعول ثان على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في
الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق الحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة
وتنطق بوصفه بنعمته ذرات الوجود المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت
اعتراضا او الذين من بعدهم وقعت عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم
لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب
لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل
الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخل
همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله ولا يحتمل
الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو
صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة
كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما
بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين
في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة
على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا
ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تختصون دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى
البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوة
فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة
كانهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت
لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في
الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنته عليهم وفيه دليل على ان النبوة

عطائه وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بآية الا
باذن الله اي ليس لنا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما
هو متعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه
في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم
قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا
سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت
ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري
من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم
المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا
على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم
يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على
الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء
مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم لقوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة
يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي
يوم القيمة بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا الله الفتح على اعدائهم
او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوا
ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد
اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى
الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين
يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته
وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه
يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان
يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول
نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من
كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل
هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل
مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم
فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم
كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد
اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد

الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنايعهم من الصدقة
وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على
غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه واعمالهم للاصنام كرماد طيرته الريح العاصفة
لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من
الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال
البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل
واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموت والارض بالحكمة وبالوجه الذي
يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالق السموت والارض
استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل
الصور وتغيير الطبايع قادر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما
ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون
هذا شانه كان حقيقا بان يومن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم القيمة
وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على
ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم
القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفوا
الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف
قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كغايب وغيب
او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب
الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول
اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب
الله والاعراب ما سبق ويجوز ان تكون الاولى مفعولا به والثانية مصدرا اي فهل انتم
مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع
واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستو بان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص
وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز
ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسماية عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا
وقال الشيطان لما قضي الامر اي حكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه
وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان
فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم
من سلطان تسلط فالجيكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها
بتسويلي وهو من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم ، تحية بينهم ضرب وجيع ،

ويجوز

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي
فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد لافعاله وليس فيها ما يدل
عليها وليس فيها ما يدل عليها اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب
الذي يقول له اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا
حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين
وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر
وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكاه
وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة
باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه
واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او ما موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم
سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم
اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود
لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة
كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل
على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلق بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام
باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل
كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا
وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء لها
مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها
اعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق
من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي
اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب
الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني
وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت
جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف
في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة
بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة
ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة بالنخلة
وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم
ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم
في الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا كزكرياء ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم
اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم
اهوال القيمة وذكر انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه
في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول

ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على
التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت
بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا
بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين
لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع
عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلوات الله عليه وسلامه فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي
رضي الله عنهما هما الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم
بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار
الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين لها
مقاسين لحرها او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا
لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب
بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل
كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان
لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب به لانهماكه فيه كالمامور به
من امر مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
بحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين امنوا اقيموا
الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم
الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر
ليصح تعلق الامر بهما القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن قوله

محمد تفد نفسك كل نفس ۞ اذا ما خفت من امر تبالا

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا قل اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد
من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بامر الغيبة اذا كان الفاعل واحدا
سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية
او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان
ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال
ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي
العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس ورزقا مفعول لاخرج
ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة
او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى
حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه
الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما
واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم

وآتاكم

وآتاكم من كل ما سألتموه اى بعض جميع ما سألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان الموجود من
كل صنف بعض ما فى قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس
اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر
بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى واتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان
الحال ويجوز ان يكون ما نافية فى موقع الحال اى واتاكم من كل شئ غير سائليه وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية
وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال
شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو
ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا
ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاول
ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة واجنبنى وبنى
بعدنى واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على
لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق
الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة
اولاد اسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها
الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا
من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال
اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعنى على دينى فانه منى
اى بعضى لا ينفك عنى فى امر الدين ومن عصانى فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر
له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى
الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا انى اسكنت من ذريتى اى بعض ذريتى او ذرية
من ذريتى فحذف المفعول وهم اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم
بواد غير ذى زرع يعنى وادى مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذى حرمت
التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول
عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال
ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روى ان هاجر كانت امة لسارة فوهبتها من
ابراهيم عليه الصلاة والسلام فولدت منه اسماعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما
من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا الطيور
فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما عين فقالوا اشركينا فى مائك نشركك فى
البانا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم
بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم
وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود
من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كانه طلب منهم
الاقامة وطلب من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اى افئدة من افئدة الناس
ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود
والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناشئة من ناس وقرأ هشام افئيدة
بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كادر فى ادور

وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوى اليهم
تسرع اليهم شوقا ووداداو قرى تهوى على البنا للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى
من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمنه معنى النزوع وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم
واحد ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك
وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن
من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير الندا للمبالغة فى التضرع واللجا الى الله وما يخفى
على الله من شئ فى الارض ولا فى السما لانه العالم بعلم ذاتى تستوى نسبته الى كل معلوم
ومن للاستغراق الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب لى وانا كبير ايس عن الولد قيد الهبة
على الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية اسمعيل واسحق روى انه ولد له اسمعيل
لتسع وتسعين سنة واسحاق لماية وثنتى عشر سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه من قولك
سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى
مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعى ربه وسال منه الولد
فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلنى
مقيم الصلاة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتى عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض
لعلمه باعلام الله او استقرا عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء
واستجب دعائى او تقبل عبادتى ربنا اغفر لى ولوالدى وقرئ لابوى وقد تقدم عذر استغفاره
لهما وقيل اراد بهما ادم وحوى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام
على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم
مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله والمراد تثبيته على
ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله
وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اى تشخص فيه ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ مقنعى رؤسهم
رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم اى لا يتحرك بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم
نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اى خالية عن الفهم كفؤاد ذى الحيرة والدهشة
ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اى لا راى فيه ولا قوة قال زهير
من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس
يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعنى يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو
مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر
العذاب عنا او ردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا
مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره
لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من

زوال

زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى
انكم اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه
حالهم حيث بنوا بناء شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى
وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى
كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفى ككقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون فى منازلهم
من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم
اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التى
هى فى الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال
الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده
ما يمكرهم به جزاء لمكرهم به وابطالا له وان كان مكرهم فى العظم والشدة لتزول منه
الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان
الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا
ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرائعه وقرا حمزة والكسائى
لتزول بفتح اللام والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح
والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم
المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف
وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه
من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر
باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات
عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت
الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن على رضى
الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله عنهما يحشر
الناس على ارض بيضاء لم يخط عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الارض
وانما تغيرت صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال
تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم
انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على
الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب
الابرار لفى عليين وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار
لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد
الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم
فى العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا
من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو

يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين
او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

، وزيد الخيل قد لاقى صفادا ، يعض بساعد وبعظم ساق ،

سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فتهنا
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود
اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذعة القطران ووحشة لونه ونتن ريحه
مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل
ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الوحشية فيجلب اليها
انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس المذاب او الصفر المذاب والان
المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار وتتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله
كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس
اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا بين
ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام
ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة
او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم
في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام
متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ
بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل بما
فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم
ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوايد هي الغاية والحكمة
في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد
والله اعلم

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو السورة وكذا
القران وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا
غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول
الموت او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها
ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه
عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل على الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى
كالماضي في تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله

، ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ،

ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف

وهم

وهم يودون كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا
ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن **ذرهم** دعهم **ياكلوا ويتمتعوا**
بدنياهم **ويلههم الامل** ويشغلهم توقعهم بطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد
للمعاد **فسوف يعلمون** سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه
بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام الحجة وتحذير عن
ايثار التنعم وما يؤدى اليه طول الامل **وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم** اجل مقدر
كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة وقعت صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا
لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف **وما
تسبق من امة اجلها وما يستاخرون** اى ما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى
وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما
نادوه له وهو قوله **انك لمجنون** ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون
والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى القران **لوما تاتينا** ركب لو
مع ما كما ركب لو مع لا لمعنيين لامتناع الشئ لوجود غيره وللتحضيض **بالملائكة** ليصدقوك
ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبك كما
كانت المكذبة قبل **ان كنت من الصادقين** فى دعواك **ما ننزل الملائكة** بالياء مسندا الى ضمير
اسم الله تعالى وقرا حمزة والكسائى وحفص ننزل بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع
الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل **الا بالحق** الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره
واقتضته حكمته ولا حكمة بان ناتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معا جلتكم
بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى او العذاب
وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء شرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله **وانا
له لحافظون** اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ
له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم **ولقد ارسلنا
من قبلك فى شيع الاولين** فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبانا
رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم **وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون** كما يفعل
هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وما للحال لا تدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا
قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية **كذلك نسلكه** ندخله **فى قلوب المجرمين** والسلك ادخال
الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد
الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر فى قوله **لا يؤمنون به** له وهو حال من هذا الضمير
والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة
له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقهما فى الرجوع اليه ولا يتعين
ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى
الاول بل تقويه **وقد خلت سنة الاولين** اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم
او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة **ولو فتحنا عليهم** على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما

يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما
سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف
او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا بذلك
محمد كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما
يرونه لاحقيقة له بل هو باطل خيل اليهم ما خيل بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء
بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء
وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة
مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس
اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان
واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة
في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل
الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها
بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء
موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما
يوزن او يقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها
من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا
فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل
معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة
مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على
العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا
خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة
واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة
فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد
له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب
ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى
المطيحات من قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا
من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين
من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل
على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به
الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من مخصص وانا لنحن نحيي
بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان
والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر
او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة
او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان
ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا
عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض
القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط
الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه
على ان في الحشر ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفصيل الاشياء يدل على صحة الحكم
كما صرح به في قوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا
الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن
تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن
من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليببس ويتصور كالجواهر المذابة تصب
صورته في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس
حتى اذا نقر صلصل ثم غيره ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر
على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل
ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص
واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه
من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع
خلق الحيوة في الاجسام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة
الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار
باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر
وهو قبول المواد للجمع واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال
من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي
حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان
الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا
لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه
لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون
اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة
على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا
الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس
ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك
ان لا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد
النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته
من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها
استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج
منها اي من السماء او من الجنة او زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة

فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن
الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد
اللعن لانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان
لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية
يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزايل قال رب فانظرني
فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد
بهذا ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول
دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله
وانقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة
يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا
بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه
في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلايق في تضاعيفه
وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل
الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم
في الارض والمعنى اقسم باغوايك لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد
الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء
بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او باضلال عن طريق
الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان
الله علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله
تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على اولى الالباب ولاغوينهم
اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بكسر اللام في كل القران اي
الذين خلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة
الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي
الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم
المخلصين لان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم
ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى
الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان
جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد
ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة
ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى
ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات
في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل
باب منهم جزء من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود
والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع

للمنافقين

للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف
عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم
لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها
مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان
وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الاية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام
وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسرها ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع
الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم امنين من الافة والزوال
ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او بالجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد
كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد
على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في امنين
او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا
صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستكن
في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف وحال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما
هم منها بمخرجين فان تمام النعم الخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على
انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون
التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق
لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم
وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا عليه بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر
لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحاق لقوله فبشرناها باسحاق عليم اذا
بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر
به في مثل هذه الحال وكذا قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشروني
فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة
في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع
استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق
بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن
من القانطين من الايسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة لا يعرفون سعة رحمة الله وكمال
علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر
وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم
لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج
الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة
الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط
الا ال لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء

وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وال لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا ال لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي ال لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بال لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امراته استثناء من ال لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرا حمزة والكسائي انا لمنجوهم بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا ابو بكر قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضا قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون به فاسر باهلك فاد واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرا الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في اخره قال

افتحي الباب وانظري في النجوم ۰ كم علينا من قطع ليل بهيم ۰

واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اساء الى ضيفه فقد اساء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل واحد منهم وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عليه الصلاة والسلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق فجعلنا عاليها يعني عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة

من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة
هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون
آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم
شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجر المتكاثف
فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما اي سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا
اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي
به الطريق واللوح ومطمر البناء لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود
كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن
بعثه معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب
لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد
ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة
لآتية فينتقم الله لك ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة
الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده
امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم
وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وأبي هو الخالق وهو يصلح للقليل
والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور
وهي الطوال وسابعها الانفال والتوبة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل
التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع
والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثني
عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان
يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات
او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد
الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا
منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض
الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي من الدنيا ح
فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود
بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه
الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه
القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم هم المتمتعون به واخفض جناحك
للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان
عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم
فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين قسموا مداخل

مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين
اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف
لقوله ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب الذين جعلوا القران
عضين حيث قالوا عنادا بعضه موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه
الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على
ان القران ما يقرؤن من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن
عينيك الى اخره اعتراضا ممدا لها **الذين جعلوا القران عضين** اجزاء جمع عضة واصلها جمع
عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن
الله العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه والموصوف بصفته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره **فوربك لنسألنهم اجمعين**
عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق بين الحق والباطل واصله
الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع **واعرض**
عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون **انا كفيناك المستهزئين** بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا
خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال
جبريل لرسول الله عليهما الصلاة والسلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فاذا بنبال
فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى
الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف
حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح
راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي **الذين**
يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين **ولقد نعلم انك يضيق**
صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك **فسبح بحمد ربك** فافزع
الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفيك ويكشف عنك الغم او فنزهه عما يقولون
حامدا له على ان هداك للحق **وكن من الساجدين** من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام كان
اذا حزبه امر فزع الى الصلاة **واعبد ربك حتى ياتيك اليقين** اي الموت فانه متيقن لحاقه
كل حي مخلوق والمعنى واعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين
بمحمد عليه الصلاة والسلام والله اعلم

سورة النحل مكية غير ثلث ايات في اخرها وهي مائة وثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك
اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا
وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به في منزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب
الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه **سبحانه وتعالى عما**
يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على
وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم

عدي

ولغيرهم

ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم
فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او بالقرآن فانه يحيي به القلوب الميتة
بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي
علم به الرسول ما تحقق به موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا
ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا
ابو بكر ينزل على المضارع المبني على المفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء
من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه
لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه
لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى
الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض
او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه
على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة
العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل
على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر
عليك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق خلقهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات
مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما
ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة
جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين
للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله
عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل
والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان
ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها
ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون
ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي او لان الاكل
منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات الماكولة فعلى
سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها
الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين
بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها
اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها
وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل
اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها
على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح
مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب
ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير
عطف على الانعام لتركبوها وزينة لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل
لتركبوا وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها
الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان تكون علة لتركبوها

اومصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة
لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره
اصلا او يدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت
عام خيبر **ويخلق ما لا تعلمون** لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا
او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلايق ما لا علم لنا به
وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر **وعلى الله قصد السبيل** بيان
مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد
السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد
الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد
وقال **ومنها جائر** حائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان
يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء
بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد **ولو شاء لهداكم اجمعين** اى ولو شاء هدايتكم
اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء **هو الذى انزل من السماء** من
السحاب او من جانب السماء **ماء لكم منه شراب** ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن
تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون
والابار منه لقوله فسلكه ينابيع فى الارض **ومنه شجر** ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى
ترعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال

نعلفها اللحم اذا عز الشجر ۞ والخيل فى اطعامها اللحم ضرر

فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة
لانها تؤثر بالرعى علامات **ينبت لكم به الزرع** وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم **والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات** ومن للتبعيض لان كلها لم ينبت فى الارض كل ما يكون
من الثمار ولعل تقديم ما يسام على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف
الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها **ان فى ذلك
لاية لقوم يتفكرون** على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع فى الارض
وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها فيخرج منه عروقها ويخرج منه ساق الشجرة
وينشق اعلاها فيخرج منه عروقها ثم تنمو وتخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار
وتشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع
السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن
منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم** بان هياها لمنافعكم **مسخرات بامره** حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها
ودبرها كيف يشاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان
يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب
فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجب
ومخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمى بمعنى التسخير جمع
لاختلاف الانواع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا **ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون** جمع الاية وذكر العقل
لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر

ما ذرا

كاحوال النباتات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من
حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية
لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم
وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنوا من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
لتاكلوا منه لحما طريا وهو السمك وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد
فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري
ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم
منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي يلبسه نساؤكم فاسند اليهم لانهن
من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه
بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه
بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه
بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش
والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك
لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك
بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت
جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما
خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم
او لمعرفة الله تعالى وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك
وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه وبالنجم
بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش
لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن
سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء
خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق
انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من
مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما
وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس
المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم
منهم او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه
وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بمن
لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك كله فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده
بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام
بشكرها اتبع بذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما
عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء
شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون

من دون الله اي والالهة التي تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر بالياء وقرأ حفص ثلاثتها
بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق وبين من لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا
لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون
لانها ذوات ممكنة مفتقرة في الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات
هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله
ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب
مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير
للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون
بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها
يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار
قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار
عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب على
ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع
بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع
رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون
قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم
او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل
هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا
اوزار اضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم
وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون
من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا
ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من
قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد اي اتاها
امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب
اهلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل
التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر
السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم
بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءي اضاف الى نفسه
استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه اين شركاي بغير همز
والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر
النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء
او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي
اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة
وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام
التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب
المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا

نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام **بلى** اى فتجيبهم الملائكة **ان الله عليم بما كنتم تعملون** فيجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم يكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولو العلم **فادخلوا ابواب جهنم** كل صنف بابها المعدلة وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها **خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين** جهنم **وقيل للذين اتقوا** يعنى المؤمنين **ماذا انزل ربكم قالوا خيرا** اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك **للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة** مكافاة فى الدنيا **ولدار الاخرة خير** اى ولثوابهم فى الاخرة خير منها وهو عدة **للذين اتقوا** على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا **ولنعم دار المتقين** دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله **جنات عدن** خبر مبتداء محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح **يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم ما يشاؤن** فيها صح
من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا فى الجنة **كذلك يجزى الله المتقين** مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين** طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه ارواحهم نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس **يقولون سلام عليكم** لا يحيقكم بعد مكروه **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ **هل ينظرون** ما ينتظر الكفار المار ذكرهم **الا ان تاتيهم الملائكة** لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائى بالياء **او ياتى امر ربك** القيمة او العذاب المستاصل **كذلك** مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب **فعل الذين من قبلهم** فاصابهم ما اصابهم **وما ظلمهم الله** بتدميرهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه **فاصابهم سيئات ما عملوا** جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها **وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا فى الشر **وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ** انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين **كذلك فعل الذين من قبلهم** فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله **فهل على الرسل الا البلاغ المبين** الا الابلاغ الموضح للحق وهو انه لا يؤثر فى هدى من يشاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من اراد هداه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله **ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** يامر بعبادة

يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشاده ومنهم
من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على ان فساد الشبهة الثانية
لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى
الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله
لا يهدي من يضل من يريد اضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين
لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم
كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده وقد رد الله عليهم ابلغ
رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد
من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى
للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة
التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى
بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو
الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب
الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل والثواب
والعقاب انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره
ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم
التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال له تكوينها اعادة بعده
ونصب ابن عامر والكسائي فيكون ههنا وفي يس عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله في حقه
ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر
الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى احدا من المهاجرين عطاء
قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل لو
كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم
او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد
كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله
اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث الى الدعوة العامة الا بشرا
يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه
تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا الى الملائكة
او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه الصلاة
والسلام راى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا
يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل

بما ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا
بالبينات كقوله ما ضربت الا زيدا بالسوط لتسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض
او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام **وانزلنا اليك الذكر** اي القرآن وانما سمي
ذكرا لانه موعظة وتنبيه **لتبين للناس ما نزل اليهم** في الذكر بتوسط انزاله اليك مما
امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل
عليه كالقياس ودليل العقل **ولعلهم يتفكرون** وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق
افأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء
او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان **ان يخسف الله بهم الارض**
كما خسف بقارون **او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** بغتة من جانب السماء كما فعل
بقوم لوط **او يأخذهم في تقلبهم** اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم **فما هم بمعجزين**
او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون
او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته
روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل
فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال
شاعرنا ابو كبير يصف ناقته • تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود
النبعة السفن • فقال عمر رضي الله عنه عليكم بديوانكم لا تضلوا يا ايها الناس قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعنى كلامكم **فان ربكم لرؤف**
رحيم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة **اولم يروا الى ما خلق الله من شيء** استفهام انكار اي
قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا
منه وما موصولة مبهمة بيانها **يتفيؤ ظلاله** اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال
متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء **عن اليمين والشمائل**
عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله
تعالى **سجدا لله وهم داخرون** وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع او الاختيار كقوله يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طاطأ راسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى
يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى
من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها
على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها
وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل
المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في
الارتفاع والسطوع وشماله جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار يبتدئ
من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال يبتدئ من المغرب واقعة
على الربع الشرقي من الارض **ولله يسجد ما في السموات وما في الارض** اي ينقاد انقيادا
يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة
اهل السموات والارض وقوله **من دابة** بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت

فی ارض او سما **والملائكة** عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات
على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما فی الارض والملائكة
تكرير لما فی السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم
وما لما استعمل من العقلا كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من
اطلاق من تغليبا للعقلا **وهم لا يستكبرون** عن عبادته **يخافون ربهم من فوقهم** يخافونه
ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده
والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن
ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة يخافون مدارون ان صح
بين الخوف والرجا **وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين** ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه
دلالة على ان مساق النهي اليه ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله
انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه
على ان الوحدة من لوازم الالهية **فاياي فارهبون** نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة
في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير
وله ما في السموات والارض خلقا وملكا **وله الدين** اي الطاعة **واصبا** لازما لما تقرر من انه
الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل
الدين الجزا اي وله الجزا دائما لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر **افغير الله تتقون**
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال **وما بكم من نعمة فمن الله** واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو
من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان
استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه **ثم اذا مسكم**
الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعا والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم **ليكفروا** بعبادة
غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا
فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى
البر فمنهم مقتصد **بما اتيناهم** من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة
او انكار كونها من الله **فتمتعوا** امر تهديد **فسوف تعلمون** اغلظ وعيد وقرئ فيمتعوا
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفا
للجواب **ويجعلون لما لا يعلمون** اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي
لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العايد الى ما
محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول لها محذوف للعلم به **نصيبا مما رزقناهم**
من الزروع والانعام **تالله لتسالن عما كنتم تفترون** من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها
وهو وعيد لهم عليه **ويجعلون لله البنات** كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات
الله **سبحانه** تنزيه له من قولهم وتعجب منهم **ولهم ما يشتهون** يعني البنين ويجوز فيما
يشتهون الرفع بالابتدا والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان
افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول شيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف **واذا**
بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها **ظل وجهه** صار او دام النهار كله **مسودا** من الكابة
والحيا من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير **وهو كظيم** مملو غيظا
من المراة **يتوارى من القوم** يستخفي منهم **من سوء ما بشر به** من سوء المبشر به عرفا **ايمسكه**

محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون على ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير
الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا
محله عندهم للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل
الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين
وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة
قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او من
دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم
او لعذابهم كي يتوالد فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا
او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم
ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر
عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء
في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل المال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو
ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب
صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى
النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ
بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين
فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر عن زمانها اي فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيمة
على انه حكاية حال ماضية او اتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة
المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو
ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب
اليم في القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه
من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا
به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون
سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم
مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة
المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال
كاخلاق واكياس ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها
او للواحد او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب
نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام
في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها
كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن
واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة

الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث
اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من
المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء فيجري الى كل
حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا
انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الفردية البيض
فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها
والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال
حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء
وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبر
العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يستصحبه
من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ
سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا
استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمبتدا محذوف
صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير
على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى
الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية
ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل
السكر النبيذ وقيل الطعم قال ـــ جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه
ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى
ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان
اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى
فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها
لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمى
ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة
القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالالات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء
ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه
التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل
في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول
وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل
منقادة لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل
الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب
واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم

الغددية

تقي

تفى ادخار الشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق
والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون
بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه
شفاء للناس اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى ساير الامراض اذ قلما يكون
معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن قتادة ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه
عسلا فذهب ثم رجع فقال سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما نشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين
الله من احوال النحل ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم
الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه
والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعنى
الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو تسعون سنة وقيل خمس
وسبعون لكى لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان
وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم
الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم
وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك بمقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا
المبلغ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون
رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادى
رزقهم بمعطى رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم
الذى جعله الله فى ايديهم فهم فيه سواء فالموالى والمماليك سواء فى ان الله رزقهم فالجملة
لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما
الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار
على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم
عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون
له شركا فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند
الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود
معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من
انفسكم ازواجا اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء
من ادم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو
المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
الاختان اى ازواج البنات بمعنى القايم عليهن
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ او من الحلال ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها
افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم وان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر
والسوائب وبنعمت الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم
وتقديم الصلة على الموصول اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر
ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان

يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى
الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي لا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من
ذلك فكيف بالجماد **فلا تضربوا لله الامثال** فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه
عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال **ان الله يعلم** فساد ما تعولون عليه من القياس على
ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون **وانتم
لا تعلمون** ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء
وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه
يعلم كيف يضرب وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد
دونه فقال **ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا
حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون** مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف
راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف
شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية
على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر
على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك
للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة
ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار
والعبيد **الحمد لله** كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها **بل
اكثرهم لا يعلمون** فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها **وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم** ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم **لا يقدر على شيء** من الصنائع والتدابير
لنقصان عقله **وهو كل على مولاه** عيال وثقل على من يلي امره **اينما يوجهه** حيثما
يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله
اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي **لا يات بخير** بنجح وكفاية مهم **هل يستوي
هو ومن يامر بالعدل** ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على
العدل الشامل لمجامع الفضائل **وهو على صراط مستقيم** وهو في نفسه على طريق مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال ما يقابلهما وهو تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة
بينه وبينها او للمؤمن والكافر **ولله غيب السموات والارض** يختص به علمه لا يعلمه غيره
وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم
القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض **وما امر الساعة** وما امر قيام
الساعة في سرعته وسهولته **الا كلمح البصر** الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها
او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الان الذي
يبتدا فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في ان واو للتخيير او
بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون
فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر
ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال **والله
اخرجكم من بطون امهاتكم** وقراء الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها

أنّ

وحمزة

وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين
جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها
بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر
فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير
قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها
من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه
الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها ان في ذلك
في تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران
فيها وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لآيات لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر
فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز
ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها
يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها
يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقرأ
الحجازيان والبصري يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها
اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى حين تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق
من الشجر والجبال والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا
مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا
من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان
وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل
ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في
نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من
العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت
وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعم الله التي عددها عليهم
وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة
الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر
او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون
ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن
للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم
من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء
عليهم ولا هم يستعتبون ولا يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف

تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب
جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا
هؤلاء شركاؤنا اي الشياطين الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو
اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم
لقوله سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على
على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم
حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على
الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم
مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان
نبي كل امة منهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء على امتك يا محمد ونزلنا عليك الكتاب
استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل
او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه
وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا
كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين
البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل
او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد
تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح
احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي
والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة
الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر باحدى هذه
القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت
سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه ولو لم يكن في القرآن الا هذه الآية لصدق عليه انه
تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه
عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد
الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل
كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الايمان بالله ولا
تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه
اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا توثيقها بذكر الله شاهدا بتلك البيعة
فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق
بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه

على

على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي
لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل
الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا
من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم
كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداهم انما يبلوكم
الله به الضمير لان تكون امة بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل
الوفا بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم
وقيل الضمير للربو وقيل للامر بالوفا وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا
جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام
ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسالن عما كنتم تعملون
سوال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين
تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي عنه فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد
اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا
السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم
عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا
بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت
قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم
في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن
رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم
بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو
مومن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا
كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر
فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه
وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران
اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسال الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب
وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا
القبيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا

وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المومنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره
ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على تندر وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة
فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على
الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون
واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما
والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة في
بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فيثبته مكانه وقرا ابن
كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اى الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء
ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار
على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة
الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة
الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي
ينزل ونزل تنبيه على انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل من ربك بالحق
ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا
ما فيه من رعاية الصلاح رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين
المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل
عايشا غلام حويطب بن عبد العزى صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة ماخوذ من لحد القبر
وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي
مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين
احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تامل
فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما انه هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم
يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقران كما هو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم
الكثيرة التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق في تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا
معناها وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان
الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون بانها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق
او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران
بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفترى الكذب
الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى
الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في
الكذب لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب والذين عادتهم
الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر
من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك

اومن

او من الكاذبون او مبتدا خبره محذوف دل عليه فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم
وان تكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء وكلمة الكفر استثناء
متصل لان الكفر يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته
وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب
به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا
اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ (اى ضرب)
بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين
في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه
وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ
رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه
وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا
فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة
الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم
الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك
هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم
انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب
المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصرة وثم
لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما
اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد لغفور رحيم لما فعلوا
قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم
او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها
فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا فانزل بهم نقمته او لمكة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها
اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك
الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع
والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير

• غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال •

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه الغمر الذي
هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار كقوله ،

، ينازعني ردائي عبد عمرو ، رويدك يا اخا عمرو بن بكر ،
لي الشطر الذي ملكت يميني ، ودونك فاعتجر منه بشطر ،

استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد
جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما
ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما
اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل الحلال
ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل
والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة
الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها
حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية
ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما دل
عليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل
منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا
هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي
لا تقولوا هذا حرام وهذا حلال لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول
ينطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب
كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من
فصيح الكلام كقولهم ، وجهها يصف الجمال ، وعينها تصف السحر ،
وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى الفلاح
عنهم وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن
قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي
في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا
او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا
به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه
وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد
ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب
على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في
اشخاص كثيرة كقوله ، ليس على الله بمستنكر ، ان يجمع العالم في واحد ،
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة
بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى

مفعول

مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته كقوله انى جاعلك للناس اماما **قانتا لله** مطيعا له قائما باوامره **حنيفا**
مائلا عن الباطل **ولم يك من المشركين** كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم
شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
اجتباه للنبوة **وهداه الى صراط مستقيم** فى الدعوة الى الله **واتيناه فى الدنيا حسنة**
بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا
طويلا فى السعة والطاعة **وانه فى الاخرة لمن الصالحين** لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى
بالصالحين **ثم اوحينا اليك** يا محمد وثم للتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع
الرسول عليه السلام ملته او للتراخى ايامه **ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا** فى التوحيد والدعوة
اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه **وما كان من
المشركين** بل كان قدوة الموحدين **انما جعل السبت** تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة **على
الذين اختلفوا فيه** على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه الصلاة والسلام ان يتفرغوا
للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض
فالزمهم الله السبت وشدد عليهم الامر وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على
الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا
لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله **وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون** بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه **ادع** من بعثت اليهم
الى سبيل ربك الى الاسلام **بالحكمة** بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة **والموعظة
الحسنة** الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية
لدعوة عوامهم **وجادلهم** وجادل معانديهم **بالتى هى احسن** الطريقة التى هى احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم
وتبيين شغبهم **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين** اى انما عليك
البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازى لهم **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** لما امره بالدعوة
وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان
الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين
الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما راى حمزة وقد
مثل به فقال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه
وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا
بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله **ولئن صبرتم لهو** اى الصبر **خير
للصابرين** من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة
علمه بالله ووثوقه عليه فقال **واصبر وما صبرك الا بالله** الا بتوفيقه وتثبيته **ولا
تحزن عليهم** على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم **ولا تك فى ضيق مما يمكرون** فى ضيق
صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فى ضيق هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز
ان يكون الضيق تخفيف ضيق **ان الله مع الذين اتقوا** المعاصى **والذين هم محسنون** فى
اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة
على خلقه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى الدنيا

دار

وان مات في يومه تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية والله اعلم

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع
عن الاضافة ويمنع الصرف قال ... قد قلت لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر
وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى
وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرى ولذلك
قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه
الصلاة والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني
جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى
لما روي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة
عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا
منه استحالة وارتد ناس ممن امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته
طائفة ساروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد
اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم في يوم كذا مع
طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم
لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه
كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس
ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة
مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض
مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية
وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات
فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي او فيما يحمله والتعجب
من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن
موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة
من الليل مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم
وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو
السميع لاقوال محمد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ
ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا
مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا
تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا وقرئ بالرفع على خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو يتخذوا او ذرية بكسر الذال وفيه
تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا
عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان

ببركته

بربكة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام وقضينا الى
بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مثبوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض
جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المثبوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما
مخالفة احكام التوراة وقيل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه
الصلاة والسلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء
وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على
بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب بن نينوى اولي بأس شديد ذوي
قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار
وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة
لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا
مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم
على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف
ابن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان
فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم
المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها
فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة
ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد
او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون
المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله
وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش
مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتموني
فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم
يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك
فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى وان
عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد
قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا
لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج منها ابدا وقيل
بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم
الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة
والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على
يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله
او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع

الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد ادم فانه لما انتهى الروح الى سره ذهب لينهض فسقط
روى انه عليه الصلاة والسلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه
فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى
رحمة له فنزلت ويجوز ان يراد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول
النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب
له فضرب عنقه يوم بدر صبرا **وجعلنا الليل والنهار ايتين** تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما
على نسق واحد بامكان غيره **فمحونا اية الليل** اى الاية التى هى الليل بالاشراق والاضافة
فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود **وجعلنا اية النهار مبصرة** مضيئة او مبصرة
للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايات
القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوى
ايتين ومحو اية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا
فشيئا الى المحاق وجعل اية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء
بضوئها **لتبتغوا فضلا من ربكم** لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا
بها الى استبانة اعمالكم **ولتعلموا** باختلافهما او بحركاتهما **عدد السنين والحساب** وجنس
الحساب **وكل شىء** تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا **فصلناه تفصيلا** بيناه بيانا
غير ملتبس **وكل انسان الزمناه طائره** عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب
ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب
الخير والشر من قدر الله وعمل العبد **فى عنقه** لزوم الطوق فى عنقه **ونخرج له يوم القيمة كتابا**
هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار عمله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا
ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر
ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اى الله عز وجل **يلقاه منشورا** لكشف
الغطاء وهما صفتان للكتاب ويلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البناء
للمفعول من لقيته كذا **اقرأ كتابك** على ارادة القول **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** اى كفى نفسك
والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب
القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى
ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص
من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى
ضلاله سواه **ولا تزر وازرة وزر اخرى** ولا تحمل نفس حاملة وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان
لا وجوب قبل الشرع **واذا اردنا ان نهلك قرية** واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا
السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة **امرنا مترفيها**
متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو
الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من قبيل طريق المقابلة وقيل امرناهم
بالفسق لقوله **ففسقوا فيها** كقولك امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز
من الحمل عليه والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل
ان لا يكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشىء وامرته
اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى

الطلب

الطلب ويؤيده قراءة يعقوب امرو رواية آمّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امُر بالضم
امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم تبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقرب
الى الفجور ففحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم
في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم وكم اهلكنا وكثيرا
اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقديم متعلقه من كان
يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية
قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن متمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه
وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه
لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية نزلت
في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى
لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بارائهم
وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة
فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه
فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد
بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل الآنف منه مددا للسالف هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك
من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا
كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال
وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها
والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل واحد فتقعد فتصير
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولك قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما
مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان
الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك امر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا
الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة
ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا
لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم
عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك
صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي
يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا
للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما
وتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه
في قراءة حفص ونافع للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا
وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء
قياسا وطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان
اليهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك بالاغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل

لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع
فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله

، وغداة ريح قد كشفت وقرة ، اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ،

للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك
للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان او للمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض
لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة
من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما
وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من
الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري
وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر
اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك
وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب
لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير
وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اوليا
لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو
حنيفة رحمه الله حقهم اذا كانوا فقراء محارم ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب
الرسول عليه الصلاة والسلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما
لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم
واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان
الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فما ينبغي ان يطاع فيه واما تعرضن عنهم وان اعرضت
عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم
على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك
فتعطيه او منتظرين وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء
موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي
فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد
الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف
المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند
الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه صبي
فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له
ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن

يشاء

يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد
ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه
تعالى ينبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط
وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم
هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان
قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم
يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد
الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما
لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله

، تخاطأه القناص حتى وجدته ، وخرطومه في منقع الماء راسب ،

وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالمد والفتح وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا
الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح
زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب
وتهييج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان
وزناء بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل
فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى
القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان
فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل
ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا
وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف
والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما
لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا
بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا
فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي
دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله به من تكاليفه او بما عاهدتموه وغيره
ان العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولا عنه يسال
الناكث ويعاقب عليه او يسال العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت
فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا
فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن
لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار
عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تأويلا واحسن
عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة
ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه
ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله
في هذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وقيل بشهادة الزور ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج

وقول الكميت ، ولا ارمي البرئ بغير ذنب ، ولا اقفو الحواصن ان قفينا ،

والبصر

ان السمع والفؤاد كل اولئك كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين وجاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلاثتها ضمير كل اي كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطاء لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بالعزم على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا لشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا يعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه سيئة يعني المنهي عنه فان المذكورات مامورات ومناهي وقرا الحجازيان والبصري بان سيئة على انه خبر لكان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئه او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القران في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله

اوليك

اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون
علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى اعلى مراتب الوجود وهى كونه واجب
الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح
له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من
لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر
الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه عليهما عند من جوز اطلاق
اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر تسبح بالياء انه كان حليما
حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القران جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم
مستورا ذا ستر كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر
لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم تقريرا له وبيانا
لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول
دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما
دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا يمنعهم
عن استماعه ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع
عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك فى القران وحده واحدا غير مشفوع به
الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من
استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون
به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم
نجوى اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم
ذووا نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذى سحر به فزال عقله وقيل
الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا ياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال
مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق فى جميع ذلك فلا يستطيعون
سبيلا الى طعن يوجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لا يدرى ما يصنع او الى الرشاد
وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا
ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل
جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم اى يكبر عندكم عن قبول
الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول
الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء
اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة وكنتم ترابا
وما هو ابعد شيء من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا
واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه

على الخبر او الظرف اى يكون او جد فى زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر
يوم يدعوكم فتستجيبون اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة
للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال
منهم اى حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين له وتظنون ان لبثتم الا قليلا
وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل
لعبادى يعنى المؤمنين يقولوا التى هى احسن الكلمة التى هى احسن ولا يخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بينهم تفضى الى العناد
وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم
ان يشاء يرحمكم او ان يشاء يعذبكم تفسير للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم
هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم
غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان
وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا
فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله
بالعفو وربك اعلم بمن فى السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من
يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوتى من الكتاب لا بما اوتيه من الملك
قيل هو اشارة الى تفضيل الرسول وقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى
الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول
كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان
المراد واتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور وفيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم
انها الهة من دونه كالملائكة وعزير والمسيح فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب
بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسول والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل
يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان
ذلك فى الكتاب فى اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات وما
صرفنا عن ارسال الايات التى اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين
الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت اليهم لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد
من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة
بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح فظلموا
بها فكفروا بها وظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اى بالايات المقترحة الا

تخويفا

تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات
القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر الى يوم القيمة والباء مزيدة
او في موضع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط
بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة
بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة
المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤية بالرؤية
او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه نظر لان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة
وحكاها حينئذ ولعلها رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما
روى انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع
فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره
وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد
بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا
وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم
يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار
واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار
شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها
في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام
ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما
يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنزع فنصب بنزع الخافض
ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد
له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي
الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود
له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه
لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم
من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ذلك بتسهيل له
اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا
وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولته
له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب
ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك
عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال
موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف
بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك
ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه

على من تغويه بمعنى صوّت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجندك حتى استاصلهم
وقرأ حفص رجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك
الراجل وقرئ ورجالك ورجّالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام
والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك
فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال
القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء
وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده
والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة
والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على
اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم
الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة
التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر
من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب من
خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانه حينئذ لا يخطر ببالكم سواه
ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اعانتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق
الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة

، عطاء فتى تمكن في المعالي ، فاعرض في المكارم واستطالا ،

وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في
البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه
وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة
التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب
والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا
تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم
ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل
عليكم قاصفا من الريح لا يمر بشيء الا قصفه اي كسره فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على
اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به
تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل
واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب
المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب
والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت
له ما يركبه او حملناهم حتى لم تخسف بهم الارض ولم تغرقهم بالماء ورزقناهم من الطيبات
المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة
والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم
تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف

يوم تدعوا نصب باضمار اذكر او ظرف دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويُدعى ويُدعوا على
قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى
الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالات بها فانها ليست الا علامة
الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعى **كل اناس بامامهم** بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين
او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اى تنقطع وتبقى
نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف
خفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا
فمن اوتى من المدعوين **كتابه بيمينه** اى كتاب عمله **فاولئك يقرؤن كتابهم** ابتهاجا وتبجحا
بما يرون فيه **ولا يظلمون فتيلا** ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير
لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه
بشماله اذا اطلع ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم
مع ان قوله **ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى** ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب
والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الاخرة اعمى لا يرى طريق
النجاة **واضل سبيلا** منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء
بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل
والابلد ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم
المتوسطة فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة
من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين
فيهما **وان كادوا ليفتنونك** نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا لا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم
فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها
بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك
فى الفتنة بالاستنزال **عن الذى اوحينا اليك** من الاحكام **لتفترى علينا غيره** غير ما
اوحينا اليك **واذا لاتخذوك خليلا** ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم
بريا من ولايتى **ولولا ان ثبتناك** ولولا تثبيتنا اياك **لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا**
لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة
احتيالهم ولكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح
فى انه عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه
اذا لاذقناك اى لو قاربت لاذقناك **ضعف الحيوة وضعف الممات** اى عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة ضعف ما نعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل
الكلام عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد
بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر **ثم لا تجد لك علينا نصيرا** يدفع
العذاب عنك **وان كادوا** وان كاد اهل مكة **ليستفزونك** ليزعجونك بمعاداتهم **من الارض**
ارض مكة **ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك** ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك **الا**
قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بقليل وقيل الاية

نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق
بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت الاية فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة
واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن
عامر وحمزة ويعقوب والكسائي وحفص خلافك وهو لغة فيه قال
، عفت الديار خلافهم فكانما ، بسط الشواطب بينهن حصيرا ،
سنة من قد ارسلنا من قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم والسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه
ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه
الصلاة والسلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل
التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما يركب من الدال واللام
كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه
ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت
صلاة العشاء الاخيرة وقران الفجر وهو صلاة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب
فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه
او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس
ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد
بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه
واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل
فاترك الهجود للصلاة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
او فريضة لك او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه
مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة
وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه
او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل
المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه
منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان وامر واخراجه منه وقرئ
مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من
لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب
الله بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء
الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا

مضمحلا

مضمحلة غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح
وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق
وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر
فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره **وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ما هو
في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك
وقيل انه للتبعيض والمعنى وان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وايات الشفاء وقرأ البصريان
ننزل بالتخفيف **ولا يزيد الظالمين الا خسارا** لتكذيبهم وكفرهم به **واذا انعمنا على الانسان**
بالصحة والسعة **اعرض** عن ذكر الله **ونأى بجانبه** لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن
عنه مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن
عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض وامال الكسائي
وخلف فتحة النون والهمزة في السورتين وامال خلف فتحة الهمزة فيهما فقط وامال ابو بكر فتحة
الهمزة هنا واخلص فتحها هناك وورش على اصله في ذوات الياء **واذا مسه الشر** من مرض او فقر
كان يؤسا شديد اليأس من روح الله **قل كل يعمل على شاكلته** قل كل احد يعمل على طريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه **فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا** اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين
ويسئلونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره **قل الروح من امر ربي** من الابداعيات
الكائنة من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على
ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش
سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية
وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه **وما
اوتيتم من العلم الا قليلا** تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية
انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما
ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح
مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر
موسى عليه السلام في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه الصلاة والسلام
لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه
القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله تعالى التي
لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير **ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك** اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصاحف والصدور **ثم لا تجد لك به علينا وكيلا**
من يتوكل علينا باسترداده مسطورا محفوظا **الا رحمة من ربك** فانها ان نالتك فلعلها تسترده
عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به
فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله **ان فضله كان عليك كبيرا** كارساله وانزال
الكتاب عليه وابقائه في حفظه **قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران**

فغير

في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل
التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم
لكون الشرط ماضيا كقول زهير
وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان
اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا او لانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية
تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في
التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه
موقعا في الانفس فأبى أكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا
لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا
بعدما الزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون
ويعقوب تفجر لنا بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول
من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو
بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى
مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا
لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال من الملائكة محذوف لدلالته
عليه كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة
او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في
معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك
قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله عن ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد
في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر
الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال
قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها علي هذا هو الجواب
المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا
عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول
الوحي وظهور الحق الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انهم لم يبق
لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا
لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس
فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب
والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول
اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي
او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان
بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول

وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روى انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم فقال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان
يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى
النار مؤفى القوى والحواس ماويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم
زدناهم سعيرا توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا
بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله
ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذى
خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة
اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع
وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه وسائر
نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم، لو ذات سوار لطمتنى، وفائدة
الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق
لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض
يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان
قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة الغرض فيما يبذل ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار
الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبى عليه الصلاة والسلام عنها
فقال لا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا يوم السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد
بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال
من يتعاطى متعلقها فى الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
فى السبت حكم مستانف زيد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسال بنى اسرائيل اذ
جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
وتكون قلوبهم وايديهم معك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال
على لفظ الماضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسل
يا محمد عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك
او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك
لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار
يخبروك على جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى
مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائى بالضم على الاخبار
عن نفسه ما انزل هؤلاء يعنى الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك

صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال **وانى لاظنك يا فرعون مثبورا** مصروفا عن الخير
مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان
ما بين الظنين فان ظن فرعون بخت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ
وان اخالك على ان المخففة واللام الفارقة **فاراد** فرعون **ان يستفزهم** ان يستخف موسى وقومه
وينفيهم **من الارض** ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال **فاغرقناه ومن معه
جميعا** فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق **وقلنا من بعده** من بعد فرعون
واغراقه **لبنى اسرائيل اسكنوا الارض** التى اراد ان يستفزكم منها **فاذا جاء وعد الاخرة**
الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعنى يوم القيمة **جئنا بكم لفيفا** مختلطين اياكم
واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل
شتى **وبالحق انزلناه وبالحق نزل** اى وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله
وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل ما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد
من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء
البطلان له اول الامر واخره **وما ارسلناك الا مبشرا** للمطيع بالثواب **ونذيرا** للعاصى من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار **وقرانا فرقناه** نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل
فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه فيه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف
عشرين سنة **لتقراه على الناس على مكث** على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه **ونزلناه تنزيلا** على حسب الحوادث **قل امنوا به او لا تؤمنوا** فان
ايمانكم بالقران لا يزيده كما لا وامتناعكم لا يورثه نقصانا وقوله **ان الذين اوتوا العلم من قبله**
تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة
وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة
ما انزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان
العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم **اذا يتلى عليهم** القران **يخرون للاذقان
سجدا** يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد
عليه الصلاة والسلام على فترة من الرسل وانزال القران عليه **ويقولون سبحان ربنا** عن خلف
الوعد **ان كان وعد ربنا لمفعولا** انه كان وعده كائنا لا محالة **ويخرون للاذقان يبكون**
كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ
القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد
واللام فيه لاختصاص الخرور به **ويزيدهم خشوعا** كما يزيدهم علما ويقينا بالله **قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن** نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه
ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله
فى التورية فالمراد على الاول هو التسمية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف
اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله **ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى** والدعاء فى الاية بمعنى
التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين فى ايا عوض
عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما فى اى من الابهام والضمير فى له للمسمى لان التسمية له
لا للاسم وكان اصل الكلام اى ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام **ولا تجهر**

بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها **ولا تخافت**
بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين **وابتغ بين ذلك سبيلا** بين الجهر والمخافتة سبيلا
وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محمود محبوب روي ان ابا بكر كان يخافت ويقول
اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه
لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر
ليلا **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك** في الالوهية **ولم يكن له ولي**
من الذل ولي يواليه من اجل مذلة ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه
من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة
على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله **وكبره تكبيرا** وفيه تنبيه
على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد
المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون الاية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها
على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح
المعاش والمعاد **ولم يجعل له عوجا** شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى
او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان **قيما** مستقيما معتدلا
لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال
او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على
الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف
لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ
قيما بالتخفيف **لينذر باسا شديدا** اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول
الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه **من لدنه** صادرا من عنده
وقرا ابو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء
الساكنين وكسر الهاء للاتباع **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا**
هو الجنة **ماكثين فيه** في الاجر **ابدا** بلا انقطاع **وينذر الذين اتخذ الله ولدا** خصهم بالذكر
وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره
ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم
كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون
الاب والابن بمعنى المورث والوارث او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه **ولا**
لآبائهم الذين يقولونه بمعنى التبني **كبرت كلمة** عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه
والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على

التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود **تخرج من افواههم** صفة لها
تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل
صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبرت هنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون
مع الاشمام **ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك** قاتلها **على آثارهم** اذا ولوا عن
الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته واحبته فهو يتحسر على
آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة **ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث** بهذا القرآن **اسفا** للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب
وقرئ أن بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية **انا جعلنا ما
على الارض** من الحيوانات والنبات والمعادن **زينة لها** ولاهلها **لنبلوهم ايهم احسن عملا**
في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي
وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم **وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا** تزهيدا
فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة
ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه **ام حسبت** بل احسبت **ان اصحاب
الكهف والرقيم** في ابقاء حياتهم مدة طويلة **كانوا من آياتنا عجبا** وقصتهم بالاضافة الى
خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبايع متباعدة وهيئات متخالفة
تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير
والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت

ليس بها الا الرقيم مجاوراً ۞ وصيدهم والقوم في الكهف همّدُ

او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم
آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة
وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت
اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم
وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع
الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا
اللهم ان كنت فعلت هذا لك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في
فضل وغنى واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون
نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها القصة فقال اجيبيه واغيثي عيالك
فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف الله فقلت
لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك
فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت
اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبستني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت
محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي
على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا ففرج الله
عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير **اذ اوى الفتية الى الكهف** يعني فتية من اشراف الروم
ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف **فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة** توجب
لنا المغفرة والرزق والامن من العدو **وهيئ لنا من امرنا** من الامر الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار **رشدا** نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقوله رأيت منك

همّد ومولود

اي الغيث

اي الى النبي صلى الله عليه وسلم

اسدا

اسد او اصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على اذانهم اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع
اى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته
فى الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير
والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا
علما حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اى الحزبين المختلفين منهم ومن غيرهم
فى مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم وما فى اى من معنى الاستفهام
علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه
او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل
من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل
دل عليه احصى كقولهم واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم
بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبى وصبية امنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق
والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق مفرط
فى الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبره وهو اخبار فى معنى
الانكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان
الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه
غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب
بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اى واذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية
على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله عن الفتية
بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم
ويوسع عليكم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اى تنتفعون به
وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مَرفِقا بفتح الميم
وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع
شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها عنهم واصله تتزاور
فادغمت التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار
كتحمار وكلاهما من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها ذات اسم اليمين واذا غربت
تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعنى يمين الكهف وشماله لقوله وهم فى فجوة منه
اى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا
حر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات نعش واقرب المشارق والمغارب المحاذاته
راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن
وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل
هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسامهم ويبلى ثيابهم ذلك من ايات الله اى شأنهم وايواؤهم الى
الكهف كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من اياته من يهد
الله بالتوفيق فهو المهتدى الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على

انّ امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامّل فيها والاستبصار
بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم
ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم فى رقدتهم ذات
اليمين وذات الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان
وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه
وتحسبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله
فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب
ويؤيده قراءة من قرا وكالبهم اى صاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية
ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل
العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا
لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم
رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم
وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضى الله عنه انه غزى الروم فمر بالكهف فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد
منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث
ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان لملّيت بالتشديد للمبالغة
وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم اية
بعثناهم اية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا
ما انعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على
غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم
دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم فى يومهم او اليوم الذى بعده قالوا
ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق
لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم فقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق
الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف
وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد
المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأى المتوكلين
والمدينة طرطوس فلينظر ايها اى اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص
فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى التخفى
حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم
ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او
يعيدوكم فى ملتهم ويصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على
دينهم فامنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم فى ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم
وبعثناهم ليزدادوا بصيرة اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان
وعد الله بالبعث او الموعود الذى هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت
ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب فى امكانها فان من توفى نفوسهم

فامسكها

فامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانهم عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان
من توفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون
ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم فكان بعضهم
يقول يبعث الله الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين
انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال
بعضهم ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه
قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم
بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم
اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين فيهم على عهد
الرسول او من المتنازعين للرد على الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم
واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم فكان على اسم
دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه
القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم
هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مومن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم
حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون اى
الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمومنين ثلاثة
رابعهم كلبهم اى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود
وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفى
الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر
بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون
باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربى اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة
بعدما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل
دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين
الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة النكرة تشبيها لها بالواقعة حالا
عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت
وعن على رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشادنوش اصحاب يساره وكان
يستشيرهم والسابع الراعى الذى رافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا
تجادل فى شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما فى القران
من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال منهم احدا عن
قصتهم سؤال المسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم
بها ولا سؤال المتعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم

بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي
القرنين فقال ائتوني غدا ولم يستثن فابطاء عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق
عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله
فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء
الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران
المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي واذكر ربك
مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله
اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد
سنة ما لم تحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك
لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية والخبر ان الاستثناء
المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول عليه ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر
ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا
لاقرب رشدا او اظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد هداه الله لاعظم من
ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة
سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمله
اجمله قبل وقيل انه حكاية لكلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في
عدتهم فقال بعضهم ثلاث مائة وقال بعضهم ثلاث مائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي
ثلاث مائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع
فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل
السنين من ثلاث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي
من احوال اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على
ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت
دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية
والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى
الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب
على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت
الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض
من دونه من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل
له فيه مدخلا وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك
ثم لما دل اشتمال القران على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة
الى الرسول عليه الصلاة والسلام على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه
فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران
غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن

تجد

تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فى مجامع اوقاتهم او فى طرفى النهار وقرأ ابن
عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم فى الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون
وجهه رضى الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته
بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهى
الرسول ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى
الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف فى المشهورة ومن المستكن فى الفعل فى
غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف فى
دعائك الى طرد الفقراء من مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعى له الى هذا
الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه
ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة
لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته جبانا او نسبته
اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم
الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله واتبع هواه وجوابه
ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين
عن ذكرنا ايانا بالمؤاخذة وكان امره فرطا اى تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال
فرس فرط اى متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله
لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حال فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر لا ابالى بايمان من امن وكفر من كفر وهو لا يقتضى استقلال العبد
بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا هيأنا للظالمين
نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى
تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط النار وان يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل كالنحاس المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا من
الصيلم يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال
من المهل او الضمير فى الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبران الاولى هى الثانية
بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او استغنى عنه بعموم من احسن
عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على
الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن
تجرى من تحتها الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان
يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة للاساور وتنكيرها
لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار فى جمع سوار ويلبسون ثيابا
خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما
رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهى الانفس
وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة
ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمنين رجلين

حال رجلين مقدرين او موجودين وهما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس
ومؤمن اسمه يهودا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها
ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل
الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة
عبد الله كان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين
من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم
حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا ليكون
كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا
الجنتين آتت اكلها ثمرتها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم
منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في
عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب
وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ
عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله
واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك
مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل
جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهو
ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او
لاتصال كل احد من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه
ضار لها بكفره بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله
وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي
بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين
منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما
اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه
وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من
نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ
الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لانه منشأ الشك في قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار
على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله
ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة الهمزة بنقل الحركة او دونه
فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأه ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها
من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو
بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو
ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او
ما شاء الله كائن على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء
ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة
لله وانما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم

بالسين المهملة كما في الاستيعاب وان كان بالمعجمة في عامة النسخ

وسطهما ع

من

من راى شيئا فلعجبه فقال ماشاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
يحتمل ان يكون فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة
مفعول ثان لترن وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربى ان يؤتين خيرا
من جنتك فى الدنيا او فى الاخرة لايمانى وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك
حسبانا من السماء مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب
والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا
ملساء يلزق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا فى الارض
مصدر وصف كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا فى رده واحيط بثمره
واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه
اذا احاط به علبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا
جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق
فيها فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح
يندم او حال اى متحسرا على ما انفق فيها وهى خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت
عروشها على الارض وسقطت الكروم على الارض ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره
يا ليتنى لم اشرك بربى احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى
لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق
منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائى بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره
بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده
وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك فى ذلك المقام وتلك
الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم يكن له فئة
ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن
ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه وقرأ حمزة والكسائى بالكسر ومعناها
السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا
ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى لم اشرك بربى
كان عن اضطرار وجزع عماده هاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرأ ابو عمرو والكسائى الحق
بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ حمزة وعاصم عقبا بالسكون وقرئ
عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا
فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب
على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط
بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى الكثرة
فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه
به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون
اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شئ من الانشاء
والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان فى دنياه
ويفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها ابد الاباد
ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله

رف النبات رفيفا اذا اهتز نضرة وتلالاء ورف لونه رفيفا اى برق

ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير
املا لان صاحبها ينال به في الاخرة ما كان يامل به في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم
نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي
الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير الجبال
بالتاء والبنا للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال
ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا
بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا او يشاهدوا ما
وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك
تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير
كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم
الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء
كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى فترى المجرمين مشفقين خ ووضع الكتاب صحائف
الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين
خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات
مال هذا الكتاب تعجب لشانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها
واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم
يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره
في مواضع لانه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين
واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض
عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا
بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان
بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران كان من الجن حال باضمار
قد او استئناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن
امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس
لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد
منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته واولاده واتباعه وسماهم ذريته مجازا
اولياء من دوني وتستبدلونهم بي وتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس
للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم
خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ
المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان
استحقاق العبادة من لوازم الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع
المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس
كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين

لدينى ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذ المضلين على الاصل
وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضد كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه
ويوم يقول اى الله للكافر وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائى الذين زعمتم انهم شركائى
او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه
وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا
بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى شدتها
هلاك كقوله لعمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر
من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا
فى الاخرة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها
ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا فى هذا القرآن
من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شئ يتأتى منه الجدل جدلا
خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم
الهدى وهو الرسول الداعى والقرآن المبين ويستغفروا ربهم من الاستغفار من الذنوب
الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين
وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب
الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع
وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا ونصبه
على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين
والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره
ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء
الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتى يعنى القرآن وما انذروا وانذارهم او والذى
انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن
اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسى ما
قدمت يداه من الكفر والمعاصى فلم يتفكر فى عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل
لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكيره
وافراده للمعنى وفى آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما
عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لى لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك
الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم
موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجأ يقال
وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعنى قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك
مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف
فى احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصى
وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام

اى طلاعهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض **واذ قال**
موسى مقدر باذكر **لفتاه** يعني يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف فانه كان يخدمه
ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده **لا ابرح** لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله
وهو السفر وقوله **حتى ابلغ مجمع البحرين** من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان
يكون اصله لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من المسير
والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلي المشرق
وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر
وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب
او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة
وقيل سبعون روى ان موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة
فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بلى عبدنا الخضر وهو بمجمع
البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى
وقيل ان موسى سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرني ولا ينساني قال فاى عبادك
اقضى قال الذى يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغي علم الناس
الى علم نفسه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك
اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر فقال اين اطلبه فقال على الساحل عند الصخرة
قال كيف لى به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهناك فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان **فلما بلغا مجمع بينهما** اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف
اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل **نسيا حوتهما** نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله
ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه في البحر روى ان موسى رقد فاضطرب الحوت
المشوى ووثب في البحر معجزة لموسى والخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح
الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر
بالمطلوب **فاتخذ سبيله في البحر سربا** فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب
بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول
الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ **فلما جاوزا** مجمع البحرين لنسيانهما
قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** قيل لم ينصب حتى جاوز
الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى
في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة **قال ارايت اذ اوينا** ارايت ما دهاني اذ اوينا
الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت
فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه **وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره**
اى وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير الثاني المتصل بانسانيه وقرئ
ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة
لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي
ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات
الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها

باحدهما عن الآخر بعد من النقصان **واتخذ سبيله في البحر عجبا** سبيلا عجبا وهو كونه
كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال
في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى
سبيل الحوت في البحر عجبا **قال ذلك** اي امر الحوت **ما كنا نبغ** نطلب لانه امارة المطلوب
فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه **قصصا** يقصان قصصا اي اتباعا او مقتصين
حتى اتيا الصخرة **فوجدا عبدا من عبادنا** الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل
اليسع وقيل الياس **آتيناه رحمة من عندنا** هي الوحي والنبوة **وعلمناه من لدنا علما** مما يختص
بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب **قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن** على شرط
ان تعلمني وهو في موضع الحال **مما علمت رشدا** علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان
بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف
وكلاهما منقول لان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا
باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب
الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من امور الدين وفروعه لا مطلقا
وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له
وسال منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه **قال انك لن تستطيع معي صبرا**
نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك
واعتذر عنه بقوله **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى
من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به
بمعنى لم تخبره **قال ستجدني ان شاء الله صابرا** معك غير منكر عليك **ولا اعصي لك**
امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية
اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد
فلا خلف وخلفه ناسيا لا يقدح في عصمته وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية
الله تعالى **قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء** فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم
تعلم وجه صحته **حتى احدث لك منه ذكرا** حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا
تسألني بالنون الثقيلة **فانطلقا** على الساحل يطلبان السفينة **حتى اذا ركبا في السفينة**
خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها **قال اخرقتها لتغرق اهلها** فان
خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ
حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل **لقد جئت شيئا امرا** اتيت امرا عظيما من امر
الامر اذا عظم **قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا** تذكير لما ذكره قبل **قال لا تؤاخذني بما**
نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو
اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء
اخر نسيته **ولا ترهقني من امري عسرا** ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة
على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهقني فانه يقال رهقه اذا
غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين **فانطلقا** اي بعد ما خرجا من السفينة **حتى اذا لقيا**
غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة
على انه كما لقيه قتله من غير تردد واستكشاف حال ولذلك **قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس**

طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال
ابو عمرو والزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك
فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا
فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا من الامرين منتف ولعل تغيير
النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه
جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك
فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب
وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب
على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوي
بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان
سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني
عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم
الله اخي موسى استحى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني
بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله ، قدني من نصر الخبيبين قدي ،
وابو بكر بتحريك النون واسكان الدال اسكان الدال من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باخروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه
انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال
، يريد الرمح صدر ابي براء ، ويعدل عن دماء بني عقيل ، وقال
، ان دهرا يلف شملي بجمل ، لزمان يهم بالاحسان ،
وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض
النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت
طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال
لو شئت لتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لنتعيش به او تعريضا بانه فضول
لما في لو من النفي كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لم يعنيه لم يتمالك نفسه
واتخذ من افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير
والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون
قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض
الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب افتراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق
الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل
ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما
السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك
شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة
خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك
قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه وكان اسمه جلندى بن كركر وقيل منوله بن
جلندى الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت

ان اجيبها عن قوله وكان وراءهم لان ارادة التعييب سبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية
او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما
وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما
الغلام فكان ابواه مومنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما
بعقوقه فيلحقهما شرا ويقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان وطاغ
وكافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي
ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله
وقد نهى النبي عليه الصلاة عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي كره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون
قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما ولدا
خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه
قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو
عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل
اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما
اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روى ذلك
مرفوعا والذم على كنزهما في قوله يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق
بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح
وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه
قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا وكان اسمه كاشح
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين
من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف
تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب
وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده
لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج
او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري
عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما
لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه
صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة انه لا يعجب المرء بعلمه
ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل
للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره
ثم يهاجر عنه ويسالونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل
المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها
وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل
كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح
اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سالوه

الغضب

بحاء مهملة او جيم ثم ياء ساكنة ثم سين مهملة مضمومة ثم نون وروى بالهاء

امتحانا او مشركوا مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله انا
مكنا له فى الارض اى مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شئ
اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والالة فاتبع سببا اى
فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة
الباء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ذات حمئة
من حمئت البئر اذا صارت ذات حماة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر حامية
اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها
مقلوب عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء
ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ
حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين
كذلك نجده فى التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش
وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى
بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اى بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا
بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد
الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى
فاختار الدعوة وقال اما من ظلم دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذى
هو الشرك فنعذبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله فى الاخرة عذابا منكرا لم يعهد
مثله واما من امن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله فى الدارين جزاء الحسنى
فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب جزاء منونا منصوبا على الحال اى
فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التميز
وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه
المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك
معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء
الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى وسنقول له من
امرنا مما نامر به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم
اتبع سببا ثم اتبع طريقا توصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع
الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف
اى مكان مطلع فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس
او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك
اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل
المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة
قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الحكم والكفر وقد احطنا
بما لديه من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه
والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا
ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين
بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمنية واذربيجان وقيل جبلان فى اخر اواخر
الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان وراهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة

والكسائى

والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه
الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل
بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة **وجد من دونهما قوما لا يكادون** ون
يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء اي
لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه **قالوا يا ذا القرنين** اي قال مترجمهم
وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم **ان ياجوج وماجوج** قبيلتان من ولد يافث
ابن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتانيث
والتعريف **مفسدون في الارض** اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون
الناس **فهل نجعل لك خرجا** جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر **على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا** يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين
غير حمزة والكسائي **قال ما مكني فيه ربي خير** ما جعلني فيه مكينا من المال والملك
خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل **فاعينوني
بقوة** اي بفعلة او بما اتقوى به من الالات **اجعل بينكم وبينهم ردما** حاجزا
حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع **اتوني زبر
الحديد** قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة
لان الايتاء المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة
على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من
الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل **حتى اذا ساوى بين الصدفين** بين جانبي الجبلين
بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون
الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما
منعدل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل **قال انفخوا** اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد
حتى اذا جعله اي جعل المنفوخ فيه **نارا** كالنار بالاحماء **قال اتوني افرغ عليه قطرا** اي اتوني
قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون
على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول
اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف
فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا **ان يظهروه** ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين
ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس ببعض صح
مذاب في تجاويفها **قال هذا** السد او الاقدار على تسويته **رحمة من ربي** على عباده **فاذا
جاء وعد ربي** وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة
جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك المنبسط

المنبسط السنا وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا
لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا
بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في
البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ
في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عما
عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا
لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء
كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان
يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم
به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ
افحسب الذين كفروا اى افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان
النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا
ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله
الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب للسؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم
بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء
عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري
بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا توزن به اعمالهم لانحباطها ذلك
الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره
والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم
عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى
درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة
لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى ينازعهم اليه انفسهم ويجوز
ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر
للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر
باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه
ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه
بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة
على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء
ومددا بالكسر جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به ومدادا وسبب نزولها ان
اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم
الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد
وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا

يرتضيه

يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب
بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال
ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل
وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه
كان له نور من مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
فان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف
من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء
والله اعلم والحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده تم الجزء الاول من انوار التنزيل واسرار التأويل

وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء المبارك نهار الخميس ثاني
عشر يوم [illegible] من شهر صفر الخير سنة ثلاثة وثلاثين
ومائة و[illegible] ليد الفقير الفاني السيد مصطفى بن
السيد [illegible] بن السيد حسن الحموي العلوا[illegible]
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
امين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم